



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ

باسم الخشن

الكتاب: زراد
المؤلف: باسم الخشن
تصميم الغلاف: محمود رأفت
تدقيق لغوي: عاشور عطا
إخراج: أحمد صلاح المهدي
خط العنوان: شروق أنور
رقم الإيداع: 2019 / 27548
الترقيم الدولي: 978-977-778-205-0

20 عمارات منتصر - الهرم - الجيزة
ت: 02-338560372
info@noonpublishing.net
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إليك يا من أمنت بكل وعودي وإن لم أومن
كتبت تلك الرواية على وعد..
وعد منك أن أحدهم سيحب كلماتي

إلى الكراميل الدوتشي .. أحبك



شكر خاص

إلى الصديق الكاتب المخلص محمد عصمت الذي
شجعني ودعمني مع كل حرف،
لم ييخل بنصح ولا بوقت، ولولاه ما انتهت تلك الرواية
في هذا العقد من الزمان.

إلى شروق، الابنة الروحية الداعمة دائما والمبهجة أبدا.

إلى أحمد المهدي الذي يخرج من الأزمات دائما مبتسما.

برای تهیه

این دستورالعمل را در کتابخانه ملی
کتابخانه ملی ایران
کتابخانه ملی ایران
کتابخانه ملی ایران
کتابخانه ملی ایران

کتابخانه ملی ایران

کتابخانه ملی ایران



الفصل الأول



يكتمل قمرا القرن ليغمر ضوءهما الأحمر سماء (زَرَاد) ويحيل ضبابها
قرمزيا، وفي ثنايا الضباب يتخبط الملاعين السكارى في طقس عهدت
رؤيته كلما اكتمل القمران.

إنه حدث جلل، لا يحدث إلا مرة كل عام، وجده الملاعين مناسبةً
طيبة ليثملوا ويتصارعوا في الطرقات، وكل المناسبات هي مناسبة
رائعة للملاعين ليثملوا ويتصارعوا في الطرقات.

فقط الميناء الشمالي تلون بالأخضر القاتم، وابتعد عنه كل من
الضباب والملاعين، وأنوار القمرين أيضا. لم يثمل أحدهم كفاية
ليتجاهل الأعلام الخضراء الخاصة بالعزل الصحي.

تعالى الأمواج في الميناء، بفعل مد القمرين، ومعها النسائم الكبريتية
اللتنة.

وحيدا وعلى رصيف الميناء يتقدم ظل أسود يثير الهلع؛ فبرأسه

منقار طويل كمنقار الغراب وييده عكاز مدبب تتلاعب به الظلال
لتظن أنه امتدادٌ ليده، ولا تساعد خطواته عالية الصوت - التي
تشي بنعل معدني لا يرتديه العامة - على تغيير هالة عدم الراحة
المحيطة به.

يتوقف الظل عند آخر خيمة منصوبة على الميناء، يمد عكازه
المدبب ليقرع على الجرس المدلى أمام الخيمة.. لحظات وتمتد رأس
عجوز تسبقه يدها مصباح غازي.

يتأمل العجوز للحظة الوجه المغطى بقناع خشبي، ثم يلتفت برأسه
مناديا:

- طبيب الوباء قد وصل أرسل البائسين.

يلتفت مرة أخرى للطبيب ويقول وكأنها يحدث نفسه:

- لا أظنك تريد أن تدخل لتفحص المصابين؟

يهز الطبيب رأسه دون كلمة.

يغمغم العجوز:

- لا.. لم أظن ذلك.

ما أن تختفي رأس العجوز مرة أخرى داخل الخيمة، حتى يتحرك
الطبيب إلى حافة الرصيف مولياً ظهره للخيمة. تمر دقائق ثم يخرج
منها طفل.. طفلان.. ثلاثة.. ستة أطفال في ملابس رثة، وبعضهم
بنصف ملابس. ينظر كل طفل مع خروجه إلى الطبيب المتشع
بالسواد برعب ويأخذ جانباً بجانب من سبقه، يتبعهم العجوز
حاملًا في يده دفترًا جلدًا.

- تسعون، من ملابسهم حوالي عشرين طاقم السفينة، البقية مهاجرين من خلف الوادي لم ينج منهم أحد.

التفت الطبيب للأطفال متفحصاً إياهم من خلف قناعه، ثم اقترب من أحدهم ومد إليه بعكازه الخشبي اليد الأخرى.

وقف الطفل خائفاً غير مستوعب للمطلوب منه حتى وضع الطبيب العكاز في يده.

ثم أخرج من جيبه حافظة جلدية.

تعلقت عيون كل الأطفال بتلك الحافظة وهو يفتحها ويخرج منها شمعة صفراء وكريستالة لهب صغيرة.

بحركة استعراضية يقسم الكريستالة الصغيرة بإبهامه وسبابته لنصفين ليسيل اللهب الحارق على رأس الشمعة مشعلاً إياها، لأطفال ما خلف الوادي كانت تلك معجزة تصنع منه إلهاً في عيونهم.

مد العجوز بالدفتر الجلدي يده للطبيب لتسيل عليه قطرات الشمع الذائبة. يقتل الطبيب اللهب بأنفاسه، ثم يدق بخاتمه على الشمع الذائب مكوناً رأس العنقاء محاطاً بهلال القرن صانعاً ختم (زراد) الذي يمثل ديانتني الممالك الجديدة.

يعيد الدفتر للعجوز ومعه الكريستالة الفارغة بيد، وبالأخرى يتناول عكازه من الطفل، متحركاً بالفعل في اتجاه العودة لرصيف الميناء.

- هيا هيا اتبعوا راعيكم الجديد.

يقولها العجوز وهو يشيح لهم أن يلحقوا به، يظل الأطفال متسمرين

في أماكنهم حتى يتغلب أحدهم على خوفه وينطلق مهرولاً للحاق
بالطبيب، ويتبعه الباقون واحداً تلو الآخر.

يتأكد العجوز من خلو الكريستالة
من أي قطرة لهب قبل أن
يخبئها في ملابسه ويعود

للخيمة.

ما أن يصلوا
إلى أطراف المدينة

حتى يتخلوا عن تشكيل
الطابور الجنائزي الذي ساروا
فيه طوال الرحلة، يتكتلون خلف
الطبيب الذي لا يبدو عليه حتى أنه
يدري بوجودهم.

كانت تلك أول خطواتهم داخل أرض
الملاعين، رويداً رويداً تحول خوفهم إلى
فضول.

طرقات حجرية لا تشبه صحراء
ما خلف الوادي، وتحت تلك الطرق سيل لا يتوقف من مياه الصرف،
يشعرون به بأقدامهم الخافية.

في أي ليلة أخرى كانوا سيسمعون خريره؛ لكن اليوم تدق الأجراس،
وتتعالى ضحكات الثمالي.

يسيرون حتى تختفي البيوت الخشبية ويصلون إلى بوابة المدينة الداخلية.

سور شاهق حجري يفصل قلب المدينة عن أطرافها، يغير الطيب اتجاهه بدلاً من توجهه إلى بوابة المدينة الداخلية ويمشي بمحاذاة السور.

لتظهر أمامهم شواهد قبور متناثرة، فوقها الرتوش زرقاء التي تميز قبور المدنسين الذين حرم عليهم الخلاص باللهب.

كوخ خشبي قديم يتخذ من سور المدينة حائط رابع كان البناء الوحيد في مجال البصر، يقف أمامه كهل تبدو عليه علامات سوء التغذية. يهرول ناحية الطيب ما أن يراه قادمًا، في يده غرارة صغيرة ليقف أمامه وهو يحك ذقنه موجهًا كامل انتباهه للأطفال.

- ثلاثة.. سأخذ ثلاثة.

يهز الطيب رأسه بأن «لا».

- سيدي الطيب.. لقد أحضرت لك ما طلبته.

يحاول أن يفض الغرارة ليعرض على الطيب محتواها لكن الطيب يجذبها منه، مؤكداً على عقدها.

ثم يشير له بإصبعين بأن «اثنين»، يظهر عدم الرضا على وجه الكهل، لكنه يقول في لهفة:

- هل يمكنني على الأقل أن أختار؟

يشير له الطيب بيده بلا اهتمام إشارة يمكن أن تعني أي شيء، لكن الكهل يقرر أن يأخذها بمعنى السماح.

يسرع الكهل ناحية الأطفال متحسباً أجسادهم محاولاً تمييز الذكور من الإناث، يتتقى اثنين من الذكور، ثم يجرها من معصمها وهما

ينظران برعب تجاه الطبيب نظرات استغاثة.

لا يوليهم الطبيب اهتمامًا وهو مدبرٌ نحو بوابة المدينة يتبعه بقية القطيع بلا حول ولا وقت لرثاء فقداهم ومصير مجهول.

بوابة المدينة حديدية مصمتة، خط عليها كل من رهبان القمر وكهنة اللهب تعاويذ وطلاسم بركة وحماية لـ(زراد)..

يدق الطبيب خمس دقات على البوابة ليفتح أحد الحراس، ملقيا نظرة على الطبيب ومن يتبعه، ثم يشير له متأخرا بالدخول، كان الطبيب قد مر بالفعل من البوابة.

لا مبانٍ خشبية داخل قلب المدينة.. فقط مبانٍ حجرية رمادية ضخمة، وقناة مياه تمر خلالها، من الممكن اعتبارها الجميلة لكن ليس في يوم كهذا يفرغ نصف الملاعين أمعاءهم ومثاناتهم بها.

ما زالت الأجراس تعلو وتعلو حتى بدأ بعضهم بسد آذانه ليحميها من الصوت.. كانوا قد وصلوا للمبنى الذي تدق فيه الأجراس.

كاتدرائية القمر تقف شامخة كآخر صرح تعبد فيه الأقمار.

ينتظرون مع راعيهم المؤقت على ما يبدو أمام بوابة الكاتدرائية، يدق البوابة دقتان فقط تلك المرة، ويتنظر...

يفتح الباب بالكاد ليخرج عجوزٌ هزيلٌ آخر، على وجهه ابتسامة، تلتف على عينيه عصابة قماشية، ويرتدي ملابس الرهبان الفضفاضة. ينحني الطبيب احترامًا له انحناءة خفيفة، وبشكل ما.. وبالرغم من العصابة يبدو أن الراهب قد شعر بالحركة فربت على كتفه.

وحيث أن أي محادثة مع أصوات الأجراس الصاعقة دربًا من دروب

الخيال فقد تناول الطبيب كف الراهب ورسم رقم اثنين بإصبعه، هز الراهب رأسه ثم أشار للأطفال بكلتا يديه أن يتقدموا لينطلق جميعهم ناحية الراهب البشوش، لكن الطبيب بعدما مر أول طفلين من جانبه أوقف البقية بعكازه، ليلعن الأطفال المتبقين سوء حظهم عندما انحنى الراهب ليلثم رأس الطفلين محتضنا كلاهما، ثم يوجه لهما قولاً ضاعته مع صوته الأجراس، يفتح بعدها الباب ليدخلهما الكاتدرائية، ويتحرك الطبيب وبقية الأطفال مبتعدين.

يلتفت أحد الأطفال ليلقي نظرة حسرة على بوابة الكاتدرائية وهي تغلق، ويهيباً له للحظة قبل أن يُقفل الباب أنه يلمح جسداً عارياً ملقى على المذبح مسلسل بأصفاد حديدية، كان مشهداً غريباً ككل شيء آخر رآه الطفل في أرض الملاعين.

لم تطل الرحلة تلك المرة، فما أن اتجهوا تحت الجسر العريض الذي يمر فوق القناة حتى وصلوا وجهتهم.

كوخ عتيق يبدو ككوخ حراسة قديم، لكن ساكنه بالتأكيد لم يكن أحد حراس المدينة، طرقات عصيبة بعكازه على النافذة قبل أن يخرج شاب حليق الوجه مرتدياً بنطالاً فضفاضاً فقط، ويبدو عليه أنه نصف نائم.

يقول وهو يتثاءب:

- تأخرت علي كثيراً.

لا يرد الطبيب.

- حسناً غلبني النوم.. ماذا تريدني أن أقول!

يدخل الشاب يديه في جيبه ليخرج كريستالة كانت أكثر ضخامة

من كريستالات الذهب وقلبها النابض كان أزرق وليس برتقالي
متأجج ككريستالات الذهب. يمد الطبيب يده ليختطفها سريعاً،
كأنها يخشى أن يراها أحد.

ثم يتجه ناحية الدرج ليوقفه صوت الشاب صائحا:
- ظننتك ستعطيني اثنين فقط؟

يتوقف الطبيب في مكانه ثم يستدير متفاجئاً بوجود ثلاثة أطفال.
يقف بلا حراك معيدا الحسابات في رأسه.
يخرج الشاب كريستالتي هب وهو يقول:

- لا خسارة في زيادة ترس آخر لتدوير الماكينة، سأخذ الثالث.

يتأمل الطبيب الثلاثة أطفال بتأن متجاهلاً يد الشاب قبل أن
يسط راحته لواحد من الأطفال الثلاثة، يلتقط الطفل المقصود يد
الطبيب دون اعتراض، ويتحرك الطبيب بالطفل عائداً باتجاه الدرج
الحجري الذي يؤدي لأعلى الجسر.

يصرخ وراءه الشاب:

- سعدت بالعمل معك...

ولكن لا يظهر على الطبيب أنه قد سمعه.

يطلق زفيراً عالياً واضعاً الكريستاليتين بجيبه وهو يلتفت متفحصاً
مشترياته الجديدة ويقول لهما بلهجة مرحة:

- قضيتما يوماً حافلاً.. أليس كذلك؟.. هيا بنا، مرحباً بكما في
بيتكما الجديد أنا العم (ساليك).



ضربة أخرى تطيش بعيدًا عن رقبة الدخيل، ترتطم بدوي عالٍ تهتز له أروقة جناح النوم في (قصر زراد الملكي).

«من أجل المجد» جملة واحدة تدور في ذهن الدخيل مرارًا وتكرارًا.. «من أجل المجد».

يحاول الحارس الثاني أن يوجه ضربة غادرة إلى ظهر الدخيل، لكنه يضرب الفراغ الذي كان يملأه جسد الدخيل منذ أقل من ثانية، وما أن استعاد اتزانه من قوة الدفعة حتى قابل عيني زميله الصارخة بالألم، وقد تخلى عن سيفه ضاغطًا بكلتا يديه على رقبته، محاولًا كبح دماؤه المتفجرة.

لحظة ثمّر على الحارس الثاني يعجز فيها عن اتخاذ قرار؛ هل يحاول مساعدة زميله في وقف النزيف أم يتبّه إلى الدخيل؟.. لحظة كانت تكفي لأن يغرز الخنجر المضرج بدماء زميله في قلبه.

«من أجل المجد» ثلاثة حراس آخرين يهرعون لملاقاته...

ثلاثة سيوف متمرسة توجه ضرباتها إليه، أحدها يستهدف قلبه، والثاني قدمه، والسيف الثالث يتجه مباشرة لرقبته.

يقفز للخلف متفادياً السيف الموجه لقدمه، رافعاً يده ممسكاً بالخنجر عكسياً موجهاً النصل لحماية ساعده من الضربة الموجهة لقلبه، لكن السيف الثالث برغم من عدم إصابته لهدفه ظفر بضربة مباشرة في كتفه.

دماء... صرخة شنيعة يطلقها الدخيل وهو يبحث عن موطن لقدمه دون أن يفقد توازنه، لكن الحراس يستمرون في الانقضاض عليه وقد لاحت لهم الفرصة ولن يتوانوا عن الفتك به.

«من أجل المجد» تعيد تلك الكلمات إشعال نيران روحه، ليتخلى عن الخنجر في يسراه، ويطوح بيده أحد المشاعل الحديدية المعلقة على الحائط في طريقه لملاقاة الأرض، يجفل أحد الحراس وقد تلقى المشعل الحديدي في قدمه، ويتوقف للحظة معرقلاً طريق من خلفه، ولكن لم يمنع ذلك الحارس الثالث من غرس سيفه في فخذ الدخيل الممدد على الأرض.

يمد الدخيل يده في سرعة جاذباً يد الحارس المسكة بالسيف المغروس في فخذه ليشق النصل طريقه أعمق في جسده. مرتكزاً على يد الحارس بيسراه؛ يدفن خنجره في خصيتي الحارس وتمتزج صرخاتهما معاً.

عاجزان عن اتخاذ أي قرار وقف الحارسان متسمرين في مكانهما، وقد سقط زميلهما فوق الدخيل صانعاً درعاً بشرياً له. يلتف أحدهما ليرى مصدر خطوات تتقدم في سرعة، ليقابله وجه امرأة ورجل من كهنة النار - حراس الملك - أو بالأحرى درعيهما؛

ففارق الطول وحده دون فارق الرتبة كان مرعبًا حتى كادا أن ينسيا الدخيل تمامًا، ويركعان على أقدامهما مؤديان للتحية الرسمية.

تجاهلها الكاهنان مقتربين من الدخيل ودرعه البشري، واللذان لم يتوقفا عن الصراخ للحظة. تهشم الكاهنة ذات الشعر الناري كريستالة اللهب الكامنة في سيفها ليضوي في لحظات بلونٍ برتقالي ينذر بإذابة أي عائق في طريقه. ودون أن تتوقف للحظة تغرس سيفها في ظهر الحارس الملتحم مع المتسلل، يخترق النصل الملهب جسد الحارس قاتلاً صرخاته ومكملاً طريقه لجسد الدخيل.

تنزع الكاهنة سيفها من الجسدين وينحني الكاهن الثاني ليزيح الجثة ليرى الدخيل للمرة الأولى.. أسمر البشرة، عاري الجذع تمامًا، حافي القدمين، متلفعًا بوشاح غارق في الدماء لا يستطيع تمييز لونه الأصلي. ترى الخنجرة لا يزال في يمينه، بآلية تامة تفصل يد الدخيل اليمنى عن جسده بسيفها الذي لا يزال يضوي. تتصاعد رائحة اللحم المشوي مع صرخات الدخيل.

يتناول الكاهن الثاني قدم الدخيل جارا إياه دون أدنى مجهود في الاتجاه الذي جاء منه تتابعه أنظار الحارسين حتى يجفلهم صوت الكاهنة:

- أكان وحيدًا؟

يلتفتا للكاهنة التي ما تزال شاهرة لسيفها الملهب، وللمرة الأولى ينظران إلى وجهها بتمعن ليتعرفا عليه فوراً، الكاهنة (ميرا) أحد الكهنة الملازمين للملك، ثم يتبادلان النظرات سريعاً في عدم تأكيد.. ينطق أحدهما أخيراً متلعثماً:

- أظن...

تقاطععه (ميرا) غير مهتمة بما يظنه الحارس:

- لينتقل كل الحرس لبوابات المناجم، حتى حرس الشرف.

يتحرك الحارسان لتنفيذ الأوامر، لكن الكاهنة تضع راحتها على كتف واحد منهما لتوقفه.

- واحد فقط يكفي لإبلاغ التعليمات...

تنظر للرواق من حولهم وتشير لأجساد الثلاثة حراس قائلة:

- لقد سقط أولئك حاملين لواء الملك، فليتم خلاصهم باللهب على الفور.

قالتها وأخرجت من جانب درعها ثلاث كريستالات لهب أخذها الحارس هازا رأسه في امتنان لتقدير الكاهنة لإخوته في السلاح.

تتحرك (ميرا) في خطوات سريعة متخذة من دماء الدخيل دليلاً لوجهتها.

لم ينقطع سيل الدماء حتى وصولها للدرج الغربي؛ حيث لحقت بالكاهن الثاني الذي فضّل أن يحمل الدخيل بدلاً من جره على السلام أيضاً في طريقهم للنزول.

تبطئ (ميرا) من خطواتها لتماثل سرعة الكاهن الثاني، يصلان لساحة القلعة والحراس يتحركون في تشكيلات نظامية ناحية بوابات المناجم تنفيذاً للأوامر، تاركين ساحة القلعة والأسوار في حراسة الفرسان.

- ليلة اكتمال القمرين، بالتأكيد يشعر الرهبان بالشجاعة الكافية لارتكاب حماقة كتلك الليلة.

تقولها (ميرا) وهي تتأمل قمري القرن المكمليين، يلقي الكاهن الثاني نظرة على وجه الدخيل فاقد الوعي الذي يحمله تحت إبطه دون أن يبطئ من خطواته، ثم يقول لـ (ميرا) في عدم اقتناع:

- لا، لا أعتقد أنه من رهبان القمر، فالليلة يغرق الرهبان في الميد، ويقرعون أجراسهم حتى يغيب القمران.

- وهل هناك أفضل من الميد ليزين لك ارتكاب الحماقات؟

- هناك الدخن.

يقولها الكاهن مبتسمًا، وقد وصلا للدرج المفضي للسجن ثم يكمل:

- راهب أفرط في الشراب يقتل ثلاثة من حراس القلعة في اشتباك مباشر؟

لا ينتظر إجابة (ميرا) مضيقًا:

- ثم أن لون بشرته أقرب إلى شعوب خلف الوادي عن رهبان القمر.

تتوقف (ميرا) عن نزول الدرجات مندهشة مما قاله الكاهن، ثم تلحقه قائلة:

- (جيرد)! هل أنت جاد؟

يرد (جيرد) بلامبالاة:

- كون ملائحة تشي بأصوله من خلف الوادي لا يعني بالضرورة انتماء لهم، خاصة مع براعته في القتال.

تفكر (ميرا) في أن احتمالية أن أحدهم هاجر من خلف الوادي قبل الرباء مستبعدة جدًا،

لكن التخمين لا فائدة منه وقد وصلا إلى بوابة الزنازين.

تغرس (ميرا) سيفها الذي كان ما يزال مشتعلًا ببرميل ممتلئ بالرمال، ويلقي (جيرد) سيفه على طاولة خشبية بجانب البوابة قبل أن يفتح لها الحارس ليدلفا داخل عمر الزنازين، يتبعهما الحارس حتى يصلا لآخر زنزانة على اليمين لا يميزها شيء سوى وقوف كاهن نار أمامها.

- (داليف)، يمكنك الاسترخاء الآن، كان متسللاً وحيداً.

يقولها (جيرد) للكاهن المرابط أمام الزنزانة.

ينظر (داليف) بفضول للمتسلل الذي يحمله (جيرد) تحت إبطه، وفور الدماء من عدة مواضع في جسده.

- تسبب ذلك الصغير بالكثير من القلق الليلة.

يُعلّق (داليف)، ثم يتجه لنهاية الممر لوضع سيفه في الخارج، بينما تفتح (ميرا) باب الزنزانة. يتقدم (جيرد) لقلب الزنزانة المظلمة ويضع المتسلل أرضاً بحرص.

تتبعه (ميرا) وبعدها بلحظات يدخل (داليف).

يعلو من قلب الظلام صوت صرير معدني وخطوات ثقيلة تتجه ناحية الجسد الملقى على الأرض.

يظهر مصدر الصوت في جزء مضيء نسبياً من الزنزانة؛ رجل أسود البشرة، غليظ الشفتين، يفوق الكهنة طولاً، تحيط قدميه ومعصميه سلاسل حديدية يعلو أغلبها الصدا.

يسأل الرجل بصوت عميق يشعر به الكهنة يبعث القشعريرة في

أجسادهم:

- أما يزال حيًا؟

يجيب (جيرد) على الفور:

- يمكنكني سماع أنفاسه.

بلهجة أمرة:

- أعتقد نال ما يكفيه من الراحة، أفقه.

يملاً (جيرد) مغرفة من طبق مياه آسن في أحد الأركان، ويرشها على وجه المتسلل، ويتبعها بلطمة على وجهه تعيد الوعي للمتسلل الذي يبدأ في الصراخ على الفور من الألم الذي يعتري جسده.

تتقدم (ميرا) متناولة قطعة قماش من ثياب المتسلل وتحشرها في فمه كاتمة لصرخاته،

ثم تجذب رأسه في قوة هامسة في أذنه:

- عليك أن تتحلى ببعض الأدب الآن...

تقولها وترفع رأس المتسلل في ناحية الرجل المسلسل وتكمل:

- فأنت في حضرة جلالة الملك.

تسرع عينا المتسلل على آخرها وهو يستوعب أنه ماثل أمام الملك السجين، وتنطلق من أعماقه أعتى صرخة أطلقها يوماً، وإن لم تصدر صوتاً فقد شعر بها تحرق صدره.





تردد صوت جرسين صغيرين عندما دفع رجل ما البابين الصغيرين الخاصين بحانة المدينة.

كان اليوم من أفضل أيام الحانة كعادة ليلة اكتمال القمرين، لكن مع اقتراب الفجر فقد بدأ العاملون بنقل الزبائن إلى الخارج في مبادرة منهم للإغلاق، فيومهم الشاق لن ينتهي بعد رحيل آخر السكارى.. ما يزالون يتطلعون لروتين الإغلاق اليومي، يتوجب عليهم الغسل، والتنظيف، ومراجعة المخزون الذي تلاشى مع إقبال الأمس، وربما بعد كل ذلك يسعدوا بساعات قليلة من الراحة قبل وردية اليوم الجديد.

كان ذلك كل ما يأملون به حتى ظهر أمامهم هذا الزبون الجديد الذي يملك جرسين صغيرين معلقين فوق كتفيه، ما كان ليسمع رنينهما منذ قليل وسط لهو الملاحين، لكن الآن وقد بات الليل أهذا فقد سُمعا بوضوح.

راقب الساقى الرجل المتشح بوشاح أحمر لامع، والقبعة الكبيرة المدببة، حرك الرجل وشاحه للخلف قليلاً يظهر من خلالها خنجران معلقان على كل جانب، لم يكن هناك الكثير ليتأمله الساقى، لقد غطى ظل القبعة على ملامح الرجل، رُغم ذلك لمح بوضوح عينيّ ملونتين.

إن لم يش زيه غير المعتاد، وأسلحته المبهرجة بكونه غريب عن (زراد)؛ فإن عينيّه قد أفصحتا بلونها الرمادي الفاتح.

تابع العاملون نقل زبائنهم للخارج، بينما تأمل الزائر الطاولات الخشبية المستديرة، والكراسي التي تحطم بعضها، رفع عينيّه ناحية البار، مراقباً الساقى الذي يقوم بسكب القليل من الميد في أحد الأكواب القصيرة.

بدا عليه الانهماك في عمله، وقد تجمعت حيبيات العرق فوق جبينه. اقترب الغريب منه، متخذاً أحد الكراسي المستديرة القابعة أمام البار، ولكن قبل أن ينطق الغريب؛ شعريده ثقيلة على كتفه، يلتفت لصاحبها ليجده أحد الملاحين السكارى، ضخم الجثة، أشعث اللحية، مبهج الأسارير، وكأنها التقى صديقاً قديماً.

- أنت محظوظ أيها الغريب. فلست فقط في (زراد) ليلة اكتمال القمرين، ولكن ستحظى بـ(خاشيد) كنديمك.

يتجشأ الملعون السكير، ثم يقترب من الغريب، مفسراً بصوت خفيض:

- أنا (خاشيد).

يميل الغريب بجسده باعداً أنفه بقدر الإمكان عن فم الملعون.

- (حيف).. فلتقدم كوبًا من الدُخن لصديقي هنا.

يقولها (خاشيد) للساقي بصوت عالٍ، وحماسة مفرطة، رغم قربهِ من الساقي وهو يتخذ المقعد الملاصق للغريب.

يصب الساقي كوب الدُخن أمام الغريب، ثم يعود لتنظيف الأكواب في آلية...

ينقل الغريب نظراته المتشككة ما بين كوب الدخن الموضوع أمامه، ووجه (خاشيد) منبسط الأسارير، ثم يهز كتفيه بلامبالاة متجرعًا جرعة كبيرة من الدُخن، لكن الجرعة لا تبقى كثيرًا في فمه؛ بل تخرج سريعًا من أنفه ومن فمه، مصحوبة بسعالٍ شديد.

يربت (خاشيد) على ظهره قائلاً:

- اعذرني.. نسيت أن الدُخن مذاق مكتسب، ما أن تعتاد عليه حتى تقدره، دعني أخلصك من هذا.

يمد يده صاحبًا كوب الدخن أمامه، متجرعًا نصفه، قبل يوجه حديثه للساقي مرة أخرى:

- (حيف).. فلتضع للرجل بعضًا من الميد.

مرة أخرى يصب الساقي كوبًا جديدًا، ويضعه أمام الغريب الذي ما يزال يحاول التقاط أنفاسه دون أن يسعل. يأخذ الغريب الكوب ليتجرع جرعات سخية من السائل الكهرماني، محاولًا تطهير حواسه من طعم الدخن.

يتناول (خاشيد) طرف وشاح الغريب، متحسبًا إياه...

(خاشيد):

- إذن أنت من (الخطباء)... أم من (ثيام)؟

يجذب الغريب طرف وشاحه من يد (خاشيد) الذي كان بدأ يتشممه.

- ثيام...

يقولها الغريب بصوت متحشرج وعينين مائتزان تدمعان من أثر الدُخن.

يتمتم (خاشيد) على أثرها:

- إذن فهي ليست زيارة دينية لرهبان القمر.

ينتفض الغريب شاعرًا بالإهانة وقد صفا صوته:

- وأنت تظن أن ثيابي تماثل خرق حجاج (الخطباء)!

- لا.. لا.. بالتأكيد أنت سائح من أهل (ثيام) الكرماء، وأنت بالتأكيد سعيد الحظ فاليوم سيكون (خاشيد) نديمك.

ثم يقترب منه هامسًا بصوت خافت:

- أنا (خاشيد).

يسكت للحظة مفكرًا:

- هل قمنا بتلك المحادثة من قبل؟

يتجاهله الغريب، منهيًا كوب الميد، متهينًا للرحيل.

في سرعة يصيح (خاشيد) في الساقبي:

- ماذا تنتظر وكوب الرجل فارغ!

يملاً الساقى كوب الغريب قبل أن يستطيع الاعتراض، ويأخذ كوب (خاشيد) الفارغ ليملاه بالدُّخْن.

- أخبرني يا صديقي، هل جئت لتزور ميناء (زراد) العظيم؟
يؤسفني إخبارك بأن الميناء الشمالي محظور، فالوباء قد وصل إلى شواطئنا، الملك السجين أخذ برأي طبيب الوباء وأغلق الميناء الشمالي تماماً، والميناء الشرقي حالياً يضم الأسطول الحربي؛ فلا يطأه إلا قادة الجيش، وكبار التجار بتصريح من الملك.

يبدو وكأن شيئاً في حديث (خاشيد) قد جذب انتباه الغريب؛
فالتفت إليه متسائلاً:

- ألا يزال الطبيب حياً؟!

- الطبيب القديم مات منذ زمن، وذلك ابنه...

يكمل (خاشيد) محدثاً نفسه بصوت مسموع:

- أظير من أطباء الوباء بمنقارهم ورداء الشؤم الذي يرتدونه.. إذا أردت الحق.. هم يروعونني أكثر من كهنة النار ذاتهم.

يظهر وأن أذن الغريب قد تمددت عدة انشأت مع ذكر «كهنة النار»،
وعيناه لمعت وهو يقول في لهفة:

- هل من السهل مقابلة كهنة النار؟

- نعم.. بالطبع، كهنة النار...

يقولها (خاشيد) ضارباً صدغه بكفيه:

- بالتأكيد أنت تريد أن تعرف عن كهنة النار، حراس الملك السجين، وحماة (زراد).. هل تعلم أن كهنة النار لا تفارقهم النيران

أبدًا، حتى في أحلامهم، لا ينجون منها، تأتي النار لتلتهم بعضًا من
أرواحهم وتستبدلها لهبًا...

يقاطعه الغريب:

- نعم.. نعم.. هلا أخبرتني إن كنت أستطيع لقاء كبيرهم، يلقبونه
بالـ(أركون) أليس كذلك؟

- بالطبع يمكنك ذلك لو كنت محظوظًا بما يكفي ليكون (خاشيد)
نديمك.

وقبل أن يميل عليه (خاشيد) مرة أخرى لتوضيح أنه (خاشيد)
قاطعه الغريب:

- أخبرني إذن يا صديقي.

يرجع (خاشيد) للوراء باحثًا بأصابعه عن ذقنه ليأخذ مظهر المفكر
بلا جدوى، فيرضى بأن يشير بإصبعه في حركة دائرية قائلاً:

- تلك معلومات ثمينة، أستحق عليها ترضية من صديق كريم
مثلك.

يخرج الغريب دون كلمة بعضًا من العملات المعدنية، لكن (خاشيد)
يستوقفه.

- يبدو يا صاحبي أن تلك أول زيارة لك لـ(زراد)، قطع المعدن
تلك صارت لا تساوي شيئًا هنا، فقط الكريستالات.. عذرًا لا
أستطيع مساعدتك.

يدور (خاشيد) بمقعده مستعدًا للرحيل، ليستوقفه الغريب مترجياً:

- رُبما أستطيع تقديم شيء آخر مقابل تلك المعلومات، ما رأيك

بهذا الوشاح الثمين؟.. أنا أعلم أن تلك الأقمشة لا تصل إلى (زراد).
- بالتأكيد لا تصل، فلا حاجة لنا بها..

يصمت لبرهة متفحصا الغريب بعين زائغة.

- أتعلم شيئاً، أنا في مزاج رائع اليوم، يعجبني الخنجريين اللذين
تحملهما، ما قولك في أن تستبدلها بما لدي؟

تمر لحظات من التردد على وجه الغريب، قبل أن يخرج الخنجريين،
وينظر لهما مطولاً في وداع، ويضعهما أمام (خاشيد).

يتجاهل (خاشيد) الخنجريين مقترباً من الغريب مجدداً، بادياً عليه
أنه سيخبره بسر رهيب، ثم يبدأ في التكلم هامساً:

- ستخرج الآن من الحانة، وتتجه ناحية الأجراس التي تُصدعنا بها
الكاتدرائية، ما أن تصل إلى هناك حتى تتجه يميناً عابراً الجسر الذي
يمر فوق القناة، ستجد الطريق متجهاً إلى أعلى، لا مجال للضياع فكل
ما ستجده أمامك هو أسوار القلعة. ستجده نحو البوابة، وتخبرهم
أنك من شركاء (سليك)، وتريد أن تقابل (الآركون)، لكن احرص
على التخلي عن تلك الملابس، فهي تفضح أمرك كسائح غريب.

يهز الغريب رأسه في حماسة، وهو يقول:

- أشكرك بشدة، أنا أعلم أنه لن يمثل أهمية بالنسبة لك، لكن
تقبل مني هذا الوشاح هدية مع الخنجريين.

يبتسم (خاشيد) قائلاً:

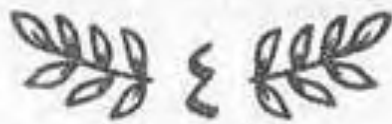
- هدية مقبولة، دعني أحاسب على مشروباتك إذن؛ فنقودك لا
تصلح هنا على أي حال.

يهز الغريب رأسه بامتنان متوجّهاً خارج الحانة، وجسده يهتز من
فرط الحماس لترن الأجراس المعلقة على كتفه.

ما أن يخرج الغريب حتى يقترب الساقى من (خاشيد) ساحبًا
الأكواب الفارغة من أمامه قائلاً:

- كانت تلك قسوة غير مبررة منك يا (خاشيد)، سيعلقون رأسه
على الأبواب بمجرد ذكر اسم (ساليك).

يهز (خاشيد) كتفيه بلا مبالاة، ثم يريح رأسه على البار ويعلو
شخيره بعدها بلحظات.



خلت شوارع (ساهور) ومبانيها من أي أثر للحياة في تلك الليلة الصاخبة. يومًا ما كانت مقاطعة (ساهور) أكبر وأهم مقاطعة في (زراد)، وأكثرها صخبًا، ولطالما ضجت بحفلات النبلاء الراقصة.

رحل النبلاء، وخلت قصورهم، وتوقف صخب الموسيقى والحياة في (ساهور)؛ فبرغم خلو القصور لم يحاول الملاحين أبدًا الانتقال للعيش بتلك المقاطعة التي تقع في قلب المدينة، فضلوا أن يظلوا على ضفة النهر الأخرى، تلك حياتهم وبيوتهم التي ورثوها وألفوها حتى قبل أن يوصموا ملاعينا، وربما أيضًا أرادوا أن يظلوا أكثر قربًا إلى الميناء، وأبواب المدينة...

أو لعل قلوبهم لم تنزل تحمل قدرًا من الشرف لم يطمسه الميّد والدُخْن ينكز ضمايرهم بذكرى هوانهم وخذلانهم لمن لم يرضَ لهم بالهوان.

بيت واحد لم يهجر من (ساهور، بيت (طبيب الوباء).

ورث الطبيب المهنة والبيت من أبيه آخر طبيب وباء في عصر
النبلاء، حين نفى الملك السجين النبلاء لم يطلب منه الرحيل؛ فهو
لم يكن يعتبره من النبلاء، أو حتى من أوليائهم، ولم يفكر الطبيب في
أن يرحل. فولائه الوحيد كان لواجبه المقدس؛ درء الوباء عن أسوار
(زراد)، لا يهم إن كان ساكنوها نبلاء.. ملاعين.. أو حتى مجموعة
من الكلاب الضارية؛ الوباء لن يدخل (زراد).. ذلك القسم،
وذلك الهدف الذي ورث لسلالة (أنشتون).

جلس طبيب الوباء بمكتبة القصر التي يحسده عليها كل طالبي
العلم في المملكة، على ضوء الشموع الخفيض كان يراجع الرسالة
التي أنهى كتابتها، وحبرها لم يكن قد جف بعد....

جلالة الملك.

أخط تلك الكلمات أملًا أن تتفهم أسباب ما
أنوي فعله.. أقسمت سلالة (أنشتون) منذ
الوباء الأول على ألا يدخل الوباء مملكتنا
مرة أخرى، لم يعنني أي من أسلافي بذلك
القسم... وكوني آخر الناجين من سلالتي لن
يجعلني أول العائدين.

السفن المحملة بالوباء ترسو على شواطئنا،
ومن تبقى من النبلاء في (ثيام) يتهايمسون
بأن تلك لعنة القمر الغائب، وأن وجود سوف
يكون سبب دخول الوباء مرة ثانية لـ (زراد).

تلك المرة مخلصنا (زراد) من الملاعين، ومن

كهنة النار، ومؤذنا بعودة من تبقى من النبلاء
المؤمنين، ليرفعوا ذكر القمر الغائب مرة
أخرى.

جلالة الملك إذا دخل الباء ويارنا سيكون
هذا عاري وحدي، ولن يتعمله غيري. ولا
يوجد ما أستطيع صنعه لإيقاف ذلك... ليس
وأنا هنا في (زراو).

الباء قام مع قاطني ما خلف الوادي، في
أرض الممالك القديمة، والمؤكد أن مصدر
الباء إما في الوادي أو في (بصر السجراء)؛
فلن يطبق مريض رحلة الوادي أو ركوب
البصر ذلك مؤكد.

اليوم وبعد أن أستم رسالتي سأطلق مرتحلًا
إلى أراضي الممالك القديمة باحثًا عن مصدر
الباء، ذلك الأمل الوحيد.

إما تصييد المصير وإما تخليق علاج منه، هذا
أو أن تنتهي سلالة (أنشتون) قبل أن يدخل
الباء (زراو).

طبيب الباء.

(سيفاء أنشتون).

يضع (سيفاد) ورقة الترشيح مجففاً آخر قطرات الحبر السائلة على رسالته، قبل أن يطويها خاتماً إياها بختم الملك، متأملاً الصبي الذي لم يتبادل معه كلمة واحدة منذ لقاءهما.

ظل الصغير يتأمل شوارع (ساهرور) الخالية من نافذة المكتبة، تاركاً الطبيب ينهي رسالته.

لم يقطع الصمت سوى خادم دخل بعربة ضيافة، رشف الصبي شراب الأعشاب الدافئ الذي ناوله الخادم إياه بنهم ليعث الدفء في أوصاله، ونقل نظره من النافذة متأملاً وجه (سيفاد) دون قناع الطبيب، كان حليق الوجه، أنفه مدبب وكأنها سينمو في يوم ليمائل متقار القناع.

- ما اسمك؟

- (عاند).

يأتي صوت الفتى.

- لم تكن من ضمن من أحضرت من الميناء، من أين أتيت؟

يطأ طي الفتى رأسه منشغلاً بخطوط الأرضية المزخرفة دون أن يجيب الطبيب.

- أظن أنني أملك فكرة عن مكان مجيئك.. أنت هارب من الكاتدرائية؟

يرفع الفتى رأسه وتتسع عيناه في هلع وهو يقول:

- أرجوك يا سيدي سأكون خادماً مخلصاً، لا تُعدني إلى هناك.

- لست جليس أطفال لأحضر ك أو أعيدك، إذا أردت أن تصير خادماً

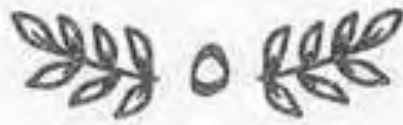
فعليك أن تعرف أولاً أن خدمة طبيب الوباء ليست بالأمر اليسير.
يفتح طبيب الوباء الغرارة التي كان قد حصل عليها من اللحاد،
ليتناثر فوق مكتبه ثلاثة قلوب بشرية.

يتراجع الفتى لا إرادياً.

- تريد أن تصير خادمي؟ خذ تلك القلوب وسيدلك واحد من
الخدم على المعمل. ضعها على طاولة المعمل وانتظرنى.

يتردد (عاند) للحظة قبل أن يتقدم معيداً بيده القلوب للغرارة
مصطحباً إياها خارج الغرفة، ولكن قبل أن يخطو خارجها جاء
صوت الطبيب قائلاً:

- إذا وجدت أنه بإمكانك تحمل رائحة المعمل، والتجارب التي
سأجرها اليوم، يمكنك أن تظل بصحبتى في الرحلة التي أنا
بصددها الليلة.



يترجل (سيفاد) والصبي من عربة الخيل بعد أن توقفا خارج جدران المدينة على أطراف الميناء الشرقي، يعطي الطبيب أوامره للحمالين في سرعة أن ينقلوا المتاع بحرص إلى رصيف التحميل، ويتحرك بعدها نحو الميناء يتبعه (عاند) كظله، وقد أثبت أن لديه معدة قوية بتحملة تشريح الطيب للقلوب، بل وتنظيف ما خلفه الطبيب من فوضى.

على عكس أغلب مناطق المدينة الآن؛ كان الميناء الشرقي يضج بالحياة، ما بين الجنود والبحارة، وعاملي الميناء، الذين انهمكوا في تحميل البضائع المنطلقة إلى أنحاء المملكة، وقد بدا عليهم الإجهاد الشديد، وبدا على بعضهم آثار الخمر؛ فلم يمنعهم دوامهم الليلي من الاستمتاع ببعض الكؤوس في ليلة اكتمال القمرين على ما يبدو. كان الدوام الليلي يقتصر في العادة على بعض أعمال الحراسة، وإنهاء الصفقات التي لا تصلح أن تنكشف تحت عين الشمس.

كل ذلك تغير مع إغلاق الميناء الشمالي؛ فسفن الصيد لا تنطلق إلا صباحًا، وسفن التجار تدخل حوض الميناء فقط في المساء.

كان الميناء الشرقي أصغر حجمًا من نظيره الشمالي، ولكنه يظل ميناءً ضخمًا كان في يوم الميناء الوحيد للمملكة قبل بناء الميناء الشمالي، وموانئ (جزر السجاء) الجنوبية.

لكن نظرة واحدة عليه الآن تدرك معها أنه لا يصلح أن يكون الميناء الأوحـد لتعداد سفن اليوم.

في الأفق يمكن رؤية ضوء الفئـار يكشف سوارى الأسطول مصطفىة في عمق بحر (السجاء)، وخارج حوض الميناء على الجانبين يمكنك رؤية كتلة متلاحمة تكتشف ببعض التدقيق أنها مراكب الصيد تتراقص في عنف مع الأمواج والمد العالى، يبقى بعض الصيادين على متن تلك السفن بالليل حتى خروج السفن التجارية قبل أنوار الصباح.

يجلس مراقب الميناء على طاولة خشبية صغيرة مزينة بالخدوش والشقوق، وقد غطى وجهه بوشاح يقيه رياح (السجاء) الباردة، ورذاذ الأمواج العالية، وأمامه عددٌ من الدفاتر، أحدها مفتوح يخط به بتكاسل محاولاً ألا يغفل نائماً.

يعلو صوت الجنود الذين افترشوا الرصيف الخشبي جانبه منهمكين في حديث مشتعل عن مشاهدات لغيلان عند البوابات الشمالية.

يتوقف حديث الجنود، ثم يهبون واقفين مع اقتراب الطبيب بزيه المهيـب، وقناعه المشؤوم.

يتجاهلهم (سيفاد) مواجهها المراقب الذي لم يستوعب سبب سكون

الأصوات من حوله فجأة.

- أي من تلك السفن يتجه لخليج (سيجول)؟

يخرج صوت (سيفاد) من تحت القناع، برنين مميز، يجفل له المراقب... تمر عدة ثوانٍ، يُحاول أن يتأكد فيها المراقب أنه لا يحلم بما يحدث الآن، وما أن يُدرك أن الطبيب أمامه بالفعل حتى يُزبح الوشاح من على وجهه، تاركًا للهواء البارد ورذاذ الماء المالح مهمة إزاحة دفء الكسل عن وجهه.

تمر عدة ثوانٍ أخرى قبل أن يبدأ في مطالعة الدفتر المفتوح أمامه؛ تاليًا في عقله كل الصلوات التي يعرفها بالألا تنتهي الليلة بأمر لإغلاق هذا الميناء أيضًا، وحوطهم بدأ عمال الميناء في إبطاء خطواتهم، متأملين الطبيب بشيء من الحذر؛ وقد بدا أنهم يشاركون مراقب الميناء الصلوات نفسها.

يرفع المراقب وجهه من الدفتر أخيرًا، وقد أزاح البرد من وجتيه كل آثار الدم:

- يوجد سفيتا ركاب سوف يمران بخليج «سيجول» في طريقهم لـ(تشو)، وجليون تجاري سوف يرسو في (ثول).

- متى سينطلق الغليون؟

نظرة أخرى على الدفتر، قبل أن يجيب المراقب:

- ساعتين على الأكثر.

- ومن صاحب الغليون؟

- (هيشا ديلرث).

- خذني إليه.

يهب المراقب واقفاً في سرعة، مغلقاً دفاتره، متقدماً الطريق، وقبل أن يتبعه يُخرج (سيفاد) الرسالة المختومة ليناولها لأحد الجنود المتابعين، قائلاً بلهجة امرأة:

- تُسلم إلى يد واحد من كهنة النار، ولا أحد سواهم.

يتحرك الجندي في سرعة منفذاً أوامر الطبيب، بينما تابع (سيفاد) طريقه خلف مراقب الميناء، وفي أثره الصبي الصغير.

وصل المراقب إلى منتصف رصيف الميناء أمام غليون ضخيم، مشيراً إلى رجل شائب الرأس، يرتدي معطفاً جلدياً طويلاً بني اللون، زينت أكمامه بأزرار ذهبية، وحذاء عال الرقبة يماثله في اللون، وقد زين نعله ومقدمته بالفضة، بينما وجهه غُطي بوشاح من الصوف يقيه البرد.

- ها هو...

تقدم الطبيب منه، فالتفت (هيشا) نحو الطبيب متسائلاً وقد اتسعت حدقتا عينيه:

- أوصل الوباء إلى هنا أيضاً؟

يتساءل في فزع واضعاً كلتا يديه فوق وشاحه، وكأن ذلك سيقه الوباء.

أجاب الطبيب في لهجة امرأة:

- لا.. أرغب بأن تقلني إلى (ثول).

أزاح مالك الغليون الوشاح عن وجهه كاشفاً عن شارب كث،

قائلاً بلهجة حذرة محاولاً ألا يتفوه بها بسبب غضب الطبيب
والملك بالتبعية:

- سيدي الطبيب تلك مركب تجارية، لا يوجد بها مكان يليق
بمسافر عظيم الشأن مثلك.

يشيح الطبيب بيده لمراقب الميناء أن يرحل، فيهرع عائداً لطاولته
بينما يتأمل (سيفاد) ملابس التاجر ملياً من وراء القناع ثم يقول:
- ما يليق بك يا سيد (هيشا) سيكون مناسباً لي.

قبل أن يفهم (هيشا) مقصد الطبيب، أخرج من جيبه كريستالة
لهب متوسطة مكماًلاً:
- سأخذ قمرتك مقابل كريستالة اللهب هذه.

ما أن رأى «هيشا» كريستالة اللهب حتى انتفض كاللدوغ واضعاً
يده على يد الطبيب ليخفي الكريستالة، وهو ينظر حوله في توجس
قائلاً:

- لا.. لا.. لا... لا يمكنك ركوب البحر بتلك الكريستالة الملعونة.

ثم يستوعب مع من يتحدث؛ فيبتلع لسانه على الفور، ساجداً
يده، ولكن واضعاً جسده كحاجز يمنع البحارة من رؤية ما في يد
الطبيب، قائلاً بصوتٍ مرتجف وحلقٍ جاف:

- سيدي الطبيب إن لأهل البحر آآ ... آآآ ... خرافاتهم؛ فمنذ أن
عرفت (زراد) كريستالات اللهب ولم تصل أي سفينة حملت كريستالة
لهب لوجهتها.

ينظر (سيفاد) لكريستالة اللهب في يده في عدم تصديق قائلاً:

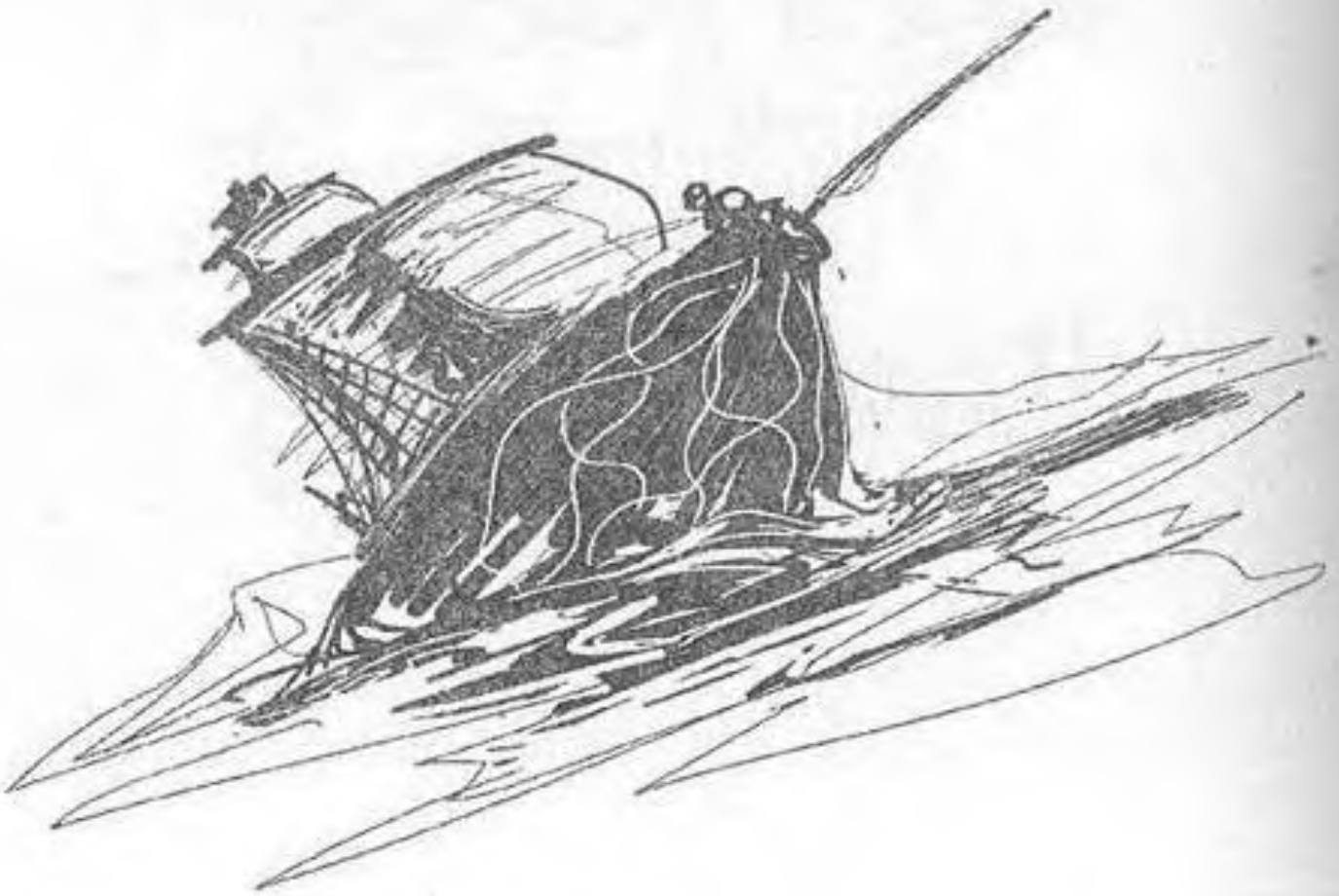
- يقضي البعض سنواتٍ من عمره من أجل كريستالة كتلك.
- صدقني أنا أعلم هذا يا سيدي، وإن قلبي لينفطر وأنا أرد تلك الكريستالة، لكن حتى أنا لا أجرؤ أن أطأ غليونني وفي جيبني كريستالة لهب. سيفتك بي البحارة في الحال لو شكوا بوجودها معي.
- يضع الطبيب الكريستالة في جيبه مخرجًا حافظتي كريستالات متخمة، يفتح واحدة ليُري التاجر ما بداخلها.
- كاد الطبيب أن يرى لعاب التاجر يسيل، وقد راح عن باله كل خوف، وبقي فقط بريق الكريستالات في عينيه.
- مئتا كريستالة فارغة، من أجل قمرتك إذن.
- يختطف (هيشا) الحافظتين، واضعًا إياهما في جيب معطفه الداخلي، قبل أن يقول:
- بالتأكيد، سوف أفرغ القمرة من كل أشياءي في الحال.
- يستدير الطبيب متجهًا للغليون، لكن «هيشا» يستوقفه قائلاً بحرج:
- آه... سيدي الطبيب.. ما تزال تحمل كريستالة لهب.
- يخرج الطبيب كريستالة اللهب التي وضعها بجيبه في نفاذ صبر، ثم يلقيها ما بين فراغات خشب رصيف الميناء لتغطس في الماء وتختفي.
- تعلق نظرات (هيشا) بالكريستالة الثمينة التي ابتلعها الماء، غير مصدق ما فعله الطبيب، حتى يأتي صوت الطبيب قائلاً:
- أمتعتي عند مدخل الميناء.

ينادي (هيشا) على بعض عماله كي ينقلوا حقائب الطيب، ثم
ينظر إلى الصبي الصغير الذي وقف خلف الطيب ينظر إلى المياه
بتوتر شديد.

- أهو خادمك؟ بإمكانه البقاء في الطابق الأول مع العمال،...

يقاطعه الطيب:

- لا حاجة لذلك.. سوف يبقى معي.



Handwritten text in Urdu script, appearing as a list or series of notes. The text is very faint and mostly illegible due to the quality of the scan.





الفصل الثاني





- فيدا (هينادا)، لورد (آروين) نيزاد) في انتظارك.

أشارت الفيدا بيدها للوصيفة التي أبلغتها بوصول اللورد لترحل دون أن تستدير من أمام المرأة.

أومأت الوصيفة برأسها وخرجت في الحال، تاركة الفيدا وحدها مرة أخرى في بهو القصر.

للحظات ظلت (هينادا) تتأمل بعينيها المدهامتان بشرتها الشاحبة، وشعرها البني المجعد المعقوف في كعكة كبيرة فوق رأسها وقد زين بدبوس شعر ذهبي بهت عليه شعار عائلة (بونيوم) البارز. نظر أخيرة على فستانها الذي يماثل لون عينيها، ثم توجهت لغرفة الاستقبال ليقف ضيفها على الفور مصافحاً إياها بحرارة بكلتا يديه قائلاً:

- تعازي الحارة (هي....) آآ أقصد فيدا (بونيوم)، انفطرت أفئدة أهل (ثيام) حزنًا على رحيل اللورد (بونيوم).

هزت الفيدا رأسها امتناناً، وأشارت للورد بالجلوس لكنه انتظر حتى تجلس هي أولاً قبل أن يتخذ مقعده أمامها.

- لا حاجة للألقاب يا (آروين) ونحن لحالنا، إلا إذا كنت تحبذ أن أحاطبك بلورد (نيزاد)؟

قالتها (هينادا) بصوتها الدافئ موجهة له بسمة تودد قلة حظوا بها من قبله.

أضاعت عيناها وبسمتها حضور ذهنه. للحظة صمت، قبل أن يدرك أنها تنتظر ردًا منه فيرد في سرعة مرتبكا:

- نعم بالتأكيد... أقصد لا... لا حاجة للألقاب بيننا.

لحظات صمت مربكة لـ (آروين) لا ترفع فيها (هينادا) عينيها من عليه ولا تختلج ملامحها.

يفكر (آروين) بسؤال (هينادا) مباشرة عن سبب طلبها له، لكن لماذا يفعل ذلك؟

لما يختزل لحظات الصمت وإن كانت مربكة، وخلجاته تشتاق لحضرة جوهرة (ثيام) ذات العيون الزمردية؟

ليصمت إذن، فالصمت خيرا لقلبه.

إلا أن اللحظات طالت، ونسائم صباح (ثيام) قد صدها ثقل الصمت؛ لا فرار من إلقاء طرف الحديث.

- علام نويت بعد انتهاء الحداد؟

تلاشت البسمة التي على وجه (هينادا) وهي تجيب:

- نويت العودة.

في عدم فهم تساءل:

- العودة إلى أين؟

- العودة إلى موطننا.

طالت أمارات عدم الاستيعاب على وجه (آروين) فتقدمت (هينادا) بجذعها للأمام قائلة وكأنها تلقنه:

- (زراد).

مأخوذاً وهو يحاول رسم بسمه على شفتيه غير متأكداً من جدية الفيدا:

- أترغبين بزيارة (زراد)؟

- لم أقل ذلك.. أريد العودة.

- العودة إلى أين؟

يقولها هذه المرة بشيء من العصبية، ثم يكمل مقاطعاً إجابة قد همت بقولها (هينادا):

- أعني العودة لماذا بالضبط؟.. دعكِ من إمكانية حدوث ذلك، ترغبين في العيش وسط الملاعين؟!

انتظرت (هينادا) للحظة لتؤكد من عدم مقاطعته لها مرة أخرى قبل أن تقول: لم يكونوا ملاعيناً حين حكمنا (زراد)...

- حين حكم النبلاء (زراد) كنا أطفالاً، (ثيام) هي وطننا الآن، وطن النبلاء حيث أموالهم وخدمهم.

ردت في تهكم:

- تتحدث بكلمات سمعتها من أبي من قبل، أهنأك كُتِيب يوزع على النبلاء به تلك القوانين؟!

تجاهل (آروين) تهكمها متناولاً كوباً من الماء البارد الذي وُضِعَ أمامه متجرعاً إياه، مبتلعاً كلمات تسوء الفيدا كادت تفلت منه.
- (هينادا) إنَّ وفاة والدك لا تعني نهاية عائلة (بونيوم) في (ثيام).
الأيام الماضية فضلنا أن نعطيك مساحة للحداد، لكننا هنا من أجلك.

- أنت تسيئ فهم الوضع؛ قراري ليس عاطفياً بأي شكل. النبلاء يحتاجون إلى أن يعودوا إلى (زراد).

وأشارت له بيدها قبل أن يقطعها، ثم أخذت نفساً طويلاً، أعقبته بقول: أموال النبلاء التي تتحدث عنها هي نقطة في بحر أخلفناه وراءنا في (زراد)، ويقتلني غيظاً أن تلك الثروات لم يحاول الملاحين حتى استخدامها؛ بل صك لهم كهنة النار عملة جديدة.

رغمًا عنه يقطعها: ذلك شيء جيد، فذلك رفع من قيمة الثروات التي خرجنا بها.

- صحيح، في العشرين سنة التي مضت، لكن هل فكر أحدكم في المستقبل؟ نحن لم نترك ثرواتنا؛ لقد تركنا إلهنا أيضاً.. كاتدرائية القمر التي بذل النبلاء قروناً لتكون مقصداً دون سواها لكل المؤمنين في قبضة الملاحين. يأتيها الحجاج من كل صوب.

- لم أكن أظنك بذلك التدين يا فيدا.

- أنت لا تسمعي.. في البدء كان فقراء (الطهباء) هم من يذهبون للتبرك في الكاتدرائية، لكن الأمر اختلف؛ مع تشتت النبلاء في البلاد

انتشرت عبادة القمر في الممالك الجديدة، الآلاف.. بل مئات الآلاف الآن يقصدون (زراد) للحج، وليس الفقراء فقط، وحين يصلون إلى هناك فنقودهم بلا قيمة؛ فيغرقون الملاحين بالبضائع أو يستخدمون تلك الكريستالات.. الكريستالات أصبحت في كل بقعة يتواجد بها المؤمنون، حتى وصيفتي صارت تسألني إن كانت تستطيع الحصول على أجرها كريستالات لأنها تنوي زيارة الكاتدرائية.

أتبعت ذلك بنظرة لـ (أروين) لتأكد من أنه فهم ما تريد إيضاحه.

احتاج اللورد إلى عدة ثوانٍ قبل أن يهبط عليه الفهم فجأة:

- اللعنة.. أولئك الأوغاد سيقتلون قيمة الليرات.

تسلم ظهرها للأريكة المخملية، وهي تؤمن على كلماته:

- كبداية نعم.. إن وجود (زراد) بجيشها تحت إمرة الملك السجين قد قتل تجارتنا بشكل كبير في كل الجزر الشمالية، وتوسّعنا فيما خلف الوادي. إن عودتنا إلى (زراد) هي استمرارية لوجود النبلاء.

ساد الصمت مرة أخرى قبل أن يسأل اللورد:

- هل ناقشت أباك في ذلك الأمر من قبل؟

- بالتأكيد.

أجابت باقتضاب، لم تكن إجابة كافية كما ظهر من تعابير (أروين)، لتُطلق زفيرًا قصيرًا قبل أن توضح:

- أبي كان يعتقد أن زواجي من عائلة ملكية سواء في (ثيام) أو أي مملكة أخرى سيضمن لعائلتنا البقاء في وضع مالي مناسب؛ أن أحياء وأموت كـ (فيدا)، الأوضاع السياسية واستمرارية النبلاء أو اندثارهم

لم يكن من اهتماماته؛ فأنا آخر فيدا في العائلة ولا أملك أخوة
يورثون اسم (بونيوم).

بدأت لمحة من الامتعاظ على وجه اللورد لكنه سرعان ما أخفاها.

- حديثك به الكثير من المنطق، لكن ما الذي يمكننا القيام به؟

اتسعت بسمه الفيدا مع سؤال (أروين) وقد وضع كليهما في جانب
واحد في سؤاله:

- يمكننا عمل الكثير...



أفرغ التاجر صرتين من الكريستالات على منضدة الصفريات أمام زبونه، وبسرعة خبير يمرر الكريستالات على الدوائر الثلاث المحفورة عليها مُحدِّدًا قيمة كل واحدة حسب أي من الدوائر تناسب حجمها، ومزيجًا من على المنضدة لدلو خشبي كل جزء قل حجمه عن الدائرة الصغرى.

كانت تلك المناضد ضرورية لتحديد قيمة كل قطعة كريستال متداولة طالما خلت من قلبها الناري أو أي قلب آخر. فكريستالات الذهب يوجد مثلها كريستالات أخرى يختلف لون قلبها، وبناءً على الأساطير القادمة من الممالك القديمة؛ فإن ما يوجد بقلب تلك الكريستالات كلهب أو غيره ما هو إلا دماء قد نزفتها الآلهة المتصارعة بعد أن حطت في الممالك الجديدة هاربة من الممالك القديمة لسبب ما. فبحسب أساطيرهم أنه حين ينزف الإله تتكون تلك الكريستالات حول دمائه.

يهز الزبون رأسه في رضا على تقييم التاجر لكريستالاته، ويتحرك من أمام منضدة التاجر ليبدأ في اختيار احتياجاته من البضائع المرصودة، ليظهر (خاشيد) واقفاً في صبر خلفه بلحيته الشعثاء، ومقلتيه الحمراءوين. ما إن يتبته التاجر له حتى يقف سريعاً متوجهاً للزبون دون أن يهمل حفنة الكريستالات التي أعاد رصها بعد تحديد قيمتها في جراب جلدي خاص بها.

يهمس التاجر للزبون بصوت خفيض:

- ربما يمكنك أن تجد مجموعة أكبر من البضائع بالمخزن. مدخل المخزن من الحانوت المجاور.

يخبره بذلك وهو يوجهه للباب، وداساً في يده الجراب الجلدي. وما أن يخطو خارج الحانوت حتى يسكر وراءه ضلقتي الباب، ويعود لـ (خاشيد) الذي لم يلتفت حتى من موقعه أمام المنضدة. يعود التاجر للجلوس خلف المنضدة شابكاً أصابعه وهو يتكئ فوقها.

- ما الذي يحدث يا (خاشيد)؟

تأتي كلمات (خاشيد) محملة برياح من الدُخن، وثقل لسان من أثره:

- الذي يحدث هو أنك تتحدث، ولا أرى كريستالاتي تملأ الدوائر التي أمامك.

في عصبية يرد التاجر:

- عن أي كريستالات تتحدث وأنت لم تنفذ مهمتك بالأمس!

- رأس ذلك المغبون معلقة على بوابة القصر الخارجية.

- وماذا؟ هل تعتقد أنني سأصدق أنك قطعت رأسه ووضعتها هناك؟!

ينظر (خاشيد) حوله للحظة، ثم ينظر للتاجر، ثم يسأله بحيرة:

- لحظة! ما الذي نفعله الآن؟ اتفاننا كان على ثمن الروح، والآن لديك مشكلة في طريقة تخليصي لتلك الروح! إذا أردت أن يتم الأمر بطريقة محددة كان عليك أن تكون واضحاً منذ البداية، ولكن يمكننا الوصول إلى تسوية.

ينظر له التاجر في دهشة منتظراً منه التوضيح؛ ليكمل (خاشيد) وقد اختفى أي أثر من ثقل اللسان في كلماته وهو يقول:

- يمكننا نسيان ثمن تلك الروح، وكهدية مني لن أحاسب الورثة على ثمن الروح الثانية.

- أي روح ثانية وأي ور...

يستوعب في لحظتها التاجر ما قصده (خاشيد) ليحتقن وجهه، ويخرج حافظتين من الجلد المزخرف ليضعهما أمامه على المائدة.

- بحق الخسوف يا (خاشيد).. لست أحاول الحث بالعقد.

يتناول (خاشيد) الحافظتين الجلديتين يشعر مطمئناً بثقلهما ويقول:

- أنا متأكد من ذلك يا (حارد) بالرغم من أن ذلك تعاملنا الأول إلا أن هناك شيء بشأنك يعطيني الشعور بالثقة.

يتأمل التاجر وجهه للحظة، متفحصاً إياه محاولاً أن يستشف إذا كان يمزح قبل أن يقول:

- (حارد) من؟ أنا (صاريف)، ونحن نعمل سويًا منذ سنوات! لم أكن أعرف أنك تنفذ عقودًا لشخص آخر!

سكت للحظة والاندھاش ما يزال جليًا على وجهه ثم يكرر:

- (حارد) من؟

يلقي (خاشيد) نظرة سريعة داخل الحافظتين متجاهلاً كلمات التاجر، قبل أن يعود لينظر للتاجر متفرسًا في ملامحه وكأنها يريد التأكد من صدق كلماته، يطلق (صاريف) تنهيدة فقدان أمل قبل أن يقول:

- حسنًا.. هذا ليس مهمًا الآن، المشكلة ليست في أنك لم تقتله بنفسك، الآن صاحب العقد الأصلي يريد لقاءك.

- ذلك ليس جزءًا من الاتفاق. ولا أعتقد أن شيئًا كذلك يناسبك، ففي النهاية مكسبك بالكامل من كونك وسيط، إذا بدأت في التعامل مباشرة مع أصحاب العقود؛ اشرح لي ماذا سيكون دورك بالضبط؟

- (خاشيد) أريدك أن تفهم أننا نواجه عددًا من التعقيدات، وأحتاج مساعدتك حتى ننهي أي أمور عالقة تخص ذلك العقد.

متململا وهو يعث في لحيته يقول (خاشيد):

- ذلك أول تعاقد بيننا، وتحدث عن حالة خاصة.. ليست بداية جيدة.

يكاد (صاريف) أن يقول شيئًا ما، لكنه يهز رأسه في استسلام مبتلعا صرخة حنق، ليخرج حافظتي جلد مماثلتين لما قدمه لـ (خاشيد) منذ قليل، ويضعهما فوق المنضدة.

- في تلك الحافظتين أجر يماثل ثمن الروح، كل ما أطلبه منك الآن هو لقاء مع صاحب العقد فقط أرجوك.

لا يأخذ (خاشيد) أكثر من لحظات قبل أن يحسم أمره داسًا الحافظتين في ثنایا ملابسه.

- متى وأين سيكون ذلك اللقاء.

- هو ينتظر بالفعل في الغرفة الخلفية.

بدهشة:

- وماذا لو لم أوافق؟

يرد (صاريف):

- كنت على ثقة أننا ستوصل إلى حلٍ يرضيك.

قالها وهو يخرج أربع حافظات مماثلات من خلف الطاولة ليدسها في جيبه متجهًا للباب الخلفي للحنوت.

يتسم (خاشيد) وهو يتمتم:

- يبدو أنني سهل الإرضاء.

يدلف (صاريف) وفي أثره (خاشيد) الذي لا يزال مبتسمًا إلى الغرفة الخلفية للحنوت. ورغم الباب الخشبي المتواضع المتهالك الذي عبرا من خلاله، والرواق القصير ذي الأرض الحجرية المبللة بالقليل من المياه، المتعفن من الرطوبة؛ إلا أن هذا لا يشي بالباب الحديدي المصفح الموجود في نهايته.

يدفع (صاريف) الباب لينفجر ساعيًا له بالكاد بالولوج، بينما في أعقابها يتبعه (خاشيد) للغرفة الخلفية.

يمسح (خاشيد) الغرفة بنظره، الفتحات المحفورة في الجدران،
التي علقت فيها المصابيح الزيتية وأركان الغرفة التي وضعت فيها
قوالب من الفحم.

كانت الحجرة متوسطة الحجم، ممتلئة بالخزانات الخشبية، وتتوسطها
منضدة محاطة بعدد من المقاعد الخشبية على واحد منها جلس
صاحب العقد.

احتاج (خاشيد) للحظة كي يستوعب هوية الشاب الجالس أمامه.

- بحق الخسوف! (ساليك)! أنت صاحب العقد؟

بابتسامة واسعة على وجه (ساليك)، وذراعين مفتوحين قال:

- يمكنك أن تتفهم توترتي أيها القائد من أن آخر كلمات على لسان
«نبيل ثيام» قبل أن يصطحبوه لقطع رأسه كانت ادعاءه أنه يعرفني!

رعشة ظاهرة اجتاحت جسد (خاشيد) عند مناداة (ساليك) له
بالقائد، ولكنها انجلت سريعاً وهو يتخذ مقعداً خشبياً مواجهها
له (ساليك)، ثم قال بصوت لا يخلو من المرح له (صاريف):

- أرجو أن يكون لديك بعض من الشراب.

هز (صاريف) رأسه وهو متجه نحو الخارج، وهو يقول:

- سأحضره على الفور.

وقد ظهرت على وجهه علامات الارتياح كونه لن يصير جزءاً
من ذلك الحوار.

ما إن خرج (صاريف) من الغرفة حتى قال (ساليك):

- لا أمانع حقاً في أسلوبك الفريد في تنفيذ عقودك، من الجيد أن تأتي

نهايتهم على شكل حوادث مؤسفة، ولكن المشكلة تلك المرة...
يقاطعه (خاشيد) قائلاً:

- أنني دون علم أعطيت اسم صاحب العقد للضحية.

قالها ثم صمت للحظات قبل أن ينفجر ضاحكاً ضحكة مجلجلة شاركه فيها (ساليك)، واستمرت الضحكات حتى دمعت عيونهما. بعد أن هدأت الضحكات تساءل (ساليك) محاولاً استجماع أنفاسه من الضحك:

- هل كانت حقاً دون علم يا قائد؟

ومضة غضب سريعة أخفاها (خاشيد) جيداً تلك المرة مع سماعه لقب «قائد» مرة أخرى.

- وكيف لي أن أعرف أنه كان عقدك؟!

- كل ما أقوله يا ... (خاشيد) أنك كنت مهتماً كثيراً بسبب زيارة ذلك النبيل، ومن أين أتى. شخص في حصافتك وفراستك ربما استطاع ربط أن العقد كان لي.

- لا، كما سيقول لك (حيف).. فأنا أفترض أن (حيف) هو من أخبرك بذلك، فلم يكن هناك غيرنا في الحانة في ذلك الوقت. لم يظهر على وجه (ساليك) أي نية للرد على سؤال (خاشيد) فأكمل:

- كنت أحاول كسب ثقته، ثم لو أردت توجيه أي سؤال لك فلاني أعرف أين أجده على عكس جنود الملك.

رفع (ساليك) يده متسائلاً:

- الآن لا أستطيع تحديد إذا كنت تحاول تهديدي أم طمأنتني أنك تعرف مخابثي وجنود الملك مازالوا لا يعرفون.

- لا هذا ولا ذاك. ما أقوله هو ما حدث.. سوء حظ أصابك أو سوء تقدير أصابني، لكن في النهاية؛ فأنا أدين لك باعتذار.
- أنت تدين لي بأكثر من ذلك.

صدرت تلك الكلمات وكأنها بلسان آخر، غير ذلك الشاب المرح ذي الملابس الفضفاضة المهترئة الجالس أمام (خاشيد). جاءت حقيقة وقدر لا مفر منه، جاءت كوعد حق، وساد الصمت بعدها لم يحطمه سوى دخول (صاريف) بكوبين من «الميد»، وضعهما أمامهما، ليرفع (ساليك) كوبه أولاً محيياً (خاشيد) وتبعه (خاشيد) بأن تجرع كوبه في رشفة واحدة.

سأل (صاريف) وعيناه حائرتان بينهما:

- أيها السادة.. هل توصلنا لأي اتفاق؟

نظر (خاشيد) لـ (ساليك) قائلاً:

- هل توصلنا لأي شيء؟

هز (ساليك) رأسه قائلاً وقد عادت لهجة المرح إلى صوته:

- نعم يا عزيزي (صاريف) لقد توصلنا إلى أن (خاشيد) يدين لي بعقد جديد، ولكنه سيكون مختلفاً بعض الشيء عن العقد السابق، ويحتاج إلى سرعة في التنفيذ.



التف الكهنة راكعين حول دائرة من الرماد مصلين مبتهلين لهيكل النار في وسط ساحة القلعة الملكية بـ(زراد).

تشق (ميرا) طريقاً وسط الراكعين حتى تصل إلى دائرة الرماد؛ لتقبض على حفنة من الرماد الملتهب بيمنها، وتعود لتأخذ مكانها راكعة وسط الصفوف، واضعة يدها المضمومة قبالة فؤادها.

يدور كاهنان حول دائرة الصلاة يتلوان صلوات النار بصوت عالٍ:

- «تظهر جروحنا وتحرق الأعداء، تضيء طريق العارفين، وتغشي بصيرة المنكرين»...

بجوار (ميرا) يركع كاهن صغير السن على وجهه تظهر علامات الألم، وقبضته ترتجف من التهاب الرماد فيها، مع ارتجافاته تتساقط حبات الرماد من قبضته المرتعشة.

- «فإن ربنا نارٌ مستعرة»...

ثم (ميرا) يسراها دون أن تلتفت لتقبض على يد الكاهن الصغير
لتحكم قبضته على الرماد

وتضغطها على صدره، ينتفض الكاهن الصغير متفاجئًا بفعل (ميرا)
لكنه لا يجرؤ على الاعتراض، ولا يملك سوى أن تسيل دموع ألم
صامتة على جانبي وجهه، والكاهنان مستمران بالصلوات.

- «إن انتهينا رمادًا؛ فمن الرماد نولد من جديد».

يقولها الكاهنان معًا ويلقيان في اللحظة نفسها بكريستالتي لهب في
دائرة الرماد تعيد الرماد نازًا، ومعها يبسط الكهنة قبضاتهم تاركين
الرماد، ويرفعون كفوفهم الموشومة عاليًا طالبين بركة النيران.

تبسط معهم (ميرا) يмнаها، وتحرر يسراها يد الكاهن بجوارها
ليتخلص أخيرًا من الرماد الحارق، ويرفع يده المرتعشة التي لم
توشم بعد مع المباركين.

تنهي (ميرا) صلاتها، وتلمح بطرف عينيها الكاهن الصغير يتحاشى
النظر ناحيتها خجلًا، لا تلقي له بالًا، وتهم بالخروج من الساحة.
- (ميرا) ..

صوت أجش يستوقفها مناديًا، تلتفت لتجد المنادي واحد من
الكاهنين الذين قادا الصلاة.

- (الآركون) يطلب حضورك يا بنيتي.

تقف متسمة للحظات غير واثقة أن الكاهن العجوز يقصدها هي.

- ستجدينه بالمنجم الآن.

يقولها الكاهن ولا يتوقف ليتلقى تساؤلًا لم يصل لشفيتها متجهًا

نحو الهيكل.

لا تتردد (ميرا) أكثر من ذلك متجهة لبوابة المنجم، ومع كل خطوة تزداد ثقة أن الكاهن العجوز لم يسمع الاسم جيدًا، وأن (الآركون) لم يطلبها بالتأكيد.

منجم الكهنة كان جزءًا من سلسلة كهوف متشعبة تحت أرض (زراد)، أطلق عليها قديما «مناهات الحمم».

يُمكن لـ (ميرا) أن تفهم سبب تلك التسمية وهي في طريقها لغرفة (الآركون) وضي الكريستالات يشع من كل شقوق جدران الكهف كنهر من الحمم الملتهبة، لو صدقت الأساطير فإن الآلاف من تلك الكريستالات تعني أن إله النار قد نزل هنا كما لم ينزل من قبل. في الغرفة التي حُفرت كتجويف بجانب هوة كبيرة هي منطقة التنجيم الأساسية في الوقت الحالي، جلس (الآركون) بردائه الشعائري الذهبي منهمكًا في مراجعة دفتر عتيق.

ترددت (ميرا)؛ فهل من المناسب قطع أفكار (الآركون)؟ أم عليها الانتظار حتى يلحظ وجودها؟

جاء صوت (الآركون) دون أن يرفع عينيه عن الدفتر الذي أمامه مزيلاً حيرتها:

- (ميرا).. فلتجلسي للحظات حتى أنهي مراجعتي.

يبدو أنه يريد لها هي بالفعل. تطلعت للغرفة من حولها باحثة عن مكان للجلوس. الغرفة كانت عبارة عن أكوام من الدفاتر المتراسة وبعض الكتب، والمقعد الوحيد الذي تستطيع أن تراه كان يشغله (الآركون) بالفعل!

محاولة ألا تُسبب إزعاجًا له، تصنعت الاهتمام بأحد الكتب الموجودة بأحد أركان الغرفة. وبالطبع كان الكتاب الوحيد الذي اختارته مكتوبًا برموز لا تستطيع فهمها.

- ذلك الكتاب كُتب بالـ(رلاشيان القديمة).

رفعت (ميرا) عينيها من على الكتاب لتواجه عينا (الآركون) الذي يبدو أنه قد أنهى مراجعته للدفاتر، واسترخى على مقعده، شابكًا أصابعه ناظرًا لها وعلت وجهه بسمة خفيفة.

أعادت (ميرا) الكتاب في سرعة لمكانه أعلى كومة الكتب، ووقفت متباعدة في مواجهة (الآركون) محاولة ألا تُظهر توترها.

- هل تعرفين أي السنة غير (الداز)؟

- لا... آه... لسان النار فقط للصلاة.

هز رأسه في تفهم قائلًا:

- بالتأكيد... فقط حاملي الرسالة من الكهان يتوجب عليهم إتقان أكثر من لسان تلك الأيام.

لم تجد (ميرا) أي كلمات تعقب بها على حديثه فأومأت برأسها في صمت مصدقة على قوله.

أكمل (الآركون) حديثه بعد لحظات:

- تلك أكبر مشاكل جيلكم الذي ولد وعاش داخل أسوار (زراد)، تستخدمون لسان النار في الصلوات فقط، ودون ذلك تتحدثون فيما بينكم وتفكرون بلسان (الداز)، وتبهت عليكم طباع المنكرين.

قالها ويهز رأسه ثانية وكأنها يتفق مع قوله.

ازداد توتر (ميرا) مع تلك الكلمات، فلا يستدعيك (الآركون) ويتهمك بالتمثل بالمنكرين إلا إذا قمت بكارثة دون أن تدري.

نظر بعينها مباشرة وسأل في حزم مفاجئ:

- هل تعرفين ما واجبك بالضبط أيتها الكاهنة؟

دون تردد:

- حماية الملك.

فك (الآركون) أصابعه المتشابكة وأشار لها بإصبعه:

- أترين المشكلة الآن؟ أترين كيف تلوّث أفكارك؟

لم ترَ أي شيء بالطبع؛ فقط شعرت بأحماض معدتها تتصاعد سريعًا مع شعورها أنها تزيد وضعها سوءًا دون أن تدري في الأصل صنيعتها.

- أنت لست من الملاحين، وليس لذلك العبد السجين سلطان عليك، واجبك هو حراسة سجين وليس حماية ملك.

جاءت كلمات (الآركون) حادة ومؤلمة لـ (ميرا)، لم تكن (ميرا) تطيق أن يدعو أحدهم الملك بأنه عبد.

فهو حاكم تلك المملكة وكل ما كان قبل ثورة النور هو ماضي لا مكان له في هذا الحاضر، هو ملك (زراد) وشعبه الملاحين، وانتزاعه العرش من النبلاء هو أفضل ما حدث لـ (زراد) ولكهنة النار ذاتهم.

ذلك المنجم الذي تُحاضر فيه الآن من قبل (الآركون) لم يكن للكهنة أن يخطوه يومًا لولا الملك.

اطالما تشاءم النبلاء من تلك الكهوف؛ فهي كانت المصدر الوحيد المعروف لكريستالات اللهب. ونصوص رهبان القمر تحكي أن ذلك اللهب كان سبب رحيل الآلهة؛ ولكن تشاؤم أم لا، فذلك لم يمنع النبلاء من بيع ما كانوا يتمكنون من إخراجه من كريستالات الكهنة النار.

المشكلة كانت دائمًا أن أقل من خمسة في المائة من الكريستالات يمكن العمال من استخراجها سليمة والأغلبية تكون مسحوق كريستال!

حاول الكهنة مرارًا أن يسمح لهم النبلاء مالكي الأراضي التي تقع تحتها الكهوف أن يقوموا باستخراج الكريستالات المقدسة بأنفسهم، مقابل آلاف الليرات، ولكن عندما حاول بعض الوسطاء تمرير ذلك الطلب للملك، رَفُضَ الملك كان قاطعًا وشديدًا، فالملك (فارين) لم يكن ليخاطر بغضب الآلهة الغائبة المتمثل في غضب كنيسة القمر لو وافق على إدخال الكهنة لأرض (زراد). وظل الكهنة تحت رحمة النبلاء وأسعارهم التي لا تتوقف عن التضخم

حتى سقطت مملكة النبلاء على يد رجل واحد، أقل من رجل في عيون النبلاء وفي عيون الكهان، عبد أسقط النبلاء وقتل (فارين) آخر ملوكهم.

كان صوت (الآركون) مستمرًا في تأنيبها وقد صار أقرب للصراخ:

- ذلك العبد السجين - وإن كان ملكًا على (زراد) - ما هو إلا سجين كهنة النار، وجودكم يهدف لمنعه من الهرب.

مبارزة قاتل أو عشرة، تلك أشياء لا تحرك في (ميرا) شعرة بل تشعرها بالراحة وربما بعض الألفة وهي تمارسها، ولكن محادثات

كتلك تُفقد (ميرا) توازنها، وتُشعرها بالتوتر.. تلك مواقف تحتاج
لـ(داليف) زلق اللسان، بالتأكيد ليست لها.

لا تقفي صامته هكذا.

- أكنت تفضل أن نسمح للمتسلل بقتله؟ آملين أن يسمح لنا
النبلاء - حين يعودون - أن نحمل ولو كريستالة واحدة في طريقنا
للخروج من (زراد)؟

قالتها (ميرا) بلهجة حادة وصوت حانق، قبل أن تدرك مع من
تتحدث.

- ... آه... يا غبطة (الآركون).

قالت محاولة إضافة أي جانب من الاحترام على ما نطقته.

يرى (الآركون) متسع العينين نظرة الهلع في عيني (ميرا)، فيأخذ
نفسًا عميقًا كاتمًا غضبٍ يحاول السيطرة عليه، طارقًا بأظافره على
المائدة الخشبية التي أمامه بعصبية.

- (ميرا) يبدو أنك ابتعدت كثيرا..... سأعزو طريقة حديثك معي
للضربات المتكررة التي يتلقاها رأسك أثناء تدريباتك وحادث
اليوم الماضي.

محدجًا إياها بنظرة نارية لتخفض (ميرا) رأسها فورًا كاتمًا اعتذارًا
صادقًا كادت تنطق به ليُكمل (الآركون) قائلاً:

- نحن هنا لأنها مشيئة النار، وليس بفضل ذلك العبد.. لو مات
ذلك العبد اليوم أو غدًا فذلك لن يغير شيئاً من وجود كهنة النار
في (زراد)؛ نحن هنا إلى أن ينتهي الوجود، تلك الكهوف، وتلك
الكريستالات هو واجب مقدس تصديقاً لنبوءة محققة.

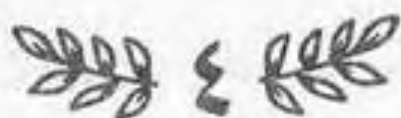
الغرفة طويلة ثم يُكمل:

- يا بنيتي أنا أقدر تفانيك أنت وإخوتك في السلاح في القيام
بواجبك، ولكم مني الكثير من التقدير؛ ولكن إحضار المتسلل
الزانية السجين، ومساعدته في التحقيق معه ليس جزءاً من
واجباتكم. هزي رأسك إن كنت تفهمين ذلك.

الصلب رأس (ميرا) للحظات، ثم تومئ للـ(أركون) الذي يستشعر
الصراع الذي يدور بداخلها.

- لنذهبي الآن.. حديثنا لم ينتهِ، ولكن لن يكون عدلاً أن نُكمل هذا
النقاش وكل ما أفكر فيه هو طرقُ تحطيم رأسك الصلب.. انصرفي
الآن.

إسماء أخرى سريعة من (ميرا) قبل أن تنطلق مهرولة لاعنة حماقتها،
وناوية على قتل أول شخص يعترض طريقها للفراش.
لقد آن لذلك اليوم أن ينتهي.



- لورد (نيزاد)، وفيدا (بونيوم).

جاء صوتٌ منادٍ كدعوة لـ (هينادا) و (آروين) لدخول مجلس (غنتاق السعدي) حاكم (الرحى).

لم تكن (الرحى) مدينة، بل عدة طرق تمتد من (ثيام) للموانئ والممالك الأخرى. فيما مضى كان تأمين جميع الطرق من واجبات ملك (زراد)، وكل الملوك منذ أن سُجِّل تاريخ (زراد) قد عهدوا بتلك المسؤولية للنبلاء الحديديين. ولكن أحداً لم يرَ الحديديين منذ أن سقطت (زراد). فآن لنوع آخر من المرتزقة أن يظهر، وقد كان (غنتاق السعدي).

قاطع طريق رأى أنه اكتفى من العيش في الصحراء؛ فجمع كل قطاع الطرق والهاربين من جيوش الممالك المجاورة، ونصب نفسه متحدثاً باسمهم.

وبدلاً من أن يقطعوا الطريق؛ استقروا في (ثيام)، وعقدوا العهد مع الملك على أن يسمى (غتناق) كحاكم على الطرق المحيطة بالملكة وبأخذ من ضرائب المدينة ما يقدره كتعريفة مرور على أرضه.

للاشت بسمه جاهدت (هينادا) لرسمها على وجهها بمجرد دخولها المجلس؛ فهناك بجانب (غتناق) الجالس على أريكة مذهبة؛ غائصاً بجسده في بحر من الوسائد الوثيرة جلست وجوه تمقتها.

لثلاثة من كبار نبلاء (زراد)... شعرت بتوقف (آروين) بجانبها متفاجئاً هو الآخر بوجودهم. رائع لم يبدأ بعد، وتلقينا أول طعنة.

حائرة من بين إعطاء ردة فعل، أو تُظهر أنها لا تُبالي، جاء صوت أكبر النبلاء الثلاثة (هاجن):

- ليس من المعتاد أن تقدم فيدا ولورد من نبلاء (زراد) على طلب مجلس خاص دون وجودنا، ولكننا نعلم أن واجبات وتقاليد منصبك الجديد كفيدا ما تزال غير واضحة لك؛ فقررنا أن نأتي ونعطيك كامل دعمنا في أي كانت طلباتك من حاكم (الرحى).

أهى كلامه بنظرة لـ (آروين) تشف بوضوح أن لانية له في دعم أي شيء.

نهدت (هينادا) وشعرت أنها قد أضاعت الكثير من الوقت في تحضير لعبة الشطرنج الكلامي التي ستدور بينها وبين (غتناق)، هل بالغت في تقدير طموحه الذي أوصله إلى وضعه الحالي بين الممالك؟ هل انطفأت رغبته في المزيد؟

لا... نظرة الجوع في عينيه ما تزال جلية، لقاء سري بينهما سيزعج

نبلاء (زراد)، وهو لا يشق بها أن تبقي اللقاء سرًا، ولا يعتقد أن أي كان ما ستعرضه عليه يستحق المخاطرة.

أيا كان السبب فلا مجال للتراجع الآن.

- أريد لو اثنين عسكريين من رجالك.

قالتها ثم ساد الصمت. ابتسم أحد النبلاء مجاملًا ظانًا أنها تمزح، بينما وقف (هاجن) في مكانه غير مصدق، وبجانبها كانت تشعر أن (أروين) يتصبب عرقًا.

لم يكسر السكوت سوى صوت (غنتاق) وهو يقول:

- في البدء هل تتخذين مجلسك يا فيدا.. وأنت أيضًا يا لورد؛ فذلك ليس مجلس حاكم حقيقي.

في سرعة وثبات قالت الفيدا:

- لا.. فأنت لست بحاكم، أنت مرتزقة؛ وجئت أشتري منك بعض الرجال.

كان ذلك كفيلاً بأن يمد (أروين) يده ممسكًا بيد الفيدا، هامسًا في أذنها:

- ليس هكذا تُدار الأمور، أنت لا تثيرين غضب النبلاء وحدهم الآن.

أطلق (غنتاق) زفيرًا عاليًا ثم قال:

- لا أعرف بالضبط ما الذي همس به في أذنك لورد (نيزاد) لكنني أنصحك بشدة بأن تستمعي إلى نصيحتته.

دون أن تهتز خلجة من خلجاتها تقدمت الفيدا لتأخذ مقعداً في المجلس وتبعها (أروين)، وما كادت أن تتكلم حتى أشار لها (أروين) أن تترك له الحديث.

بعبارات قصيرة نقل (أروين) مخاوف (هينادا) للنبلأء، الخاصة بوضع (زراد) الحالي ووضع النبلأء المهاجرين.

كان يتحدث في سرعة، وعيناه تتقل بين النبلأء بحثاً في عيونهم عن نفهم يبرئه من تهمة قد التصقت به منذ أن تبعت قدماء الفيدا لهذا المجلس.

- ذلك جنون.

كانت تلك أول جملة تخرج من فم (هاجن) بعد أن أنهى (أروين) حديثه.

- فيدا (بونيوم)، نحن نقدر قلقك على مصالح نبلأء (زراد) وما ذكرتيه بالتأكيد يحمل قدراً من الخطورة، لكن دعيني أؤكد لك أننا على كامل دراية بـ...

توقفت عن سماع ما يقال، بالنسبة لـ (هينادا) لم يكن هذا صوت (هاجن)، كان ذلك صوت الماضي، صوت الضعف.. صوت فئران خرجت مذعورة مع أول هزيمة، كان صوت يجعل شفيتها تلتويان اشمئزاً أن يكنى مثل هذا نيبلاً.

عيناهما تلتقي بعين (غتاق) الذي تعلق عيناه بها غير عابئ بحديث (هاجن) تدور بنظراتها في المجلس لتجد أن لا أحد يعبا بما يقوله النبل. الكل يتطلع إليها في ترقب بانتظار ما ستقوله ما أن ينته هذا الكهل من حديثه.

تعود لتنتبه إلى كلماته وهو ينهي حديثه قائلاً:

- ولذا فإن مجلساً من حكماء (زراد) وحكماء (ثيام) سيكون لهم القول الفصل في ذلك الأمر، وبالتأكيد لن يكون إعلان حرب يسكت أخيراً ولا تتعجل (هينادا) بالتعقيب على قوله.

تسحب نفساً عميقاً هادئاً، وتربت خفية على طرف (أروين) الذي تكاد تقسم أن ضربات قلبه المتسارعة هي الصوت الوحيد الذي يشق صمت الترقب.

متجاهلة النبلاء تماماً تُركز بصرها على (غنتاق):

- نشكرك على استقبالك الكريم، ولكن موقفك الواضح يوجب علينا إنهاء تلك الزيارة. ربما أجد خزانات أكثر ترحيباً بليراتي في (الطهباء)، وربما أيضاً رجالاً أكثر حكمة.

تلقي بآخر كلماتها وتنطلق ساحبة (أروين) متجهة للخروج.

يأتي صوت (غنتاق) من خلفها قائلاً:

- تشرفت بلقائك حقاً.

لكنها لا تتوقف حتى للرد مقررة أنه منذ تلك اللحظة أنها لن يوقفها أي شيء تجاه هدفها.



مع غروب الشمس بدأت ليلة (سيفاد) الثالثة على متن غليون (ديلرث)، فضل الطبيب منذ الليلة الأولى أن يقلب ليله نهارًا تاركًا زحام سطح المركب في الفترة الصباحية وأن يتواجد في المساء حينما تخف الأقدام من السطح، وتتكوم الأجساد في بطن الغليون ما بين نائم ومقامر أو سكير.

وليلة الثالثة يصحو ليجد (عاند) قد سبقه إلى السطح رابطًا نفسه بحبل التأمين - الذي يستخدمه البحارة أثناء التبول - متدليًا من جانب السفينة الشرقي مفرغًا ما في أحشائه.

يستمر (عاند) في ذلك الطقس اليومي أغلب ساعات الليل، وذلك بالرغم من أن غذاءهم منذ أن صعدا متن السفينة يتكون من البسكوت البحري اليابس، والقليل من الفاكهة المجففة.

مرت دقائق على (سيفاد) متأملاً زبد البحر على ضوء القمر ان
شبه المكمّلين الناتج من تصارع الأمواج الهائجة، لم يرأف البحر
بغليون (ديلرث) للحظة منذ الإقلاع وهو ما عكر مزاج البحارة
ولكن أكثر مزاج عكر كان بالتأكيد مزاج (هيشا)، فالطبيب وتابعه
استوليا على غرفته وصار يقضي وقت راحته وسط البضائع أو
وسط البحارة.

لذا فحين لمح (سيفاد) (هيشا) على سطح السفينة وعلى وجهه
علامات التعاسة، فضل أن يعود للغرفة متجنباً إياه.

بالرغم مما أغدق عليه به من كريستالات، لم يرد الطبيب أن يختبر
حظه مع سوء مزاج التاجر واحتياجه الحالي لفراش - شبه مريح
- يهون ظروف الإبحار القاسية التي يمرون بها ربما تفوق حاجته
لكل ما مع (سيفاد) من كريستالات.

مترنحا دخل قمرته متوجهاً للمائدة المثبتة في منتصف القمرة ليتشبث
بأطرافها بكلتا يديه.

تقلبات البحر تزداد وطأتها على معدته وهو بالداخل.

ولم يساعد اعتمادهم في البحر على الميد والنيذ بدلاً من الماء العذب
الذي يشح وجوده على السفينة.

لا ... لن يستطيع التحامل على نفسه حتى يعود إلى السطح.

يترك المائدة مُلقياً بجسده ناحية الفراش نحرّاً كيساً جلدياً من
سُترته، يُفرغ محتوياته فوق الفراش، ويبدأ في التقيؤ محاولاً ألا
تسكب محتوياته.

بعد دقيقة، وبعد أن أفرغ كل ما في معدته ثم أكثر انهار أرضاً

حفظنا واحداً من عواميد الفراش المثبتة في الأرض.

قبل لصوت باب القمرة ليجد أن (عاند) قد عاد ويقف متسمرًا أمامه.

يعلق الكيس الجلدي جيدًا، ثم يمد يده به لـ (عاند) ليتخلص منه قائلاً: ظننتني أشد منك، ولكن يبدو أني ما أزال من أبناء البر.

لم يتقدم (عاند) ليأخذ الكيس، بل ظل في مكانه، تتبع (سيفاد) مرمى نظر (عاند)؛ ليجده يُحْدق إلى كريستالات اللهب المتناثرة على الفراش، والتي كان يحتفظ بها في الكيس الجلدي.

تصلبت يده الممتدة واختلجت عضلات وجهه للحظة قبل أن يستعيد رباط جأشه وينتصب قائماً.

- لا تظن أنني سألقي بكل تلك الثروة لإرضاء خرافات البحارة.

قالها في حدة وهو يمد الكيس الجلدي لصدر (عاند) بعنف. تأوه (عاند) وهو يضم يديه ممسكًا بالكيس، وقد تناثرت بعض محتوياته على قميصه، لكن لم يهمه ذلك كثيرًا؛ فقميصه لم يخل من القبيء منذ يومه الأول على الغليون.

دوي مخيف هز أرجاء السفينة، ألقي بكليهما أرضاً.

بالتأكيد ذلك الدوي لم يصدر نتيجة أمواج، في الأغلب اصطدم الغليون بشيء ما.

ما بين زاحفين وراكضين انطلق الطيب و(عاند) لسطح السفينة، ليتخطيا في بعضهما البعض. وقبل أن يصلا إلى السطح كانت قد وصلت إليهما الصيحات بالفعل مع ارتجاجة أخرى أكثر قوة «قراصنا!!!!!!»...

أول ما رآه الطبيب كانت سحابة غبار تلاشت في لحظتها؛ مُكوّنة من اختلاط شظايا حطام الصاري الأوسط بشظايا النشاب العملاق الذي انغرس فيه.

تحرك الطبيب بسرعة ليمنة الغليون خشية سقوط الصاري جاذباً (عاند) - الذي كان قد تسمر في مكانه - من ياقته.

لم يذهب أي منهما بعيداً فمع جذب الطبيب لـ (عاند) فقد كلاهما توازنهما مع هزة أخرى تُنبئ بنشاب جديد، ولم تساعد الدماء المتناثرة تحت الأقدام على حفظ توازنهما ليسقطا بجانب مصدر تلك الدماء - جسد أحد البحارة التعساء أطار أحد حبال الصاري الهاربة نصف رأسه.

من موقعهما مستلقين أرضاً في بركة من الدماء استطاع (سيفاد) أن يرى أن نشاباً آخر - خمن أنه أول واحد - مخترقاً أرضية سطح الغليون، ثم رأى الحبل الغليظ مربوط في نهايته يمتد للأفق، وقد التف بعض من البحارة موجهين ضربات محمومة للحبل.

احتاج لوهلة بعد أن استطاع الوقوف على قدميه ليستوعب الكيان المظلم الذي ينتهي إليه ذلك الحبل، فيما ظنه لأول وهلة جانباً جبلياً كان كابوساً عائماً. فلا يمكن إطلاق وصف سفينة على ما ألقى بظلاله على غليونهم.

مقدمة السفينة المتجهة ناحيتهم كانت بالغة الارتفاع؛ فارتفاعها يقارب نصف واحدة من الفئارات الموجودة بالميناء، بعلوها تحجب جزءاً كبيراً من ضوء القمر. نُجِثَ على المقدمة أشكالاً بشرية لأجساد مُعَذِّبة، وقد توسط تلك المنحوتات منحوتة لما يبدو وجه كائن بحري بشع، من فاهه يمتد الحبل الغليظ المنتهي في سفيتهم.

دقائق كانت تفصل ذلك الكابوس عن السفينة. ألقى نظرة على الرجال الذين يحاولون فصل الحبل وإلى عشرات البحارة المستعدين لفرد الأشرعة وتسليمها لرحمة الريح كي تُنْجِيهم من القادم. انطلق (سيفاد) في اتجاه قمرة لا يلوي على أحد. لم يكن في طريقه أي شخص تلك المرة، وقد خلت مؤخرة السفينة.

وصل إلى قمرة جاريًا إلى الفراش، باغيًا ضالته. كانت ما تزال الكريستالات منشورة فوق الفراش. قبس ثلاثة منهم، وعاد من نوه راكضًا للسطح. على سلم القمرة كان (عاندا) قادمًا في وجهه؛ وما أن رأى الطبيب صاعدًا حتى أفسح له الطريق سريعًا ليمر من جانبه غير مبالي بوجوده؛ فتبعه للسطح مرة أخرى. كان الكابوس قد اقتربت أكثر و«هيشا» يقف موزعًا صرخاته محثًا من يحاولون قطع الحبل مطالبًا إياهم أن يكفوا عن ضرب الحبل بقوة عاهرة مصابة بالوباء، ويظهروا بعض الرجولة، وما بين صراخه في البحارة الآخرين بألا يفردوا شراع الصاري الرئيسي بعد.

انطلق (سيفاد) من جانب (هيشا) متجهًا ناحية الحبل، نظرة واحدة وتأكدت ظنونه أن الحبل كان مخلوطًا بألياف معدنية، لو استمروا في توزيع الضربات عليه حتى فجر الغد بتلك السيوف الرديئة فلن يُقتل سوى سيوفهم. أول ما جال بباله كان أن يتناول سيفًا ويحاول ما رأى واحدًا من كهنة النار يفعل يومًا؛ بأن يكسر كريستالة لهب عليه ولكنه الآن يخشى أن يذوب السيف ذاته، ولا وقت للتجارب الآن.

أخرج كريستالة مهشمًا إياها في سرعة ليسيل اللهب الحارق منها مذيبة الحبل في التو.

احتاج البحارة لعدة لحظات لاستيعاب ما حدث وما زال الكابوس يسير على دربه ناحيتهم حتى أفاقهم صرخات (هيشا) بفتح الأشرطة واتخاذ أماكنهم.

كانت السفينة الأخرى قد اقتربت بشكل كبير، وأدرك الطيب حينها أن ما ظنه نحتًا لأجساد بشر معذبين لم تكن حجار، فالحجارة لا تتلوى مثل هذا.

عشرات الأيدي الممتدة والصرخات الضائعة بين هدير الأمواج لم تصل لهم بعد، ولكنها اقتربت جدًا.

مصدومًا نظر الطيب من حوله للبحارة المنهمكين في محاولة النجاة بالسفينة «هل رأوا ما رأيت؟ أولئك ليسوا بقراصنة.. هل يعلمون خبر ما هو قادم؟» متقهقرًا نظر تحت قدميه للحظة ليجد أن الحمم الملتهبة قد أكملت طريقها بعد أن فتكت بالحبل صانعة ثقبًا في سطح السفينة ورُبما وصلت لقاع الغليون تلتهمه.

تملكه الذعر فجأة وقد كانت تلك قشته الأخيرة، راكضًا كالملسوع محاولًا جذب انتباه البحارة حوله بلا جدوى حتى وجد من يجذبه من سترته مثبتًا إياه في مكانه.

كان (هيشا) أحمر العينين أزرق الوجنتين يصرخ به في غضب:

- تمالك نفسك أيها اللعين، واترك الرجال لأمرهم الآن.

أشار (سيفاد) بهلع للثقب الذي أحدثه اللهب شارحًا بكلمات غير مترابطة أن السفينة ستغرق لو ثقب اللهب القاع ليرجه (هيشا) قائلاً:

- ثقب كهذا لن يغرق السفينة حتى لو وصل للقاع. تلك

الكريستالات الملعونة أنزلت بنا سوء الطالع وهي ما جاءت بتلك
اللعنة في أعقابنا في الأساس.

فالحا مشيرًا بإصبعه ناحية مؤخرة السفينة، حينها انتبه الطبيب أخيرًا
أن مركبهم قد تحرك من موقعه، وصارت السفينة الأخرى خلفهم
لا تزال تحاول ضبط دفتها لملاحقتهم.

قال الطبيب مضطربًا - فهو لم يكن يومًا في موضع دفاع - وشعر
أنه يفقد قناعه في تلك اللحظة:
- أنا لم أعتقد...

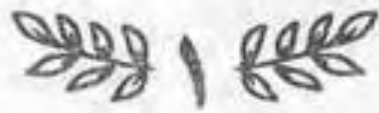
لم يحاول حتى (هيشا) الاستماع إليه بل دفعه في عنف ليسقط أرضًا
وأكمل (هيشا) إصدار تعليماته موليا إياه ظهره.

الكل يعمل محمومًا من حوله ويبدو أن أفضل ما يمكنه فعله هو
أن يبقى بعيدًا عن طريقهم.

لمح (عاند) متكومًا على نفسه في أحد الأركان مخفيًا وجهه فذهب
إليه مترنحًا ليجلس بجانبه متكومًا هو الآخر، متمنيًا بشدة لو كان
يؤمن بأي من الآلهة ليدعوه الآن.



الفصل الثالث



إن كانت قبله حجيج (زراد) كاتدرائية القمر، فلو كان له (ثيام) حجاج
لكانت وجهتهم مكتبة (ثيام) العظمى. على مساحة مقاطعة كاملة
تتخذ مكتبة ثيام موقعها في وسط عاصمة المملكة. لا يصدق
البعض حين يُروى تاريخها حيث بدأت كقلعة حصينة في أوائل
أيام المملكة؛ منذ ما يزيد عن ألف عام.

بدأ الأمر في استخدامها كمكان لحفظ السجلات الحربية، والأوامر
الملكية القادمة من أنحاء المملكة. وعلى مر الأعوام أصدر أحد
الملوك أمراً أن يُحتفظ بنسخة من أي كتاب أو مخطوطة داخل ذلك
الحصن، وحين بدأت أجزاء من تلك القلعة تهدم بفعل الزمن
كان المبنى قد توقف عن كونه قلعة، وأصبح أرشيفاً يحمل التاريخ
المكتوب ليس لمملكة (ثيام) فقط؛ ولكن لكل ما حولها.

قرر مهندس الترميم أن يعطي لمسة جمالية غير معهودة صانعاً
الواجهة الزجاجية المميزة التي تنافس بها أعظم القصور. ويؤكد
المؤرخون أن لمسة المهندس الجمالية في تصميم ما أصبح مكتبة
(ثيام) العظمى هو ما أثر على شكل وتخطيط (ثيام) فيما بعد.
ملكة الفنون والجمال قلبها هنا في مكتبة (ثيام) العظمى، واليوم
تجد (هينادا) نفسها غارقة في مخطوطات حربية وخرائط بالإضافة
إلى كتب فنون الحرب. لا تتمكن من إنهاء صفحتين قبل أن تأخذها
جملة عارضة عن حادثة ما، أو موقعة ما لمخطوطة أخرى.

أصبح روتينها اليومي هو المجيء مع أول أضواء الفجر والرحيل
في المساء، فقط ليتمكنها النوم باكراً لتصبح مرة أخرى مع ضوء
النهار وتأتي لتستمر في دراساتها. كانت منكفئة على أحد الكتب
غارقة في أفكارها حين جاء صوت من خلفها:

- لا تُسلب الممالك بمخطوطات عن نظريات الحرب كتبها شيوخ لم
يطأوا يوماً أرض المعركة.

تتنفض (هينادا) من مجلسها، وتلفت لتجد (غنتاق) السعدي يقف
خلفها عابثاً بشاربه الكث.

- لا أنتوي سلب أي ممالك، فقط أستعيد ما سلب مني. لكن قل
لي؛ كيف إذن تُسترد الممالك؟

غير مدعواً يسحب مقعداً ليجلس أمامها متفخ الأوداج:

- بالرجال، يقودهم من تمرس في الحرب منذ نعومة أظافره.

- تأتيني الآن لتعرض علي في الخفاء ما طلبته منك علناً؟!

- (غنتاق السعدي) لا يفعل أي شيء في الخفاء. بالتأكيد كل نبلاء

(زراد) يعلمون الآن أني أجلس معك في تلك اللحظة في مكتبة (ثيام).
تقول في سخرية:

- بالتأكيد، فسيكون من الصعب أن تأتي هنا لأي سبب آخر.
لم يبد على (غتاق) أنه فهم إهانتها له. أو على الأقل لم يُبد اهتمامًا
إن فعل.

- أخبريني هل راسلت مرتزقة (الطهباء) بعد؟
- لا، ليس بعد.

- دعي لي التواصل معهم؛ فنحتاج إلى أكثر من لوائين لاحتلال..
المعذرة.. لاسترداد (زراد). نحتاج على الأقل لفيلق أو اثنين مكونين
جيشًا.

- وأنت ستوفر لي ذلك.

- ليس ذلك فقط؛ بس سأعطيك أيضًا ما هو أكثر من ذلك.
سيحظى جيشك الصغير بقيادة (غتاق السعدي) بنفسه.

قاومت (هينادا) بصعوبة إطلاق زفرة ضجر من اعتداد ذلك
الرجل بنفسه.

- عظيم جدًا.

قالتها راسمة أكثر ابتسامة زائفة تستطيع أن تقوم بها.

- فقط اعلمي، أنا لست هنا من أجل أموال عائلة (بونيوم).
فأموال عائلة واحدة لا يمكنها أن تمول حربًا.

كادت أن تقاطعه قائلة «أنت لا تعرف قدر أموال (بونيوم)». ولكنها

أطبقت على شفيتها وهو يكمل:

- ولكنني جئتُ مؤمناً بحقك أنت وكل النبلاء في العودة، ولأن هناك لحظات في التاريخ تُنادي على الفارس المُخلص الذي سيأتي بالنصر. وأنا أعلم أن تلك هي لحظتي.

اعتصرت (هينادا) رأسها بحثاً عن أي ردٍ مناسب لهذا الهراء، ولكنها لم تجد سوى بسمة أكثر اصفراراً من الأولى تكشف بها عن أسنانها، وجعلته يتابع حديثه.

- واطمئني يا سمو الفيدا فإن كل من سنستقدمهم من (الطهباء) سيكونون تحت قيادة نخبة من قوادي المتمرسين.

- عظيم، للتأكيد أنت تتعهد بقيادة الجيش بأكمله وليس مجرد الويتك وتكون أنت أمير حربي؟

لم تظن أن ذلك ممكناً ولكن انتفخت أوداجه أكثر مع سماعه لها تناديه بالأمير.

- حسناً ذلك بالضبط ما أتعهد به، وسأقوم بدوري كقائد من قيادة الجيوش في الميدان إلى تنسيق قوافل الغذاء. ولكن قبل الدخول في تلك التفاصيل التي ستكون بلا شك مثيرة للضجر بالنسبة لك. وقبل أن نُقرر البدء في الزحف على (زراد).

يصمت للحظة وهو يحك ذقنه ثم يكمل متسائلاً:

- أخرج الملك السجين كل النبلاء وأنزل الملك من على عرشه وأنتم في أوج قوتكم وفي حماية النبلاء الحديديين. ما الذي تغير الآن؟ ما الذي تملكينه الآن يجعلك واثقة من استعادة عرش (زراد) من الملك السجين؟ وهو بجواره كل كهنة النار؟

أشاحت بيدها لتقول في سرعة:

- كهنة النار لن يحركوا طرفاً دفاعاً عن (زراد) أو عن الملك، كل ما يريد كهنه النار هو ضماناً لمصالحهم، وأؤكد لك أن ذلك سيكون في الحسبان. أما عن ماذا سيكون مختلفاً؟ فربما أهم شيء أنه سيكون لدينا القائد (غنتاق السعدي) على رأس جيوشنا.

يقهقه (غنتاق) قائلاً:

- حسناً أنت تعلمين بالتأكيد أنني لست بأحمق، لطيف أن يتم تقدير لي لكني لست من الغباء بأن ألقى بنفسي ورجالي في معركة لا أعلم معطياتها.

مستسلمة تهز كتفها قائلة:

- حسناً، يبدو ذلك عادلاً.

تقوم واقفة وتمشي بتؤدة ناحية (غنتاق) وهي تقول:

- يوم ثورة النار استطاع الملك السجين الاستيلاء على خاتم الملك الذي كان يتحكم به في النبلاء الحديديين. ما لا يعرفه أحد أن ذلك الخاتم بالذات كان وسيلة التحكم الوحيدة في النبلاء الحديديين.

جاءت كذبة (هينادا) بخصوص الخاتم والنبلاء الحديديين طبيعية دون أن يظهر على وجهها أو جسدها أي علامة من علامات الخداع يمكن لـ (غنتاق) الأريب أن يستشف منها الكذبة الملفقة التي تدربت (هينادا) عليها عدة مرات؛ فتلك القصة الأسطورية التي تشاركه إياها الآن كانت بديلاً عن الحقيقة حول النبلاء الحديديين، وعما حدث يوم الخذلان العظيم، فحتى النبلاء ذاتهم لا يعرف منهم حقيقة ما حدث إلا أقل من القليل، فلم يكن مناسباً أن تسلم

(غنتاق) معلومة ككيفية التواصل والتحكم في النبلاء الحديدين.
تكمّل حكايتها قائلة:

- لذا حين استولى على هذا الخاتم، كان بإمكانه القضاء على كل النبلاء وجيش (زراد) أيضًا لو شاء.
يسأل (غنتاق) السؤال المنطقي:

- وما الذي سيمنعه من استخدام ذلك الخاتم مجددًا؟

خفضت (هينادا) صوتها واقتربت منه أكثر وهي تقول شبه هامسة:

- لا يعرف الكثيرون ذلك، وحتى من يعرفون ربما يكونوا قد نسوا مع مرور السنوات، ولكن النبلاء الحديدين لا يتغذون على طعامنا، بل كان يحتفظ بسر غذائهم الذي بدونه يبلون ويموتون داخل دروعهم قريبًا من قلبه، ولذا حين طردهم الملك السجين من (زراد) اختفوا واندثروا، فحتى وإن حاول - وهو ما لن يحدث - الاستعانة بهم فلن يعودوا دون غذاء.

يهز رأسه (غنتاق) رأسه متفكرًا فيما تقوله الفيدا.

- كل ما نحتاجه هو دخول (زراد) أيها القائد.. بحصولنا على خاتم النبلاء الحديدين، ومعرفتي بسر غذائهم؛ سنعيد الممالك الجديدة لوحدتها ولعصر ذهبي جديد.



تابعت (ميرا) الملك وهو يرفع الحجارة الثقيلة ناقلاً إياها من أول الزنزانة إلى آخرها في صمت، ذلك الطقس اليومي الذي لا تزال لا تعلم إن كان مجرد تمرينات يحتاج لتكرارها في معزله هذا، أم هي طقوس تأمل، أم صلوات.

فكرت (ميرا) وهي تُشعل آخر مشاعل الزنزانة بجانب فراش الملك الخشبي. أليس من الغريب أن يُطلق على هذا الفراش فراشاً ملكياً، وهو خالٍ من الحرير والوسادات المخملية؟ كان خشبياً وبدلاً من الوسادة قطعة من الحجر.

فقط حجمه كان كبيراً يليق بالملوك ليسع حجم الملك السجين.

الزنزانة ذاتها كانت زنزانتين جماعيتين، يتشاركها في العادة ما لا يقل عن عشرة مساجين هدم الحائط الفاصل بينهما. زنزانة ملكية بحق؛ أم يجب أن يطلق عليها غرفة العرش بما أنها المكان الذي يحكم منه الملك؟

وإن كانت لا عرش بها؛ إلا إذا اعتبرنا المرحاض الخشبي في الركن
الأبعد عرشًا يصلح لحكم (زراد).

ضحكت (ميرا) لتلك الفكرة وحاولت التغطية على الضحكة
بأدعاء السعال.

نظر لها (داليف) المستند على القضبان - منتظرًا الملك أن ينتهي من
ملقسه هو الآخر - متعجبًا، ولكن الملك لم يُلَقَ لها بالًا وكأنها لا
يشعر بوجودهما من حوله من الأساس متابعًا ما يفعله.

عضت (ميرا) شفتها آملّة ألا تكون قد أزعجته محاولة التفكير بأي
شيء آخر غير السخف الذي يدور برأسها.

تأملت (ميرا) الملك عاري الجذع، وجلده الذي كان بلون الفحم
الأسود إن اختلط يومًا بسماء منتصف ليلة الخسوف. وانقلب
مزاجها في لحظة متذكّرة تعليق (الآركون) ونعته للملك بالعبد.
كيف ينم لون الليل عن أي شيء سوى النبل!
- حسنًا لقد أثرت فضولي.

تلثفت (ميرا) لـ (داليف) الذي همس تلك الكلمات في أذنها قائلة:
- ماذا؟

- توشكين على الانفجار ضحكًا في ثانية والأخرى ينقلب وجهك
تمامًا.. أثرت فضولي.. ما الذي يدور في رأسك؟

تعود (ميرا) بنظرها للملك الذي يبدو أنه قد أنهى طقسه اليومي
وتقول لـ (داليف):

- ربما لاحقًا.

يقترّب كلّ منهما من الملك وقد تربّع أرضاً منتصب الظهر دون أن يريح ظهره على الحائط. بجلوسه قد صار على نفس مستوى نظر الكاهنين ويمكنهما الحديث معه دون أن يشرّبا بعنقيهما.

- لا أخبار عن طبيب الوباء بعد؟

يرد (داليف) على تساؤل الملك:

- لا يا سيدي. أرسلنا سفينة في أثر الغليون الذي أبحر به، ولكن من المرجح أنهم لن يلحقوا بالغليون حتى يصل إلى وجهته الأولى على الأقل.

سكت للحظة قبل أن يكمل:

- ولا أزال أرى ضرورة لإبلاغ الكتبة بسبب سفر الطبيب. الشائعات تنتشر بين الحشود أن (زراد) قد فقدت أمام الوباء الجديد وأن الطبيب فر بجلده هارباً.

تدخلت (ميرا) في الحديث قائلة: بل من الأفضل أن تبلغهم أنك أرسلت الطبيب في مهمة.

هز الملك رأسه رافضاً وقال بنبرة هادئة، وصوت رخيم:

- لا.. أنا لا أكذب ولا أخادع، وربما كانوا على حق، ربما كان رحيل الطبيب هرباً وما بعثه لي في كتابه هراء. دعنا إذن من أمر الطبيب، وأخبروني عن الملاحين.

يتلقى الملك تقارير يومية عن أحوال (زراد) من كتبته، لكنها دائماً تأتي كأرقام متبوعة بتوصيات من الكتبة يوافق عليها الملك على مضض؛ فالكتبة هم بقايا حكم النبلاء الذين يزدرهم الجميع بدءاً من الملك وحتى أكثر الملاحين حنينا لحكم النبلاء، لكنهم من

قالوا يديرون الشؤون اليومية وقت النبلاء، ولا غنى عنهم الآن
مهما كرههم.

لذا فسؤاله اليومي عن أحوال الملاحين يحاول أن يعرف منه إذا
كانت شورى الكتبة صائبة أم لا.

وكل يوم يحاول (داليف) أن يسرد عليه ويستفيض مما جمعه من
أخبار الملاحين، وكل يوم لا تجد (ميرا) ما تقوله سوى أن «الملاحين
بخير»، فهي تراهم يسكرون ويتعاركون ويتناكحون. بعضهم يلعن
الملك والبعض الآخر يلعن النبلاء، وبالتأكيد يلعنوا كهنة النار
كذلك من خلف ظهورهم. لا يختلف الحال من يوم ليوم.. ربما في
مواسم الحج؛ فالحجيج يملئون الطرقات فيحتفي بهم أهل (زراد)،
وينكسبون منهم، وما أن يتموا الشراء، ويخرجون من متاجرهم؛
يصير لعنهم حلالاً ويودعونهم بدعاء أن تأتي شهب من السماء
لخسف بكاتدرائية القمر الأرض ولا يرون حجاج القمر مرة أخرى.
تخرج (ميرا) من أفكارها متبهة لنهاية حديث (داليف):

- وكل ما تبقى مجرد شائعات متناثرة، مشاهدات للغيلان عند
البوابات الشمالية.

حك الملك ذقنه مفكرًا - بعد أن انتهى (داليف) من أخباره - في
صمت طال، وعيناه تشيان بأن عقله ليس معهما.

صوت خطوات تقترب تنبئ بقدوم الكتبة، أعاد الوعي لعيني
الملك ليقول موجهًا حديثه لـ (ميرا):

- أريدك أن تتحقي أنت و(جيرد) من أمر تلك الغيلان.
قالها وأشار بيده ساعيًا لهما بالانصراف.

أحنى كلاهما رأسه في تحية رسمية ستثير حنق (الآركون) لورآهما
يقدمانها للملك السجين، بعد مرورهما بالكتبة في طريقهما للخارج
تمت (ميرا) جازة على أسنانها:

- أنا أكره الغيلان.



على الأقل لم يأخذ (هيشا) منها القمر، ولكن صارت إقامتهما على الغليون أشبه بالسجن. نظرات البحارة الذين يحضرون لها الطعام كانت تخبرهما بكل شيء. بالنسبة لهم فكل ما تعرضت له السفينة منذ انطلاقها كانت بسبب إحضار (سيفاد) لتلك الكريستالات حتى وإن كانت تلك الكريستالات السبب في إنقاذهم في النهاية.

كان يعلم (سيفاد) أنهم ليسوا في الطريق إلى (ثول)، ولكنهم في طريقهم إلى أبراج الصمت ليودع البحارة موتاهم.

ملقس قديم يسبق حتى عبادة القمر لم يتخل عنه البحارة أبدًا، للموت في البحر ألف سبب لكن لو كان السبب يَبْقَى على الجثمان، فواجب طاقم السفينة أن يصطحب الجثمان لواحد من أبراج الصمت، والمشاركة في طقوس مطولة عتيقة تختلف كثيرًا عن طقوس خلاص كهنة النار أو الدفن كأبناء القمر.

كان (سيفاد) ليلقى بالجثث في البحر لو ترك له القرار، ولكن بعد رؤيته للهول الذي كان يحاول اللحاق بهم؛ ربما.. فقط ربما ليس كل ما يؤمن به البحارة هراء.

لم يمنع ذلك شعور الحنق الشديد الذي اعتراه، فرحلته المعطلة تلك كانت لإنقاذ شعب (زراد) بأكمله.

نظر الطبيب لـ (عاند) الذي بدا مسترخياً غير عابئ بأي جهة يتخذون طالمًا كل ميل يقطع يبعدهم عن (زراد).

مع اقترابهم من جزيرة أبراج الصمت وتوقف الغليون، جاء (هيشا) مطالباً الطبيب بأن يصحبهما في مراسم تكريم البحارة. لم يكن (سيفاد) متحمساً بالتأكيد لذلك.

- حضرة الطبيب أرجو أن تسامحني ولكن فلنتهز فرصة وجودنا في ذلك المكان المقدس، ودعنا نتأكد أننا نخلصنا من أي شيء قد يثير نائفة البحر مرة أخرى.

بالرغم من عودة لهجة الاحترام والتبجيل في حديث (هيشا) له، إلا أنه كان يعلم جيداً أن عليه توخي الحذر؛ فهو في حضرة بركان موشك على الانفجار في حال إن نبس بكلمة خاطئة.

هز (سيفاد) رأسه في فهم، وسعل مستعيداً رباط جأشه وهو يقول لـ (هيشا): بالتأكيد سأفعل ذلك؛ هذا واجبي كمندوب شخصي من الملك أن أتأكد من سلامة الجميع وأشارك في المراسم نيابة عنه.

اتسعت عينا (هيشا) قليلاً مع ذكر اسم الملك، وصار مفهومًا لكلٍ منهما صيغة التهديد المتبادلة.

الطبيب سوف يذعن لما يراه حماقة، ولكنه أيضاً يذكر (هيشا) أن بمجرد أن يرسو الغليون فله اليد العليا.

أربعة مراكب صغيرة تحركت من السفينة لتجتاز المياه الضحلة، وترسو على شاطئ أبراج الصمت. ترجل البحارة، أقدامهم تنغرس

في الرمال البيضاء الخشنة التي تغطي الجزيرة بأكملها، حاملين
الجثامين على أكتافهم في اتجاه الأبراج، يتبعهم (عاند) والطبيب،
وقد ارتدى قناعه.

وقف (عاند) مأخوذاً بالأبراج الحجرية المقبضة التي ملأت تلك
الجزيرة الصغيرة، ما لا يقل عن مائة برجاً.

بيت الأبراج على شكل دائرة ولم تكن عالية الارتفاع، ولكنها
كانت مُقامة على هضاب عالية.

مع وصولهم لأول برج على أطراف الجزيرة التقط (هيشا) مجلداً
عقياً - يبدو أنه مصنوع من الجلد - محفوظ على مذبح حجري
بجانب بوابة البرج، بعد مطالعته لعدة لحظات هز رأسه في أسف
وأشار إلى حملة الجثامين أن يتبعوه إلى البرج التالي، ليراجع عند
وصوله المجلد الموضوع بجانب ذلك البرج أيضاً ويتنهد بعدها في
خيبة أمل، مُشيراً إلى قافلة الموت لتتبعه إلى البرج الذي يليه.

تكرر الأمر ثلاث مرات أخرى؛ (هيشا) راجعاً للدفتري الخاص
بالبرج في كل مرة؛ ثم يشير لهم بالذهاب إلى البرج التالي، حتى
وصلوا للبرج السادس.

تلك المرة هز رأسه في رضا بعد أن راجع المجلد مشيراً لهم أن
يصعدوا البرج.

مال (عاند) اتساع مساحة قمة البرج؛ التي تراصت بداخلها مئات
الأجساد في مراحل مختلفة من الفناء. وكلما اقترب من أطراف البرج
وجد تلالاً من الأتربة، بالمزيد من التدقيق اكتشف أنها مساحيق
عظام، ومع دنوه من مركز الدائرة وجد أن الهياكل صارت أكثر
تماسكاً، بينما في منتصف البرج توجد هوة تتراص حولها الأجساد

الأقل تحلاً.

بدأ البحارة في نقل الأجساد المتحللة التي تحيط بالهوة لأطراف الدائرة ليضعوا جثث زملائهم مكانها، حريصين أن يحاذوا الرسع والفخذ الخاص بكل جثة مع النقوش الزخرفية المحفورة على الأرض.

كان (عاند) ينظر إلى كل هذا بخوف وذهول، غير مستوعب لما يحدث، وغير قادر حتى أن يسأل واحد من ألف سؤال تتصارع في ذهنه.

ولكنه فكر أن اللعنة على الفهم الآن.. دعهم يتتهون عما يصنعونه ويعودون إلى السفينة التي صارت تقلباتها ورائحة القيء التي لم تفارقه منذ ارتقاها جنة يتمنى العودة إليها.

ولكن لم يكن مجرد تجريدتهم من ملابسهم ووضعهم بالقرب من الفوهة نهاية الطقس.

اقترب (هيشا) من الطبيب ودس في يده محقناً وست قنينات بعدد الأجساد.

رغم كون ذلك أول قداس أموات بحر يحضره (سيفاد)، إلا أن أبيه قد حرص على أن يعلمه كل طقوس الموت التي يمارسها أهل (زراد) حتى العتيق منها وتحضيره لتنفيذ واجباته خلال تلك الطقوس.

الدور الذي يقوم به اليوم عادة يقوم به القبطان لكن مع وجود طبيب الوباء في القداس لا يسمح لأخر بالقيام به.

ملأ الطبيب المحقن الأول وركع بجانب الجسد الأول ليغرسه في شريان العنق مفرغاً إياه ثم عاود ملئه مرة أخرى متجهًا للجسد

الثاني. يتبعه القبطان بمشرط ليصنع جرحًا عرضيًا في رسغ وفخذ كل جثة ينتهي الطبيب من حقنها.

بمرور الوقت ومع وصول الطبيب للجثة الرابعة بدأت الدماء التي كانت متخثرة في جثة ماتت منذ أيام تسيل من الجروح المشقوقة في الجثة الأولى لتسلك تلك الدماء السوداء طريقها بين النفوش المرسومة باتجاه الهوة، يتابع أحد البحارة خط سير الدماء ليؤكد أنها تسلك طريقها للهاوية، مزيلاً أي عائق أو دماء قديمة متخثرة قد تخرجها عن مسارها، تتابع سيل دماء الجثث وقد أنهى الطبيب دوره، ومع وصول دماء الجثة الأخيرة للفوهة أشار القبطان للبحارة ليتجمعوا بجانب الأجساد ويشق كل منهم كفه ويمدها لتسيل دماء الأحياء ممتزجة بدماء من ستجف عظامهم في وداع أخير لإخوة بحر. واحد تلو الآخر قدم احترامه، وفي النهاية لاول (هيشا) خنجرًا للطبيب.

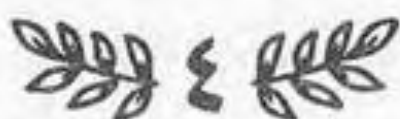
شق الطبيب يده في سرعة ومد يده بالخنجر لـ (عاند) الذي نظر له مترددًا، فأنهى الطبيب تردده بسرعة جاذبًا يده ليصنع شقًا صغيرًا بها ثم شدد من قبضته على يده لتنز الدماء من جرحه وتنضم دماؤه لنهر الدم الصغير الذي يجري تحتهم.

وما أن استدار الطبيب ليعودوا أدراجهم حتى قابلته نظرات البحارة المترقبة ومن قبلهم نظرة (هيشا).

جز (سيفاد) على أسنانه وإن لم يظهر هذا من خلف القناع؛ مخرجًا حافظته الجلدية ليلقي بالكريستالات في الفوهة واحدة تلو الأخرى، داعبته فكرة أن يخفي الكريستالة الزرقاء متذكرًا أنه اضطر للتعامل مع (ساليك) ليحصل عليها، لكنه عدل عن تلك الفكرة سريعًا

مع نظرات البحارة التي يشعر بها تخترق ظهره ليهشمها في يده
تاركاً فتاتها تلحق ببقية الكريستالات، ثم استدار متجهًا إلى سلام
البرج غير عابئ بالبحارة و(هيشا) الذين وقفوا يتلون صلواتهم
الأخيرة على أرواح من فقدوهم.





احتاج (غتاق) إلى ثلاثين نهارًا بلياليه ليعد العدة، ويجمع ما وعد من جيش. استطاع أن يجمع ما يزيد عن ثمانين ألفا مكونين فيلقًا، أو جيش صغير. قلب الجيش والقادة كانوا من رجاله بالطبع، ولكنه احتاج للاستعانة بالكثير والكثير من المرتزقة، وكان السواد الأعظم من أولئك المرتزقة القادمين من مملكة (الطهباء) البائسة.

استمر النبلاء في موقفهم المناهض لتلك التحركات؛ وإن كانوا أكثر حذرًا الآن و(غتاق) قد صار داعيًا وعلى رأس تلك الحرب المقبلة، حتى أن بعض أولئك النبلاء المناهضون من الأساس قد اضطروا لإمداد (غتاق) بأسلحة حربية ثقيلة من أجل قواته. فبرغم كل شيء هم ليسوا في موقف يستطيعون الوقوف أمام ملك الرُحى فيه؛ فأقوى النبلاء لديه من الرجال ما يقل عن لواء. رأت (هينادا) في ذلك بالطبع عدالة ما؛ فعدم قدرتهم منع جيشها الصغير من التحرك كان نتيجة لانبطاحهم الذي استمر لسنوات، واعتمادهم على أمراء (ثيام) و(غتاق) في حفظ مصالحهم.

تناطح كل من (غنتاق) والفيدا في عدة أمور أثناء إعداد العدة للانطلاق، في البداية على توفير دروع مناسبة وزني موحد لكل أفراد الجيش، وهو الذي لم يعتده (غنتاق) بالطبع حين يتقاتل بجيش من المرتزقة، ورأى فيها إسرافاً وتبذيراً لأموال يمكنها أن تذهب لمكان آخر أكثر أهمية، كأعماق جيوبه الفضفاضة مثلاً. ثم تطورت الاختلافات مع قضاء الفيذا جل وقتها في دراسات الحرب؛ لتصير اعتراضاً على تدخلات منها في تشكيلات الزحف، ونقط استراحات الجيش في طريقهم لـ (زراد). وكان (أروين) دائماً هو الموفق بين الاثنين حين تحتد الأمور، ومع الوصول ليوم خروج الجيش من ثيام كانت الخلافات قد خبت كثيراً، مع رؤية (هينادا) لقدرة (غنتاق) في جمع وإعداد عشرة أضعاف ما حلمت به من رجال للزحف، وبالنسبة لـ (غنتاق) وقد رأى جيشه بالزني الموحد الجديد؛ فقد اجتاحه شعور لم يعرف من قبل أنه يحتاجه، شعر أنه قائد لجيش حقاً، وليس مجرد جامع لقطاع طرق منصباً نفسه رئيساً عليهم، حتى أن ذلك انعكس على التزام وتصرفات الأفراد مقربين جداً من أداء جيش نظامي مدرب، أو على الأقل يظهرون كذلك، وهو يكفي ليعطيهم ولو قدرًا صغيراً من التفوق في بدايات الاشتباك.

بالرغم من ذلك لم يكن هناك شعب يقف بالزهور والطبول مودعاً ذلك الجيش، أقصى ما حصلوا عليه هو بعض الصبية الراكضين بجوارهم حتى عبروا الأسوار الخارجية لـ (ثيام)، وحينها أيضاً تنفس أمراء (ثيام) الصعداء؛ فلم يكن من المريح وجود جيش مقاتل بهذا الحجم داخل حدود مملكتهم، وأما النبلاء فكانوا في حيرة من أمرهم؛ فبنصف قلب يتمنون هزيمة شنعاء لهذا الجيش نكاية في الفيذا لتحديها حكماء النبلاء، وبالنصف الآخر يتمنون

أن يُنزل هذا الجيش أقصى أنواع التكنيل بالملك السجين وكهنة النار، ويعودوا إليهم بـ(زراد). لكن في كل الأحوال فإن كل الغذاء والسلاح والملابس والدواء قادم من مخازنهم، مدفوع ثمنه من إرث (آل بونيسوم) الذي نالته الفيذا (هينادا)، لا يوجد إلا مجنون من لا يرى أن الحرب مربحة دائماً.



الفصل الرابع



رغم أن ضوء قمر القرن في طور (الأحذب المتناقص) قد أنارا الطريق نسبياً إلا أن الظلال الممتدة بمحاذاة أسوار (زراد) الحجرية جعلت الطريق مقبضاً.

لا يتجول الملاعين خارج الأسوار كثيراً بعد الظلام لحسن الحظ، لو رأى ملعون عشر الحظ (ميرا) و(جيرد) وسط تلك الليلة بشياهما التي تخفي ملابس الكهنة والوشاح الذي يغطي وجهيهما لظن أنها من شياطين الصمت جاءا بخلص الروح.

قطع (جيرد) الصمت قائلاً:

- أما زلت تفكرين في الغيلان؟

هزت (ميرا) رأسها مجيبة دون أن تبطئ من خطواتها:

- نلاحق أخبارها منذ أكثر من خمسة وعشرين يوماً، لم لم نؤجل زيارة اليوم للصباح؟

أجابها (جيرد):

- كل من ذكر رؤية الغيلان داخل المدينة ادعى رؤيتها ليلاً، من الأفضل لنا أن نستجوب اللحاد أولاً، ثم نفتش المنطقة بعدها على الفور.

قال النصف الثاني من جملة وقد ركز نظراته فوق وجهها.

هزت رأسها موافقة، محاولة تجنب النظر إليه:

- إنها المقابر.. يبدو أننا وصلنا!

وقف اللحاد أمام كوخه يراقبهما في ذعر يقتربان منه، بجوار الكوخ كان هناك طفل صغير لا يتعدى العشر سنوات يقوم بنشاط غير مفهوم ببعض الأواني الصدئة والأخشاب المتكسرة، إما أنه يحاول تنظيفها أو أنه في حاجة للتخلص منها.

يتعرف عليهما اللحاد مع اقترابهما من الكوخ

بصوت متحشرج يشي بحلق جاف تساءل اللحاد:

- كيف أستطيع خدمة الكهنة المهايين؟

قالت (ميرا):

- آتينا باسم الملك وبأمر منه.

وكان قدوم كهنة نار من أجله لا يرعبه بما يكفي فيجيب ذكر الملك السجين ليود اللحاد أن يرمي على ركبتيه باكيًا متوسلاً للغفران عن خطيئته كونه موجوداً.

يرى (جيرد) هذا الهلع في كل خلجة من جسده فيبدأ مباشرة في السؤال:

- يتناقل البعض أخبارا حول رؤية بعض الفيلان بجوار السور،
ونريد التحقق من ذلك.

قبل أن يتمالك زمام كلماته ويهم بالحديث سألت (ميرا) مشيرة
للطفل:

- من أين أتيت بهذا الطفل؟ ملاحظه وملابسه ليست لمحليين.

توقف الطفل عما كان يفعله ووقف ينظر لهم باهتمام وإن بدا لا
يفهم ما يقال ولكنه يفهم على الأقل أن حديثها عنه.

أصاب اللحد الخرس لوهلة وعقله في صراع بين خوفه من الطيب
وخوفه من الكاهنين الذين أتيا باسم الملك، ولكنه حسم أمره
مقررًا أن ينجو بنفسه الآن وهو يقول:

- الطيب.. الطيب.. طيب الوباء.. أولئك أطفال ما خلف
الوادي من نجوا من الوباء، أخذهم من الطيب موفرًا لهم مسكن
وعمل مؤقت، ثم أبيعهم.. أعني أجد لهم عملا في المدينة مع
واحد من التجار.

- طيب الوباء؟!!

تقولها بصوت عالٍ غير مصدقة. تأتي يد (جيرد) الضخمة على
كتف اللحد:

- تحتاج أن تهدأ ونحتاج تفاصيل أكثر، تعال معي.

يصطحب (جيرد) اللحد الذي يظهر أن قدميه سوف تكفان عن
حملة في أي لحظة إلى كوخه، بينما تتجه (ميرا) إلى الطفل الصغير الذي
لا يتحرك من مكانه. ترى (ميرا) حين اقتربت جرحا ملوثا لم يلتصم
على كتف الطفل.

القول له بغلظة مشيرة للجرح:

- اللحاد فعل بك هذا؟

هو الطفل رأسه نافيًا.

سكت للحظة لتتأمل حولها مفكرة ثم تسأل مرة أخرى:

- أكان الطبيب من صنعه بك إذن؟

يظهر لها الطفل دون فهم ثم يشير باتجاه الغابة قائلاً بصوت خفيض:

- سقطت من فوق الشجرة داخل الغابة ونحن نبحث عن أخي.

- أخيك؟ .. أين هو؟

- ليس أخي .. جاء معي .. على السفينة نفسها ولكن أتى بنا وجه الغراب معًا هنا، فاعتبرته أخي.

- وجه الغراب هـ .. وأين أخيك ذاك الآن؟

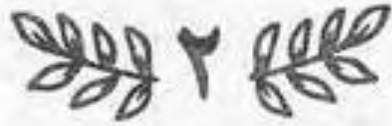
- كنا مع اللحاد في الغابة وتاه منا. بحثنا عنه عدة أيام دون جدوى.

قالها وهو مطأطيء الرأس شاعرًا بخذلانه لأخيه.

تدور برأسها لترى (جيرد) ما زال يحقق مع اللحاد المرتعش.

تتمشى (ميرا) على قدميها وترفع بيدها ذقن الطفل بلطف قائلة له:

- أخبرني بالضبط أين كنتم حين اختفى أخوك؟



انتفض (آروين) من مجلسه متبهاً مع صراخ الجندي الذي اقتحم خيمة الحرب، كان النعاس قد غلب (آروين) أثناء جلوسه في الخيمة، بعد أن أصابه الضجر من حديث الفيدا و(غنتاق) حول تشكيل الزحف الأمثل، وبداله أن الفيدا أصبحت خبيرة في تشكيلات الحروب من كل المصطلحات التي تتساقط من فمها، بينما يتعامل معها (غنتاق) باستخفاف حذر، وهو ما يزال يصر على أن الخبرة النظرية التي جمعتها الفيدا في الأشهر الماضية لا تعني شيئاً على أرض الواقع. ولكن كونه يلين في كثير من الأحيان ويوافقها رأياً كان يرفضه أول ما طُرح أشعر (آروين) بالثقة برجاحة رأيها.

لم يمنعه كل ذلك من أن يشعر بالملل حيث أنه لا يملك ما يستطيع أن يشارك به في هذا الحديث. في الأسابيع الأولى كان ينجعل من غفواته المتكررة أثناء تلك الاجتماعات، لكن بمرور الأيام لم يعد يقلقه ذلك، وشجعه أكثر أن أحدهم لم يُعلق على نومه.

جاء دخول الجندي وصراخه في الخيمة خارج وتيرة عراك (هينادا) و(غنتاق) الذي تعود عليه حتى أصبح جزءاً من أحلامه.

سيادة القائد.. سمو الفيدا.. نواجه كارثة.

نعرف (غنتاق) على الفور على زي الجندي بالشعارات المميزة التي أصدرت الفيدا على وضعها، وفكر للحظة أن بالفعل تلك الأزياء لم تكن بفكرة سيئة.

أنت من السرية الثالثة؟.. فصيلة الاستطلاع.. أليس كذلك؟

سأل (غنتاق) مؤكداً لما يعرفه بالفعل.

نعم يا سيادة القائد. أنا وفرقتي على بُعد يومين غرباً من المخيم.

ود (أروين) أن يسأل عن سبب إرسال فصيلة استطلاع في اتجاه الغرب على غير وجهتهم، ولكنه فكر أن الإجابة بالتأكيد ستكون بديهية لكل من (غنتاق) و(هينادا) وهذا ليس وقتاً للمقاطعة. خصوصاً أن كامل انتباه القائد والفيدا كان مع الجندي في انتظار سماع المزيد.

أكمل الجندي الذي ما يزال يلهث بشدة:

- يوم أمس وصلنا لواحة في الجهة الغربية، ولاحظنا جسماً غربياً لامعاً على ضفة البحيرة الصغيرة التي تقع في منتصف الواحة، انطلقنا بحذر لاستكشافها ظناً أنه سقرياً نائماً.

لم يتمالك (أروين) لسانه مقاطعاً:

- ما الذي سيأتي بحيوان سقري هنا؟.. ألا يفصل بيتنا وبينهم بحر بلاد ما خلف الوادي حيث يسكنون؟

إشارة من يد (غنتاق) أسكتته، وإيماءة من رأسه للجندي جعلته يستمر في سرد حكايته.

- حين اقترينا اكتشفنا أنه ليس بحيوان. بل كان...

تحشرج صوت الجندي وكأن حلقه الجاف يزداد جفافاً في تلك اللحظة بالذات:

- نبيلٌ حديدي.

تناولت الفيدا قربة ماء ودفعتها في صدر الجندي قائلة:

- ارو ظمأك وأكمل حكايتك.

نظرة خاطفة من عين الجندي لـ (غتناق) وكأنها يطلب الإذن ألا يموت ظمئاً؛ وحين لم يجد أي اعتراض على وجهه تجرع سريعاً جرعتي ماء شعر معها أن قلبه كاد يتوقف.

لم يكن للجمهور الذي ينتظر سماع المزيد أن يتحلى بالصبر من أجل جرعة ماء ثالثة؛ فأكمل على الفور قائلاً:

- أغلبنا يا سيدي القائد لم يكن قد رأى نبيلاً حديدياً من قبل، ولكن قائد فصيلة أكد لنا أنه واحد من النبلاء الحديديين، وإن كان قد انطفأ لمعان درعه بشكل كبير، وبدأ أنه ميت. نصبنا خيمنا بالقرب منه على ضفة البحيرة، وقررنا أن نُرسل مرسالاً في الصباح لتقرر ما الذي سنصنعه بجسد النبيل الحديدي، ولكن في منتصف الليل استيقظنا لنجد خمسة من الرجال قد سفك بهم النبيل الحديدي. الثلاثة حراس من النوبة الليلية واثنين آخرين. اكتشفنا أنه لم يكن ميتاً، ولسبب ما قد بدأ في الهجوم علينا. طلب مني الرقيب أن أهرع للسرية لأخبرهم بإرسال الدعم، وحين وصلت إلى السرية أمرني الرائد أن آتي لأبلغك أنهم سوف يتقدمون لموقع الاشتباك، و ينتظروا الدعم في حالة وجود أكثر من نبيل حديدي

هناك.

بغضب شديد دفع (غنتاق) بالجندي أرضاً وهو يصرخ:

- ذلك الغبي. كيف له أن يتقدم للاشتباك دون أمر من القيادات،
أو أمر مباشر مني؟!!

والفتت بسرعة للفيذا قائلاً:

- ما الذي يحدث؟ ولماذا هناك نبلاء حديديون هنا؟ ألم تخبريني أن
النبلاء لا يتحركون دون أمر؟

ثم استوعب لحظتها أنه على وشك أن يذكر الخاتم الذي وعدته به
(هينادا) أمام (أروين) والجندي.

فابتلع لسانه، وبصق أرضاً، ثم حاول مرة أخرى مسيطراً على
أعصابه:

- لماذا يوجد نبلاء حديديون هنا؟ ولماذا يهاجمون رجالي؟

دون أن يطرف لها جفن أجابت الفيذا:

- رجالنا يا سيادة القائد. وأنا لا أملك إجابة على ذلك السؤال
الآن.. أحتاج إلى أن أذهب لهنالك فوراً.

وقبل اعتراض (غنتاق) أكملت:

- أعدك أنني سأعود بذلك النبيل الحديدي معي.

صمت (غنتاق) للحظات، و(هينادا) بالفعل تناول أشياءها من
فوق الطاولة قبل أن يقول:

- سأحضر لك كتيبة لتحرك معك على الفور. ما إن تصلوا إلى

موقع الاشتباك أريد من قائد الكتيبة أن يتولى القيادة، وعزل الرائد الأحمق الذي بدأ الاشتباك.

كانت (هينادا) قد لفت خرائطها، وارتدت حزام الركوب الخاص بها، وقالت قبل أن تخرج من الخيمة:
- أوافقك الرأي تمامًا.

وفي ذيلها (آروين) الذي افترض أن يجب عليه اتباعها.

تحركت الكتيبة من فورها، و(هينادا) و(آروين) خلف الصفوف الأولى مباشرة. لم يقفوا سوى مرة واحدة للراحة، وحتى تلك المرة كانت الراحة قصيرة.

مع بدايات الفجر كانوا قد وصلوا لأطراف الواحة المقصودة. لم يكن هناك صوت يشير لمعركة ما تدور.

تساءلت (هينادا) إن كان النبلاء الموجودون قد رحلوا.

- اللعنة! شياطين الصمت قضوا ليلة حافلة.

تناولت منظارها من فوق سرج الحصان، ونظرت من خلاله لترى نصف دائرة من الدماء حول نقطة بعينها على ضفة البحيرة بها جثث ما لا يقل عن مئة جندي من جنودها، وفي منتصف تلك المذبحة ترى بوضوح نبيلًا حديدًا يجلس فوق صخرة متكئًا على سيفه الأسطوري المغمد.

لتكرر كصدى صوت ما قاله قائد الكتيبة:

- اللعنة.

توقفت الكتيبة لعدة ساعات عند أطراف الواحة، وقد زال سبب

المعجل ليأخذوا وقتهم في مسح المنطقة للتأكد من عدم وجود
سبل حديدي آخر، وقد تساءل قائد الكتيبة إذا كان من الضروري
الاشتباك مرة أخرى مع ذلك النبيل الحديدي الذي قد محى سرية
بأكملها لتوه.

فإن رد الفيدا قاطعًا بأنه لا مجال للتراجع؛ فقد وعدت (غنتاق)
بالعودة بهذا النبيل، ولكن كان لديها بعض الأفكار المختلفة في خطة
المجوم.

المجوم بعدة فصائل في نفس الوقت لن تنتج سوى مذبحه
أخرى حتى وإن كان الناتج في صالحنا هذه المرة.

إم يكن لقائد الكتيبة أن يعصي أمر الفيدا، وإن كان يظهر عليه عدم
الارتياح لما تطلبه منه.

فأولا هي تطلب منه أن يعاود الاشتباك بالنبيل الحديدي وهو
القادم بأمر عزل للرائد الذي بدأ اشتباكًا لا طائل له. وانتهى به
الأمر بمصير أسوأ من العزل.

وثانيًا أنها تطلب فقط عشرة رجال ليصحبوها للقاء النبيل
الحديدي.

ولا يستطيع حتى أن يتخيل كيف يمكنه أن يعود إلى (غنتاق) دون
الفيدا بعد أن يفتك بها ذلك النبيل.. ولكن ما الذي يستطيع فعله
سوى الامتثال لأوامرها.

ترجل العشرة فرسان الذين ستصطحبهم الفيدا من على سروجهم.
كل شاهراً السيف استعداداً لمواجهة ذلك الفارس الذي تغلب على
كل من تتناثر دماؤهم تحت الأقدام الآن.

في توتر ينظرون لبعضهم البعض مستلهمين الشجاعة من بعضهم وخلفهم واثقة الخطوة تأتي الفيدا حتى تأمرهم بالتوقف.

ثابتًا على صخرته لا دليل على أنه مسئول عن كل أولئك القتل سوى قطرات الدم التي جفت على درعه، وعلى الأجزاء الظاهرة من سيفه المغمدة.

في ثقة تقدمت الفيدا من النييل الحديدي لتحسس درعه، مستعيدة ذكريات ضبابية بعيدة، عن قصر في (زراد) كان يمتلئ بمثل هذا النييل.

واحد مثل هذا كان يتبعها في الأسواق، ولا يفارق باب غرفتها حين تنام.. تتذكر أيضًا يوم رحيلها عن (زراد) كان آخر يوم ترى فيه حارسها الحديدي.

- سيدي الحديدي.. أنت هنا؟

نكرة خفيفة في كتفه الصلب.

لا شيء...

دفعة خفيفة مكررة النداء.

لا شيء أيضًا...

فقط اتسخت يدها ببعض الدماء.

في حرص أخرجت من حزامها حصوات ذهبية، ومدتها في اتجاهه، وظلت ثابتة على هذا الوضع لدقيقة كاملة دون أي تغيير. ضمت قبضتها في قوة على الحصوات حتى آلتها، شاعرة بالإحباط وسط نظرات تعجب من مرافقيها. أغمضت عينيها متفكرة ثم فتحت

عليها فجأة موجهة حديثها لأقرب الفرسان إليها:

«اطعني بسيفك».

نظر الفارس المعني لمن حوله غير واثق مما تطلبه منه؛ لتعيد تكرار طلبها بشدة وحزم أكبر:

«اطعني بسيفك الآن».

«سمو الفيدا، لا يمكن..»

«اطعته»:

«نقد ما أمرك به، فأنا أرتدي رداء الحرب».

بالطبع لم يكن لرداء حرب مهما كانت جودته أن يوقف طعنة مباشرة من سيف. فقد صُنع ليحمي مرتديه من الأسهم، وليس من قطع السيوف، ولكن مع لهجتها الأمرة وتوتر الأجواء بالفعل شهر سيفه، موجهًا طعنة متخاذلة للجانب الذي تشير إليه الفيدا بيدها.

مع اقتراب نصل السيف من جسدها أحست الفيدا أنها قد أخطأت، في توقعاتها وأغمضت عينيها وجزت على أسنانها استعدادًا للآلم القادم. حينها جاء الصوت كآخر الحان جرس الكاتدرائية يخبو في رياح (زراد).

جاء الصوت الذي لا يُنسى، صوت سيف نبيل حديدي يقطع الهواء من أمامها.

لترسم بسمه على وجهها، الذي أغرقته دماء الفارس الذي فقد رأسه الآن.





«ما الذي جعله يتعجل بالعودة للسفينة؟» تساءل الطبيب وهو يشعر بدوار البحر يتملكه مجددًا بعد عودته من أبراج الصمت. هل يكره طقوس الصمت الآن أقل إذا ما قُورنت برغبته في إفراغ ما في أحشائه والدوار المستمر؟

لم يكن يكره الطقوس بقدر ما كان يستغريها، يتعوذ الملاعين من شياطين الصمت ويفضلون الموت مذبوحين على لقاءهم، لكن حين يأتي خلاص الروح من دونهم يتضرعون لهم بالأبراج أن يقبلوا موتاهم!

لو كان هناك شيء واحد يقدره من دخول كهنة النار لـ(زراد) لسيكون طقوس خلاصهم بالنار. بعيدًا عن أي الطقوس يحقق خلاص الروح؛ فالنار فعالة جدًا في الحد من انتشار الوباء.

بعد عودتهم إلى متن السفينة دار نقاش سريع حول تغيير دفعة السفينة في اتجاه ميناء (سيجول) للتزود، لكن سرعان ما أغلق (هيشا) هذا الحديث مع التأخير المتوقع في تسليم البضائع، وعلمه جيدًا أن البحارة تفضل الذهاب لميناء الخليج للتنطع والعريضة.

انطلق الغليون في اتجاه (ثول) مع هدوء ملاحظ لأحوال البحر زاه من توتر الطيب؛ لأنه ترجم لنظرات غل وكرامية من البحارة تقول له «أرأيت أن كريستالاتك الملعونة كانت السبب فيما عانيناه؟».

ويكظم الطيب غيظه مفكرًا...

بالتأكيد لم تكن الكريستالات أيها الخرفين، إنه فقط حظي النحاس. الحظ نفسه الذي أتى بي للحياة بقدر أن أكون طيبًا في (زراد) محتلاً طبقة لا يسكنها سواي؛ فلست نبيلاً ولست ملعوناً. والخط نفسه الذي جاء بي في آخر أيام النبلاء، والمجيء الثاني للوباء. هو الخط الذي جعلني أتخلي عن الكريستالة الزرقاء من أجلكم يا حمقى.

يجلس (عاند) بجانب قدمه مسنداً ظهره على جانب السفينة يتأمل الحركة على سطح المركبة. لا يعرف الطيب إذا كان عليه أن يُقدر ولاء (عاند) والتصاقه الدائم به، أم يلعنه حيث أنه لا يستطيع أن يختلي بذاته لحظة دون أن يجد ذلك الجرو في أعقابيه.

لا يريد بالضبط الاختلاء بذاته، بل أراد أن يختلي بثقل في قلبه لم يفارقه من أن رحلوا عن الأبراج، وهمسات تحملها الريح تأتي موسوسة له، بكلمات لا يفهمها، ولكنه يعي أنها تحضه على شيء شرير يفرغ به غضبه.

نظرة أخرى على (عاند) ليجد أنه غفا تحت قدمه، متريلاً على حذائه. في اشمزاز يركله في كتفه موقظاً إياه، وركلة أخرى فقط لأنه شعر أنه يحتاجها.

- اذهب لترى إذا كان هناك أي لحم قد تبقى في المطبخ، وأحضر لي بعضاً منه.

حمر العينين من الاستيقاظ فجأة يقول (عاند) ماسحًا لعابه:

لم يتبق يا سيدي سوى اللحم المملح. أحتفظ ببعض منه في الكابينة، تريد أن أحضر لك منه؟

لا، لم يرد الطبيب أي أملاح في جسده الآن. فالماء أوشك على النفاد، والبيد والميد يزيدا من معاناته مع دوار البحر. لكنه يقبل بأي شيء بعد (عاند) عنه الآن، في تلك اللحظة ولسبب ما يشعر أن ذلك الفتى هو سبب كل بؤسه ومعاناته.

نعم، فلتحضر لي بعضًا منه، هيا اذهب.

مترنحًا انطلق الفتى في مهمته، وعاد الطبيب لتأمل صفحة المياه من أمامه. لقد شعر أن ابتعاد الفتى قد جاء ببعض السكينة والهدوء. تخفتت الهمسات أو تلاشت وبدأ أن الأمواج قد هدأت أيضًا وحتى أصوات البحارة بدا وأنها قد صمتت!

مرت لحظتان قبل أن يشعر (سيفاد) بأن هناك شيء غير طبيعي. بالفعل لم يعد يسمع صوت البحارة.. بالفعل أحاط به السكون، وركدت المياه وتوقفت الرياح وكأن الغليون توقف فجأة.

لحظة ثقيلة تمر الآن و(سيفاد) يود بكل جوارحه أن يلتفت لينظر خلفه، ولكنه يود أيضًا وبكل جوارحه ألا يحتاج أن يستدير أبدًا. رغم توقف الرياح يرى أن الضباب صار يحيط بهم، حاجبًا ضوء الغروب، محيلاً ما حوله لظلام مقبض. كم من اللحظات يمر و(سيفاد) ما يزال مثبتًا نظره على الأفق تجاه صفحة المياه التي تخفي تدريجيًا، وتتحول بفعل الضباب من الأزرق المشوب بالأحمر الناري إلى الرمادي. ما أجبن قطرات العرق وهي تسارع هاربة من فوق وجنتيه قافزة لظلام البحر!

يمد يديه قاطعاً رحلة الهروب مجففاً تلك القطرات، ويخرج قناعاً واضعاً إياه على وجهه قبل أن يقوم بما كان محتوماً ويلتفت ليلاقى الهول.. وقد كان الهول بانتظاره.

ما رآه منذ أيام على بعد مئات الأمتار كان في مواجهته بالضبط. فأمامه مقدمة سفينة الهول. عشرات الأيدي والصرخات التي ما تزال مكتومة تأتي من مقدمة ذلك الكابوس وقد وجد الطيب نفسه أسفل ظل مقدمة تلك السفينة الكابوسية.

انتزع عينيه انتزاعاً لبحث عن رفاق سفينته ليجد أن كل من على السفينة قد اجتمع في كتلة واحدة في كاثول الغليون مشدوهين بنظراتهم لجزء آخر من الكابوس، مادين أياديهم، وفاتحين أفواههم في صراخ صامت كمثل من علقوا في مقدمة الكابوس.

تابع نظراتهم ليجد أنهم متعلقين بثلاثة أجسام تتحرك على الجانب الخارجي لسفينة الهول، كان يبدو أن تلك الأجسام المتقدمة ناحيتهم وكأنها تزحف.

يدقق النظر دون أن يأخذ نظرة للأمام أو للخلف محاولاً أن يجبر عينيه أن تعتادا ذلك الظلام المفاجئ لتفسير ما يراه. ورغم رفضه للتصديق في البداية ولكنه عرف ما الذي الآتي إليهم بالضبط.

ثلاث (جبارم)، لا مجال للخطأ. لسن أسطورة يحكيها البحارة السكارى، هن أمامه الآن، سمع كثيراً عن (الجبارم) التي تغوي البحارة نصفها إنسان ونصفها سمكة، ينادين عليهم ويجذبهم للأعماق. يتحاكى البحارة عن جمالهن، وصوتهن الذي لا يقاوم.

ولكن الآن وهو يراهن فهو لا يسمع لهن صوتاً، فقط تعابير الصرخات المكتومة، وكأن الجميع من حوله يجرون محادثة لا يمكنه

سماعها، ويشك بلحظة أنه فقد القدرة على السمع، فيدق بعصاه على الأرض دون أن يرفع عينيه عن (الخبارم) ليتأكد أنه ما يزال يملك القدرة على السمع. يستطيع سماع دقات عصاه، وسماع صوت المياه الراكدة من حول السفينتين. ما الذي يحدث إذن؟

تترب (الخبارم) أكثر، وتقفز إحداهن منفصلة عن جانب الهول هابطة بنعومة وبلا صوت أيضًا على سطح الغليون. تتبعها أخرى فآخرى.. ثلاث (خبارم) يزحفن بنعومة الأفاعي ناحية البحارة المشدوهين.

عاجزًا عن اتخاذ أي قرار يقف الطبيب حائرًا فيما عليه فعله، ويده لا تزال تدق العصا في آلية.

وفجأة تلتفت واحدة منهن ناحيته. يتساءل إن كانت تلك الدقات التي يصدرها بعصاه ما جذب انتباهها، ولكن حتى في تساؤله لا يتوقف عن الدق. وكأنها الأمر خارج عن إرادته. وكأنه في مشهد مرسوم يقوم فيه بدوره لا يسعه أن يخرج عن النص.



يرتسم على ملامحها غضب وهي تنظر إليه؛ ثم تلقي نظرة أخرى على أختيها وعلى الجوقة الصامتة التي في الأغلب تمثل وجبة شهياهن. تكاد أن تتبع أختيها، ولكن مرة أخرى وكان هناك طوق خفي في يد أحدهم، تلتفت بغضب أشد ناحية الطبيب. يستطيع أن يرى ما يفسره كالم على وجهها يختلط بغضب وهي تتجه زاحفة ناحيته لا تتسارع الدقات ولا تُبطئ.. على الوتيرة نفسها.. لا يجفل الطبيب ولا يتقهقر وهو في انتظار ما سيحدث. تقف أمامه على بعد قدم، وبكل غضب تطلق في وجهه صرخة صامتة ثم يختفي الألم، والغضب من فوق وجهها في لحظة ويتحول وجهها لآية من السكينة وتنفرج شفتاها أخيراً عن صوت يمكنه سماعه.

-(سيفاد)... لماذا أحوم في هذا العالم من جديد؟

ذلك الصوت الناطق باسمه.. كم يشبه همسات الريح.

-(سيفاد).. أنت حامل المجد؟

لا يرد الطبيب غير عالم إن كان المفترض به الرد من الأساس.

-أُبعث على يد آخر سلالة (آنشتون)؟

مع كلماتها تلك تتوقف الدقات وقد احتاج لعصاه الآن ليدعم ثقل جسده المرتجف، ولكن قبل أن يأخذ أي ردة فعل يقفز على الحبارية ظل من خارج إطار رؤيته طارحاً إياها أرضاً.

(عاند) لسبب ما لم يكن ضمن البحارة المسجونين في تعويذة (الحبارم)، كان يغرس أسنانه الحادة التي تتلأأ كضوء القمر في عنق محدثته التي تحولت ملامحها من السكينة للغضب مرة أخرى، وأخرجت صرخة مسموعة تلك المرة وهي تصارع الفتى المتشبث

ظهورها، ولكن سرعان ما توقفت صرخاتها بعد أن نحر (عاند)
بها بالخنجر الطقسي الذي تركه معه في أبراج الصمت.

تأتي صرخات أختيها ماثلة لصرخاتها، أقرب في الصوت لصيحات
الظهور البحرية منها إلى الأصوات البشرية.

ومع صرخاتها تأتي صرخات أخرى..

البحارة.. وقد تشتت انتباه (الحبارم) تحرروا من تعويذتهن، وبدأ
أمرهم تفكيراً في تناول كل ما يصلح لأن يكون سلاحاً وانهالوا
والغريبات على الأختين المفجوعتين.

كان الجنون يسيطر عليهم فلم يتوقفوا عن الصراخ وهم يركلون
ويصفقون على جثث الكائنات الرهيبة.

لم يخرجهم من جنونهم سوى صيحات (هيشا) فيهم ليتخذوا
واقعهم على السفينة كي تبدأ في الحركة.

وحسب حينها ظل بعضهم يصرخ ويستمر في ركل الأجساد غير
قادر على تجاوز الصدمة

سحب الطبيب (عاند) الذي كاد البحارة أن يقتلوه وهم يمثلون
بجثة (الحبارية) التي ذبحها.

كان الفتى يرتجف وسيول تنهمر من عينيه في بكاء صامت.

وضع الطبيب أرضاً متفحصاً جسده من أي جروح.

أكل الدماء تخص (الحبارية).. الفتى بخير.

هبطاء يتحرك الغليون، يخرج من تحت ظل الهول وأنوار القمرين
والنجوم تضيء موقع (عاند) والطبيب الذي كان على وشك أن

يسل الخنجر من يد الفتى.

لكنه يتراجع فجأة حين يرى أن يدي الفتى مغطاة بشعر كثيف
وأظافر حادة.. لا ليست أظافر.. تلك مخالب حيوانية!
ينظر في سرعة حوله ليتأكد أن البحارة لا يزالون غارقين في الفوضى
قبل أن ينزع عباءته سريعاً ليغطي جسد (عاند) المرتجف.



لم يمتد (خاشيد) منذ تركه للجيش أن يتلقى مهامًا تصدر له كأمر
لا مجال فيه للنقاش؛ فلديه من العمر والخبرة ما هو كافٍ لأن تؤدي
به اختياراته الحمقاء لميتة شنيعة، عوضًا أن تأتي نهايته بسبب مهمة
كافه بها (ساليك).

المهامه الآن لمنطقة موبوءة بالغيلان لم يكن يقلقه، فقد شاهد
وتعامل مع الغيلان من قبل، ودائمًا كان يفكر فيها كفئران كبيرة
الحجم بشعة المظهر.

فهي في تكوينها أقرب للذئب، وإن كانت أكبر حجمًا ورؤوسها
مفلطحة، يتساقط جلدٌ مهترئ من عليها، وتفوح منها دائمًا رائحة
نتن.

استغرب أول ما سمع تنائر أحاديث عن تواجدها قرب أسوار
(زراد)؛ فعشش الغيلان دائمًا لا تظهر إلا في المواقع الحربية، تتغذى
دائمًا على الجثث التي تُركت في أرض المعركة، وعلى الجثث المتعفنة؛
الدماء الساخنة والأجساد الطازجة لا تثير شهيتها.

ولكن بعدما أخبره (ساليك) بهدفه حينها أصبح من الواضح سبب تواجد الغيلان الآن؛ ذلك ال... ال... الشيء الذي طلب منه (ساليك) أن يصطاده كان من البشاعة بحيث أن مجرد التفكير به جعل معدته تتقلب، رغم أنه ليس سريع الاشمزاز.

فكر (خاشيد) أنه يجب أن يكون حذرًا، فمرة أخرى هو غير قلق من الغيلان، الغيلان لا تهاجم إلا إذا اقترب أحدهم من عشها أو صيدها. وإن هاجمت فأهم شيء يجب عليه أن يتذكره هو ألا يعطي الغول ظهره. فهي كالسنوريات تهاجم من الخلف.

أحدهم قال له منذ زمن أن أفضل طريقة لقتل الغيلان كانت الأسهم ذات الرؤوس الفضية. ربما كانت تلك أفضل طريقة لاصطياد الغيلان بالنسبة للنبلأ؛ لكن من أين لـ (خاشيد) بكريستالات يملأ بها كنانته بأسهم ذات رؤوس من فضة؟!

على كل حال إنه لا يؤمن بفضل الفضة في قتل الوحوش؛ فلسبب ما أيا كان ما يخيفك في الظلام فسيأتي من يقول لك اقله بسيف فضي أو سهم فضي. في ظن (خاشيد) أن بائع فضة هو أول من أطلق تلك الأسطورة.

كان (خاشيد) قد ترك الطريق الرئيسي الموازي لأسوار (زراد)، وتوغل قليلًا في الغابة.

ألقي نظرة أخيرة على الطريق الذي تركه مودعًا إياه وهو يراه من بعيد يحمل بوعود الأمان والسلامة على عكس قلب الظلام الذي يغوص فيه الآن.

على الجانب الجيد فإنه لن يحتاج لضوء لإعلان وصول الغيلان؛ فدائمًا ما يمكنه شم رائحتها من على بُعد عشرات الأمتار.

للساعات وتزداد الخطوات ويتوقف (خاشيد) عن حساب الوقت الذي سيحتاجه للرجوع من ذلك الطريق. يتمنى الآن لو استطاع أن يجترع بعضاً من الدُخن لكنه يحتاج إلى كامل حواسه. ولقد وصل لقلب الغابة. يخلع حذاءه ويبدأ في تسلق الأشجار والتمسك الفخاخ على الأغصان. متوقفاً كل دقيقة مع كل حفيف يعلو ومع كل نسمة محملة بعطن. «أكانت تلك رائحة الغيلان أم رائحة روث أحد الحيوانات؟» يتساءل (خاشيد) كاتماً أنفاسه، وحين يتأكد أنه لا خطر؛ يكمل مهمته. ببعض الأشجار يغرس الفخاخ الحادة التي يستخدمها الرعاة عادة في حماية ماشيتهم من الذئاب، ثم يأتي الجزء الأصعب وهو الانتظار، وحين تحاول صيد كائن قادم من كوابيسك فمن الجيد دائماً ألا تظل في موقع واحد لأنه بالتأكيد سيكون في طريقه.. قادم مباشرة من خلفك.

لقد ميه الخافيتين يتسلل وعينه التي اعتادت الظلام تبحثان عن صيده، الذي يجده ألف مرة مع كل حركة ظل وهزة غصن.

ساعات تمر ويجد (خاشيد) نفسه مفكراً أنه قد عاش حياة جيدة وقد تجاوز الخمسين من العمر، إنه الرقم الذي لم ينجح أي رجال عائلته في الوصول إليه. ربما كان من الأفضل أن يستسلم للنوم الذي يصارعه منذ ساعات، ويموت ميتة هادئة. ربما لن تكون هادئة تماماً لكنه يحتاج إلى أن ينام الآن وإن كان الثمن حياته.

حينها يكشف شيئاً مهماً، رائحة الغيلان لا تُنسى؛ فقط يكبحها العقل من الذاكرة، ولكن ما أن تأتي كما أتت الآن فأنت تعرف أن غولاً أو بتدقيق السمع مجموعة من الغيلان تقترب.

في خفة يزحف على جانب صف من الأشجار مقترباً من مصدر

العفن، وآملًا أن تكون حساباته سليمة، وأنه الآن يدور حول
مجموعة الغيلان، ولا يتجه مباشرة لبرائتها.
ثم يراها أربعة.. لا.. خمسة غيلان.

يشعر (خاشيد) بصعوبة في تتبع خطواتها وقد أصبح خلفها والريح
الرياح مباشرة في وجهه، ومعه تتزايد رائحة العفن حتى تحرق
عينيه.

يتفهم حينها ما كان يتداوله الجنود أن الغيلان ترتدي جلود الجثث
وهي في الحقيقة مجرد هياكل لا يغطيها شيء. لكن تلك الرائحة
أسوأ من رائحة الموت بكثير.

يرفع قميصه ليغطي وجهه وأنفه ويتابع حركة الغيلان وهو يأمل
أن يكون ميزان الفخاخ التي نصبها بالدقة الكافية حيث لا تنطلق
من أوزان تلك الغيلان. لم تكتمل الفكرة في رأسه وهو يسمع
انطلاق واحد من تلك الفخاخ. يلعن (صاريف)، وأدواته المهترئة
قبل أن يسحب سيفه وينطلق ليخرس ما تبقى من الغيلان قبل أن
تجذب ما تبقى من القطيع أو الأسوأ، ما جاء اليوم لاصطياده.
مع خروجه من خلف جذع الشجر يرى أن الفخ قد انطلق على
اثنين من الغيلان خطوا فيه معًا. يهمس لنفسه «تحسنت معدات
(صاريف)».

ثم يلقي بجسده ليسار متفاديًا هجمة غولٍ يحاول تشتيته، بينما
الاثنان الآخران يبدآن بالالتفاف من حوله. لا يكاد يلمس جسده
الأرض حتى يدفع بيده جسده للأمام ويتصب واقفًا ليركض في
اتجاه الغولين المعلقين. متدليان من فرع شجرة وفي حالة من الهيجان
حتى أنهما بدءا ينهشان في بعضهما البعض. يرفع سيفه عاليًا وفي

علكة دائرية سريعة يفصل رأس الغولين المعلقين ويلقي بجسده
لها مرة أخرى تفاديًا لانقضاضة قد تأتي من خلفه.

لا تبال الانقضاضة لكنه لا يتظر ليحدد موقع الثلاثة غيلان. يقف
سريعًا رافعًا سيفه راكضًا في اتجاه الغول الذي انقضض عليه أولاً
ورفعًا ألا يكون قد تحرك من موقع سقوطه بعد.

يحدث نفسه بصوت عالٍ:

رائع يا (خاشيد). تركض في الظلام.. حافي القدمين.. رافعًا
سيفك الحاد وسط عشرات الفخاخ.. ستكون ميتة أسطوانية.
وبالفعل يجد الغول ما يزال في مكانه ليسدد له طعنة في رقبته.
تخرقة جسده طوليا.

يصر بهجوم قادم من الخلف وفي اللحظة نفسها يستوعب أن سيفه
لم يغرس فقط في رقبة الغول، بل في الشجرة أيضًا.

لا يصارع مع السيف متقهقرًا من موقعه في سرعة. لتغلق أسنان
الغول الذي يهاجمه على موقع كان فيه أنف (خاشيد) منذ أقل من
لحظة. يصرخ (خاشيد) وهو يخرج سهمًا من كنانته:

نعم من فضلك أريد أن أخلص من تلك الرائحة. استئصال
الذي سيفي بالغرض.

يقولها وهو يغرس السهم الذي أخرجه من كنانته في رأس الغول.

يغرز بجسده لليمين متوقعًا أنه يتفادى هجمة أخرى، ولكن لا تأتي
الهجمة. يراجع في رأسه سريعًا وهو يتمتم:

(خاشيد) هل كانوا أربعة أم خمسة؟.. أربعة أم خمسة يا

(خاشيد)؟.. لا خمسة.. أنا متأكد.. بالتأكيد خمسة، قتلت أربعة
ويبقى أوسمهم.

ينطلق في سرعة تجاه سيفه الذي يثبت الغول في جذع الشجر
وضعية شواء، دافعًا بقدمه جسد الغول وجاذبًا بكلتا يديه السيف
ليخرج السيف بمجهود أقل من المتوقع مخلاً بتوازن (خاشيد)
وجارحًا بنصله جانب قدمه ليطلق سبابةً عاليًا قائلاً:

- رائع يا (خاشيد).. رائحة دم.. هذا ما تحتاجه الآن.

يرفع سيفه مرة أخرى، ويركض في الاتجاه الذي يستطيع سماع
صوت أغصان تتحطم فيه.

يستمر في الركض لعدة أمتار متبعًا الصوت شاعرًا أنه اقترب من
وفي الوقت نفسه فاقداً لأي حس تجاهه. فهو

الآن لا يملك أدنى فكرة
عن شرقه من غربه، ولكن
لم يكن ذلك بالأمر الهام
«فقط دعني أقتل ذلك
الغول وأعود لإعادة
توزيع الفخاخ». تنجس
الأشجار ويمكنه أن
يرى الغول متكورًا على
نفسه أمامه مباشرة.
يقترّب منه في
سرعة، متجاهلاً
ألم قدمه ويستعد



يظن الغول قبل أن يشعر أن هناك شيء غريب. فإن ما اعتاد عليه من الزوجة تحت قدمه بسبب الجرح قد امتد ليُشعر بلزوجة تحت أقدامه.

ظرة سريعة لأسفل قدميه ليجد أنه يقف فيما يشبه بركة من الماء الأسن.. لا.. لم يكن ماءً بالضبط، قد كان أكثر لزوجة وكثافة، والراحة التي ازدادت قوتها آلاف المرات.

يُحس العظام المتناثرة من حوله، ويستوعب (خاشيد) أنه الآن يقف في عش الغيلان، وينفك جسد الغول عن تكوره، ليكتشف (خاشيد) أن الغيلان يمكنها أن تضحك؛ أو أيا كان ما يمكن إطلاقه من ذلك التعبير البشع الذي ارتسم على وجه الغول أمامه.

يا (خاشيد) قائلاً:

ما صعوبة أن تتذكر ألا تقترب من عش الغيلان؟ وألا تعطِ
أهلك لها؟

لأن يمكنه الآن أن يرى.. ستة.. سبعة.. عشرة غيلان تتقدم من كل جانب، وكان يعلم أنه على الأقل ما يياثلها في العدد يأتي من خلفه.

فلتكن صادقاً مع نفسك يا (خاشيد) لم تكن تلك أسوأ ميتة لحبائها لنفسك.. ولكنك ستكون ملعوناً حقاً لو لم تأخذ هذا
الوسيم الضاحك معي لياقسي شياطين الصمت.

وبكل قوته يغرس سيفه في عين الغول الضاحك، ولا يتنظر
مستديراً بسيفه الذي ينثر الدماء ومحتويات رأس الغول على ثلاثة
غيلان، والتي قفزت سويةً لتهاجمه.

يلتقي نصل السيف ببطن واحد منها ليقرها، ويصطدم بالشال مطيحاً به بعيداً، ولكن الثالث يغرس أسنانه في كتف (خاشيد) ليلقي به أرضاً. في وسط العش تماماً.

ينسلت السيف من يد (خاشيد) فيمد يسراه سريعاً ليخرج خنجره ولأقل من لحظة يفكر أن يدب نصل الخنجر في قلبه هو عوضاً عن رقبة الغول الذي يتلذذ بلحم كتفه الآن.

لكن الألم الذي تسبب فيه هذا الغول استحق معه أن يدب الخنجر في رقبته ثلاث مرات ويحاول أن ينتصب جالساً ليرى الدائرة التي تغلق عليه وقد شعر الغيلان أن من الأفضل أن تهجم عليه في وقت واحد حتى لا يقتل المزيد منها.

من تحت أنفاسه يغمغم:

- تتعلمون سريعاً أيها الأوغاد.

مع اقترابها يفكر (خاشيد) أن تلك هي النهاية، ولو كانت له أمنية واحدة لكانت أن يكون آخر ما يراه وجهها أفضل من وجوه أولئك الأوغاد.

توقف (خاشيد) عن الإيمان بأي من الآلهة منذ زمن بعيد، لكن حين سيفكر (خاشيد) في تلك اللحظة أنه حتى لو توقف عن الإيمان بهم فهم لم يتوقفوا عن إسداءه معجزاتهم.

ما أن أنهى (خاشيد) فكرته حتى وجد اثنين من الغيلان في منتصف الدائرة أمامه مباشرة ينقسمان إلى نصفين يفصل بينهما نافورة من الدماء، ومن بين تلك الدماء تولد فتاة نارية الشعر، وهي له أن عينيها أيضاً ناريتين. تتقدم في اتجاهه موجهة سيفها ناحيته. كانت

لم نفس بسرعة لا مثيل لها. لم يكن يمانع حقًا لو كان ذلك السيف
وجهه إلى قلبه، لكنه لم يكن كذلك. فما سمعه ولكن لم يره كان
هبل سيف (ميرا) يخترق غولًا ينقض عليه من الخلف.

لم يكن (ميرا) تتوقف لتعد قتلها مثل (خاشيد). فقبل التقاء
السيف بجسد الغول كان جسدها يتحرك في اتجاه هدفها التالي.
سلاح سيفها منذ أن بدأت المعركة لم يتعرض للهواء لأكثر من ثانية
ما بين أحشاء غول، لآخر. تسعة غيلان مقسمة أجزائها على أكثر
من عشرين جزءًا كانت متناثرة من حولها هي و(خاشيد) قبل أن
يستوعب (خاشيد) وجود (جيرد).

كان (جيرد) في نفس تمكن (ميرا) بالسيف وإن كانت حركات سيفه
أصيرة ويفضل التلاحم عن قرب.

بدأ بعض الغيلان في الهرب - وإن ظل القليل منها - وقد أصيبت
بجنون الدم. لتقترب (ميرا) منه، ويميز (خاشيد) زي كهنة النار،
وتسأله:

- من أنت بالضبط؟ وما الذي تفعله هنا؟

قبل أن يتمكن (خاشيد) من إجابتها؛ من خلف الأشجار بدأت
الغيلان التي هربت في العودة، ومن خلفها اقترب ظل يقارب
حجم (جيرد).

قال (خاشيد):

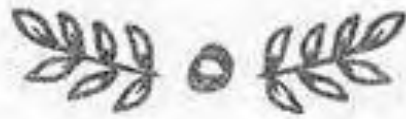
- (خاشيد)، وأنا هنا من أجل تلك الـ(أغوش).

مشيراً بيده لظل يتبع الغيلان في ظلام الغابة مقترباً منهم لتتضح في النور ملامح الـ (أغوش) العجوز بهيئتها المربعة التي يخيفون بها الأطفال.

تتقدم بثدييها المترهلين، وأنفها المعقوف، ويمتد أمامها ما تظن كيس جلدي ولكنه جزء من تكوينها البشع تخزن فيه كل سمومها - أما نحن فهنا من أجل هذا.

وتشير (ميرا) بسيفها إلى شيء معلق في رباط على وسط الـ (أغوش) العجوز. ويتدقيق النظر، يرى (خاشيد) أنه رأس آدمي مفصول لطفل صغير.





الحرك (ميرا) دون إبطاء في اتجاه الكابوس وهي تصرخ:

- ما هذا الشيء؟

بجاهل (خاشيد) سؤاها صارخا في سرعة:

- لا تطعنيها في بطنها.

بطلع (ميرا) من تقدمها للحظة مغيرة وضعية السيف لأعلى وهي

تكرر سؤاها:

- ما هذا الشيء؟

بنقض (خاشيد) على كنانته مخرجا سهما يختلف وزنه ونحته عن

بنية الأسهم وهو يقول:

- (أغوش)، من سلالة «أمهات الغيلان»، وذلك الكيس المتكون

أمام بطنها مليء بالعين السموم. قليلٌ منه قادر على تسميم نهر

بأكمله.

يمد يده ناحية سلك معدني طويل قد وقع منه أثناء عراكه مع الغيلان، ولكن لحسن الحظ أنه قد وقع قريباً منه. لو ضاع مكان أبعد من ذلك بمتري لفقده في الظلام بين كتل الدماء وأجزاء الغيلان.

يولج السلك المعدني في تجويف دائري بقرب ريشة السهم سليم في فرد السلك المعدني، بينما ينضم (جيرد) لـ (ميرا) صادين موجهة الغيلان عنه. و (ميرا) تصرخ دون أن تنظر خلفها:

- يبدو أن لديك خطة محددة للتخلص من ذلك الشيء. أنا لا أعرفك، ولا أثق في رجاحة عقلك تمامًا...

يقاطعها غولان يهاجمها في آن واحد. في سرعة تهوى على رقبة أحدهما بقبضة السيف، ثم تدفع نصل السيف لليمين مختربة جداً الآخر. ولزيادة التأكيد تحطم رأس من دقت عنقه بقدمها وهي تكمل:

- لديك أقل من عشرة أنفاس قبل أن أحرق ذلك الشيء ومع غيلانه.

يأتي صوت (جيرد) للمرة الأولى مؤمناً على حديثها:

- لن نسمح لتلك الـ (أغوش) بالاقتراب حتى من أسوار (زراد).

مستمراً في عمله الدقيق يقطع (خاشيد) السلك المعدني بعد أن وصل للطول الذي يرغبه، ثم أولج الطرف الآخر في سهم مماثل، ويرد في لهجة تبدو مليئة بالضجر:

- لا تقلقوا، لا حاجة لتضحيات بطولية؛ فالـ (أغوش) يستحيل أن تقترب من أسوار أي مدينة.

وهي حديثه وهو يلقي قوسه بسهمه، قائلاً بصوت عالٍ:

والآن إذا تكرمتا.. انبطحا.

الليلة ثامنة وكأنما تدربا على ذلك مئات المرات، ينفصل (جيرد) و(ميرا) ملقيان بجسديهما على الأرض كل في اتجاه مختلف حتى قبل أن يظرا ليريا لماذا طلب منهما الانبطاح.

يرى (ميرا) السهم يمر من فوق رأسها ولكن يبدو أنه لا ينتهي بفعل السلك المعدني المربوط به، وقبل أن يصل إلى هدفه كان (خاشيد) قد أطلق بالفعل السهم الثاني. في جذع الشجرة الواقعة بالهبوط بجوار الـ(أغوش). ويقترب السلك المعدني بسرعة كبيرة بالهبوط تجاه رقبة الـ(أغوش).

يسم (خاشيد) في ثقة، وهو يرى الـ(أغوش) تحرك رأسها لتبتعد عن موقع انغراس السهم الأول، دون أن ترى السلك المعدني. خفقة قلب أخرى وتنفصل رأس الـ(أغوش) عن جسدها، ولكن مع انغراس السهم الثاني في جذع الشجرة المقابلة يكتشف (خاشيد) أن عضلة الغول قد أثرت على دقة تصويبه؛ فالسهم الثاني جاء أعلى من اللازم ليطيع بنصف أنف الـ(أغوش)، لترسل صرخاتها الحيوانية مرهبة حتى الغيلان من حولها لتتقدم كلها ناحية الكاهنين و(خاشيد)، ولكن من دون نية للهجوم.

تتحرك كل من (جيرد) و(ميرا).. (جيرد) صانعاً سداً أمام الغيلان الراكضة، و(ميرا) وللمرة الثانية في أقل من يوم مُنقذة (خاشيد) من أن يدهسه قطيع الغيلان.

ما أن انتهى هروب القطيع الذي لم يكن بالعدد الكبير الذي ظنه في البداية.

قال (جيرد):

- الـ (أغوش) هربت، يجب أن نتبعها الآن.

جاء صوت (خاشيد) واهنًا من كل الدم الذي كان يفقده دون توقف خلال المعركة القصيرة:

- لا.. (أغوش) الغابة يجب التحضير لذلك، فلو أطلقت سمها خوفًا من مطارديها الآن فلن تقتلنا نحن فقط.

لم يستطع حتى (خاشيد) إكمال ما يود أن يقوله، وقد فقد الوعي بالفعل.

التفت (جيرد) ونظر حوله موجهًا حديثه لـ (ميرا) التي ما تزال متخذة وضعية دفاعية على الأرض بجانب جسد (خاشيد) المسجى.

- هل سيجب علينا حمله لخارج الغابة؟

قالت (ميرا) وقد انتصبت واقفة:

- أعتقد أن عليك حمله بعيدًا عن هنا، فلا نعلم لو كانت الغيلان ستعود أو لا، ولكن يجب عليّ أن أكمل مطاردة.. ماذا قلت اسمها مرة أخرى؟

يتنهد (جيرد) غامدًا سيفه وهو يقول:

- تُدعى الـ (أغوش)، ولا.. لا يمكنك متابعتها وحدك أنا أثق أنك يمكنك قتلها بسهولة، ولكن أولًا نحن لا نعلم ماذا يوجد في هذه الغابات الملعونة، يجب أن يكون لديك من يحمي ظهرك. اثنان.. هذا الرجل يبدو عليه أنه يعلم ما الذي يفعله. دعينا نستخلص منه قصته، ونعود من أجل تلك الـ (أغوش) متخذين كافة

الحيواناتنا حتى لا نسبب أي ضرر لسكان (زراد).

لم يكن (ميرا) بالضبط في أنسب حال لتجعل (جيرد) يعدل عن رأيه؛ لأن قتال الغيلان وحده كان يثير غثائها، أما مع تلك الـ (أغوش)، لممكنها الانتظار حتى تأخذ حمامًا ساخنًا، وتعود إليها.

ساعد (جيرد) (ميرا) في رفع جسد (خاشيد) على ظهرها، رابطة يديه حول عنقها، وساحبة إياه خلفها.

لم يكن هناك داع لمرورهم بكوخ اللحاد الآن. فمن الأفضل للفتى أن يظن أن أخاه قد قُعد أو هرب في الغابة. واللحاد نفسه لن يهتم كثيرًا. كان ذلك المنطق الذي اتفق عليه كل من (جيرد) و(ميرا) لمرران أن يتجها إلى سجن القلعة.

كان المهم بالنسبة لهما الآن أن يجيبا عن سؤال الملك «لماذا تزايد الغيلان في الغابة وحول أسوار (زراد)؟»

وكإجابة مبدئية: لأن هناك (أغوش) - أو أكثر من واحدة هم لا يعلمون بعد - في الغابة.

من أين أتت؟ ولماذا؟ يبدو أن ذلك الـ (خاشيد) لديه معلومة حيث أنه كان يعلم بوجودها ومتحضرًا للملاقاتها.

أرادت أن تلقي به (ميرا) في واحدة من الزنانات بسبب رائحة أنفاسه التي اضطرت لحملها طوال الطريق أكثر من أي شيء آخر، ولكن (جيرد) أقنعها بضرورة أن يبقى في مستشفى السجن، طالبين من (داليف) مراقبته دون أي تفاصيل أخرى قبل أن يتجه كل منهما لحرق ملابسه وأخذ حمام ساخن مستحق.

احتاجت (ميرا) إلى ستة أيام هي وفرقة من كهنة النار لتطهير

أعشاش الغيلان التي وجدوها، واصطياد بعض الغيلان التي
تبقت، ولكن لم يتمكنوا من إيجاد الـ (أغوش) أو تتبعها هي ومن
هرب من الغيلان.

حينما قررت (ميرا) أن تعود لـ (خاشيد) لاستجوابه، وقد كان لا
يزال محتجزاً في مستشفى السجن، حين وصلت إلى غرفة (خاشيد)
وجدته هو و (داليف) منغمسين بلعب واحدة من ألعاب النرد
سويًا، قاطعت رهانها متسائلة:

- كيف تأتي له الخروج من الفراش بجسده المثخن بالجراح؟
ثم على أي شيء يراهن بالضبط؟ لقد فتشت كل حاجياته، ولم يكن
يملك كريستالة واحدة!

أشار (خاشيد) بإصبعه:

- كونك كاهنة نار شديدة البأس، لم يقتل أخلاق الأنثى بداخلك
تمامًا.

قالها ليمد يده في ملابسه الداخلية مخرجًا قطعتين من الكريستال.

في ذهول تمنت (ميرا):

- كيف لذلك! الكريستال المهشم لم يحم بقطع...؟

تسكت للحظات ثم تتابع:

- لا أريد أن أعرف. وأنت...

مشيرة لـ (داليف):

- أتريد حقًا أن تكسب مثل هذا الرهان؟

نقل (داليف) نظره بين يد (خاشيد) الممتدة بالكريستالات وأرقام

النرد على الأرض التي كانت تعدّه بمكسب قريب، وليد (خاشيد)
الأخرى التي يعبث بها في ملابسه الداخلية وقال بانهمزام:
- لا.. ذلك موعد راحتي على أي حال.

لاركا الغرفة لها.

هر (خاشيد) كتفيه قائلاً:

- يا خسارة! أرجوك لا تنس أن تحضر لي الدخن الذي وعدتني إياه.

هر (داليف) رأسه متجهًا نحو الخارج.

بنفل (خاشيد) انتباهه لـ (ميرا) التي عقدت ذراعيها ويقول:

- منقذتي، أدين لك بالكثير.

نقول (ميرا) في سرعة:

- جيد، واستر داذًا لذلك الدين أريد أن تجيب عن أسئلتي بصراحة،
ودون أي ألعيب.

يرفع (خاشيد) يديه مستسلمًا، راکلاً النرد الذي على الأرض:

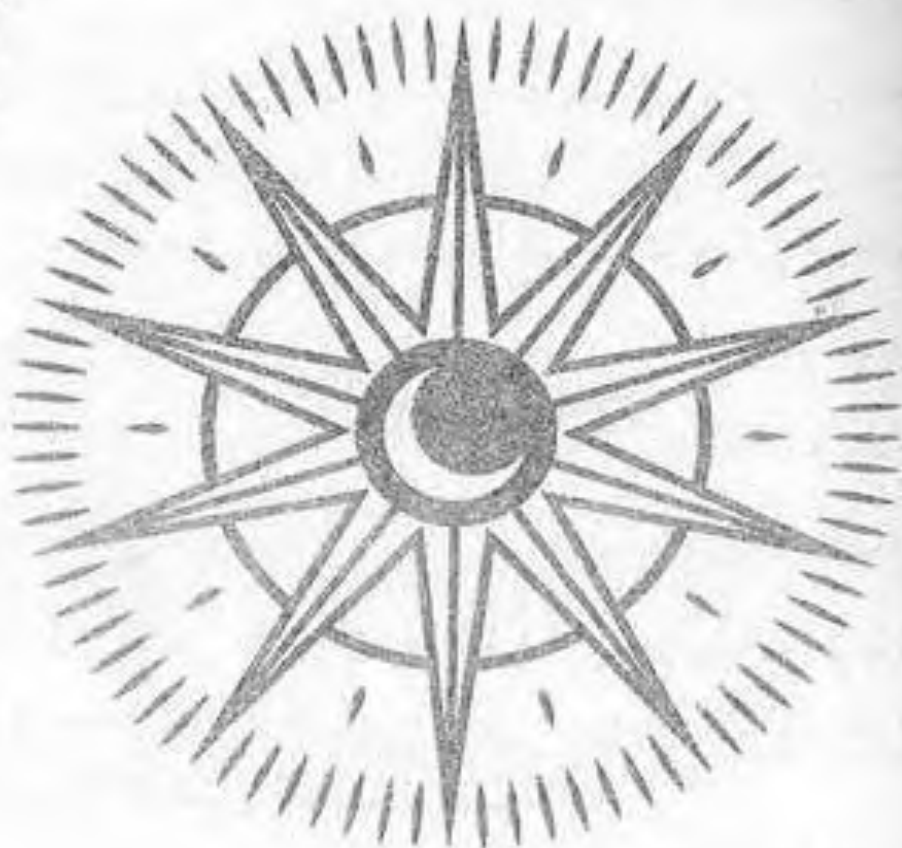
- لا ألعيب.. أترين؟

- ماذا يكون ذلك الشيء الذي يصاحب الغيلان؟ ولماذا اقتربت
الغيلان من أسوار (زراد) بذلك الشكل؟

- أنا لا أعرف إجابة صادقة عما تسألينه، أنا أعرف أن الغيلان
امتلكت تلك الجرأة لأنها تتبع الـ (أغوش)، فهي من فصيلة
مخلوقات يُطلق عليها «أم الغيلان»، وواحدة من أسوأ أنواع تلك
الفصيلة، فلديها غدة سامة تنتج أكثر أنواع السموم فتكًا، وغذاؤها

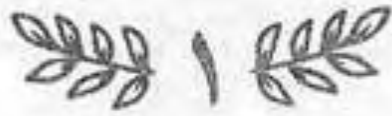
عادة يكون على صغار الحيوانات وصغار البشر، لكن ما الذي
اجتذبتهم لتحضر غيلا لها لتأتي بالقرب من أسوارنا؟ فذلك كما قال
أنفأ ما لا أعرفه.

- دعنا نتحدث إذن عما تعرفه.. من طلب منك أن تلاحقها وكيف
تمكنت من الوصول إليها؟



الفصل الخامس





دامت التحولات التي طرأت بـ(عاند) ليوم وليلة، لم يفارقه الطبيب طوالها. ولم يسمح له بالخروج من قمرتهما المشتركة لثلاثة أيام بعدها ليتأكد ألا تتكرر تلك التحولات.

أعجب ما في الأمر كان حين استعاد (عاند) وعيه، وبدأ الطبيب في توجيه أسئلته حول ما حدث، لم يكن الفتى يملك أي فكرة عما يقوله الطبيب. هو يتذكر (الحبارم)، ويتذكر الهول الذي ألقى بظله فوق سفينته، ولكنه لا يتذكر أي شيء غريب حدث في جسده.

- يوم التقينا قلت لي أنك هربت من كاتدرائية القمر، لكنك لم تخبرني كيف انتهى بك الحال بين رهبان القمر؟

بمجرد ذكر الكاتدرائية والرهبان بدا وكأن الدم قد هرب من وجه (عاند)، وجاءت كلماته متلعثمة غير واضحة، وإن استجمع منها الطبيب أنه لا يتذكر ما قبل الكاتدرائية.

- هل كان لديك إخوة أو.. أو أي..؟ لا، دعك من ذلك. كنت
تحدث بلسان (الداز) أم بلسان آخر؟
«أنت تسأل الأسئلة الخاطئة».

انتفض جسد الطبيب فقد جاءت تلك الكلمات تحملها الريح
بذات الصوت الذي تلبس الحبارية قبل أن يصرعها الفتى. ظهر
الخوف في عيني (عاند) مع انتفاضة (سيفاد).
التفت الطبيب له ليسأله:

- هل سمعت هذا الهمس الملعون؟
هز الفتى رأسه وقد ازداد خوفه.
- أي همس؟

«لا تسأل الفتى عني بل اسأله عن المذبح...».
يلتفت الطبيب حول نفسه صارخًا:
- أي مذبح؟

لتحول نظرات الخوف في عيني (عاند) إلى هلع، وجسده المرتجف
يحاول النزول من على الفراش.
يسارع الطبيب لتهديته ممسكًا بكتفيه ليظل مكانه في الفراش.
يأتي الهمس قائلاً:

«طرفُ خيط.. بداية جيدة».

يصارع (سيفاد) رغبته في الصراخ مرة أخرى ورغبته في معرفة
مصدر تلك الهمسات صابًا اهتمامه على ردة فعل الفتى من ذكر

محاولات الطبيب لتهدئة الفتى لم تنجح في شيء سوى إثارة المزيد من الخوف في قلبه؛ حيث أن (عاند) لم يعتد أن يهتم الطبيب لأمره كثيرًا ذلك الاهتمام المفاجئ، وذكر المذبح أصاب الفتى بالخوف أكثر من ليلة لقاء الهول.

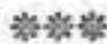
تستمر الهمسات الملحونة في رأس (سيفاد) وهو غير عالم، وتحملها الريح وهو وحده من يسمعها، أم أنها هلاوس عقل أصابه ركوب البحر بالخبل.

«لا تفقد الأمل الآن.. الفتى لديه الكثير ليخبرك إياه، وأنت لا تهلوس يا (سيفاد)، لا تشك بعقلك أبدًا؛ فأنت حامل المجد». تستمر الهمسات حتى يأتي صوت (عاند) المرتعش مقاطعًا إياها:

- الرهبان أكدوا... أنها مجرد أحلام.. كاذبون.. كلهم كاذبون.. مقيدًا على المذبح كان هناك كل يوم...

يحاول (سيفاد) أن يتحكم في نبرة صوته وهو يستوضح من الفتى:

- أيها الفتى أنا أحاول أن أساعدك الآن، ما تقوله لي.. مهم جدًا كي أستطيع مساعدتك. بحق إله القمر أو النار أو أيًا كان ما تؤمن به.. رتب كلماتك وقُل لي ما الذي كان يحدث في الكاتدرائية بالضبط.



منذ وعى (عاند) وهو لا يعرف بيتاً سوى ملحق الكاتدرائية الذي يعيش به مع عدة أيتام آخرين مقاربين له أو يماثلونه في السن. لا يعرف عائلة سوى رهبان القمر، وكبير تلك العائلة كان الراهب الأعمى.

لا تُعرض عاداته من طلوع الشمس إلى غروبها عن دائرة إطعام الدجاجات، وتنظيف وإعداد الطعام، والتعبّد ونسخ نصوص القمر.

حياة بسيطة تنتهي بأن يصبحوا هم ذاتهم رهباناً للقمر في يوم ما. ربما كان الرهبان يعيهم الشدة الزائدة في التعامل خصوصاً مع الأطفال الجدد الذين لم يعتادوا بعد على قوانين الكاتدرائية، وأهم تلك القوانين هو ألا نتواجد في الليل عند المذبح الأعظم؛ فقط في الصباح الباكر بعد أن ينتهي الرهبان بأنفسهم من تنظيف المذبح مشرفاً عليهم الكاهن الأعمى بنفسه بعد ذلك يدخل عليهم (عاند) وآخرون ليساعدوا ويخدموا الحجيج القادمين من كل الممالك.

لم يخرج (عاند) أبداً من (زراد)، ونادراً ما خرج في صحبة الكاهن الأعمى للميناء أو للسوق المجاورة، ولكنه وبرغم انعدام خبرته عما يوجد في العالم وفي الممالك من حوله فهو متأكد أن لا يوجد مكان بفخامة ولا بجمال المذبح الأعظم الذي يأخذ أنفاسه كل مرة يخطو بداخله.

المشكلة بدأت حينما راوده كابوس مزعج. كان في الكابوس يرى نفسه في المذبح بعد منتصف الليل وحيداً محاطاً بالأعمدة الرخامية العظيمة ولكن كان حرم المذبح من دون سقف، يغمره ضوء

القمرين المكتملين، محوّلًا جنباته إلى مرآيا تعكس هذا الضوء
والجمال في جميع الأنحاء.

فقط شيء واحد رهيب كان يعكر هذا المنظر.. ذلك الذئب الضخم
ذو الأنياب البيضاء الطويلة الملطخة بالدماء.

ثابتٌ أمامه، وأطرافه الأربعة مسلسلة، ولكن لا يبدو عليه
الانزعاج؛ فقط ينظر إليه ولا شيء آخر.

تكرر الحلم بكل تفاصيله لعشر ليالٍ، وبعدها تغيرت تفاصيله
مهمة؛ قطرات الدماء صارت بركة من الدماء وكل يوم تتسع
البركة أكثر فأكثر، بعد مرور شهر من ذلك الكابوس المتكرر قرر
(عاند) أن يخبر أحد الرهبان لعله داء قد أصابه يحتاج لعلاج، وقتها
لم ينطق الراهب بكلمة فقط أخذه من يده للراهب الأعمى كي
يكرره حلمه.

ابتسم الراهب الأعمى كعهده وقال له أنه سيقضي الليالي القادمة
معه في غرفته في أعلى أبراج الكاتدرائية حيث لا تستطيع شياطين
الأحلام الوصول إليه.

ثمانٍ وعشرون ليلة مرت دون كابوس، قضائها (عاند) على أرضية
غرفة الراهب الأعمى.

في الليلة التاسعة والعشرون؛ أتاه الكابوس مرة أخرى؛ تلك المرة
الدماء غطت كل شيء، وكان هناك ضيوف في الحلم.. اثنين من
إخوته رأهما في الحلم.

عاربيّ الجذع، وذراع كل منهما تسيل منها الدماء.

صحا يومها متأخرا وأول ما قرره كان أن يحكي للراهب عن عودة

الكوايبس مرة أخرى. غير ثيابه سريعًا متجهًا لحرم المذبح الأعظم
وحين وصل اكتشف أنه كان مخطئًا، هو لم يستيقظ متأخرًا؛ لقد
استيقظ أبكر من عادته ورأى الرهبان في حرم المذبح، ورأى الرهبان
ينظفون الدماء من حوله.

لم ينتظر ليرى أكثر خوفًا من أن يلحقه أحدهم. عاد لعنبر نومه
القديم باحثًا عن إخوته اللذين رأهما في الحلم. لم ينجح في العثور
عليهما، وقد جاء وقت بدء القداس، لكنه قرر التعلل بالمرض
وعاد لغرفة الراهب متأكدًا أنه لن يأتي للغرفة حتى موعد النوم؛
خاصة وأن ليلتها كانت ليلة اكتمال القمرين.

تظاهر (عاند) بالنوم برغم استحالة ذلك مع كل أصوات أجراس
الكاتدرائية التي تصدح احتفالًا باكتمال القمرين.

دس رأسه تحت الخيشة التي يستخدمها كغطاء حين لمح اثنين من
الرهبان قادمين نحو غرفة الراهب الأعمى. كان صوتهما عاليًا؛ كي
يستطيعا التواصل وسط أصوات الأجراس.

- ألم تقل لي أنه لم يحضر العشاء؟ كيف له أن يغط في النوم هكذا
وسط كل تلك الأجراس إذن؟

يأتي الصوت الثاني مجيبًا: ربما لم أنتبه إليه؛ لقد كان يومًا فوضويًا
بكل أولئك الأغراب في الكاتدرائية.

- أنت محق بالتأكيد كان هنا، فهو نائم كالجثة الهامدة.

لا يبد (عاند) أي ردة فعل حين شعر بواحد منهما يرفع جسده
حاملًا إياه على كتفه وعائدين به إلى الأسفل.

- لقد بدلنا الخلطة بشيء أقوى اليوم بالذات؛ خصيصًا من أجل

تلك الأجراس.

يقولها الراهب الذي يحمله، ولكن يبدو أن الثاني قد سبقه كثيراً فلا يستطيع (عاند) تمييز رده.

يأمل (عاند) ألا تفضحه ضربات قلبه العالية، وصدره ملاصق لجسد الراهب.

صار (عاند) يعرف جيداً إلى أين يتجهون.. لم تكن تلك أحلام، كان كل ما يراه في كوايسه حقيقي، يبدو أنه سيقدم أضحية لذلك الحيوان الذي يبقونه في الأسفل، ولا يوجد شيء يستطيع فعله.

يميز (عاند) صوت أبواب حرم المذبح الضخمة وهي تُفتح، ولكن لا يجرؤ على فتح عينيه حتى لا يعرف أحدهم أنه مستيقظ.

كان تصميم الحرم يجعله المكان الوحيد في الكاتدرائية وربما في (زراد) كلها الذي لا تصل إليه بشكل كبير أصوات الأجراس.

استطاع أن يسمع صوت الراهب الأعمى بوضوح وهو يقول:

- فلتحضروه.. اليوم هو اليوم الموعود. آخر ما أريده هو حدوث خطأ، وتأكدوا أن...

طرقات على البوابة الخارجية تقاطع الراهب، يزفر الراهب متضايقاً وهو يقول:

- ضعه جانباً الآن.. تعال معي، فالطبيب قد أحضر آخر متطلبات الطقس.

يشعر (عاند) بالراهب يسجيه أرضاً على الأرضية الرخامية الباردة، وخطواته تبتعد. في ببطء شديد يفتح عينيه محافظاً على انتظام نفسه

في حالة كان هناك أحد الرهبان قريباً منه.

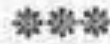
بأخذ المشهد بسرعة محافظاً على ثباته وثبات أنفاسه.. كان الاثنان الآخران اللذان حلم بهما أو بالأصح رأهما ليلة أمس مربوطان بسلاسل حديدية، أحدهما فوق المذبح والآخر بجواره على الأرض. أربعة رهبان آخرين كانوا على الجانب الآخر من الحرم؛ والراهب الذي كان يحمله كان يتقدم الراهب الأعمى في اتجاه الباب الخارجي. بحرص شديد يلتفت برأسه ليرى أن الباب الذي أتيا منه لم يكن مغلقاً بالكامل، بأبطأ قدرة بشرية ممكنة يجلس على أربعة زاحفاً حتى فرجة الباب راجياً أن يستطيع المرور عبرها. متلفتاً مع كل بضعة خطوات ليتأكد أن أحدهم لا ينظر في اتجاهه. بالفعل يستطيع أن ينساب من الفرجة الصغيرة، ويفكر للحظة إن كان عليه إغلاق تلك الفرجة خلفه، ولكن يقرر أن المخاطرة أن تصدر صوتاً أكبر من أن يفعل ذلك.

يقوم واقفاً على قدميه، ويتحرك بسرعة شاكراً الظروف أنه حافي القدمين ليجد النافذة المطلّة على الجانب الغربي من الكاتدرائية وتحتها بالضبط مائدة تبرعات الطعام الذي أتى به مئات الحجاج اليوم. برغم ما كان أمامه مما لذ وطاب من الطعام وهو لم يذق شيئاً منذ ليلة أمس؛ إلا أنه يستخدم أكوام الطعام كسلم يطأ عليه بقدميه ليصل للنافذة.

يتأوه من الألم مع ارتطامه بأرض الباحة الخارجية الغربية مع نزوله من النافذة، يبدأ في الركض غير عالم في أي اتجاه يجب عليه الذهاب. كل ما عليه فعله هو أن يخرج خارج أسوار الكاتدرائية.

يقوم بذلك بالفعل، ويقف مستنداً بجوار السور، ملتقطاً أنفاسه

وفجأة يمر بجانبه ظلًا يمشي في سرعة، مع رؤيته يكاد قلبه أن يتوقف؛ فقد كان ظلًا لرجل له رأس طائر ذو منقار طويل. لا يولي له الرجل اهتمامًا متابعًا طريقه، وخلفه طفلين يهاثلانه في العمر. دون تفكير يلحق بهم غير عالم إلى أين ستأخذه الأقدار.



انتهى (عاند) من قصته وقاوم (سيفاد) شعورًا كاد يملكه بتأنيب الضمير. أولئك الطفلين لم يتبناهما الرهبان كخدم، بل يريدون أن يحولوهما إلى مستذئبين.

كان (سيفاد) يعرف جيدًا هوس رهبان القمر بالمستذئبين، وكيف أنهم يلفنون العالم كله شرقه وغربه بحثًا عن الكريستالات التي تحوي دماء الذئب الأول - نبي القمر في أساطيرهم.

يمد (سيفاد) يده مشمرًا كم رداء الفتى حتى يظهر أول ذراعه ويرى هناك أثر الحقن.

«لا بد وأن راهبهم الأكبر يرتدي جلود الذئب ويحقن هذا الفتى والأيتام المساكين الآخرين بتلك الدماء الفاسدة».

لقد رأى كريستالة أو كريستالين يقال أن بهما دماء الذئب الأول، ولكنه يشك أن يمكنهم خلق مذئوب بتلك الطريقة.

كل ما يستطيعون فعله هو الوصول إلى حالة مثل حالة هذا الفتى.. تحول لا يكتمل أبدًا بسبب عبثهم في جسده لسنوات. فقط المذؤوبين

الملعونين هم الذين يجوبون الخلاء، ولكن مستدثب القمر حامي
الكاتدرائية وأتباعها لا يوجد إلا في أساطيرهم، وأغلب الظن أن
الدماء التي حقن بها الفتى وإخوته جاءت من أحد أولئك
الملعونين.

بأن الهمس مرة أخرى:

«اقتربت كثيرًا.. ولكن ليس بعد».

بتجاهل الطبيب الصوت أو الهلوسة. هو حقًا لا يعرف.

يربت على يد الفتى، قائلاً له:

- أعدك أني سأخلصك من تلك اللعنة.



تأملت (هينادا) الخرائط المفرودة أمامها على المائدة التي تتوسط خيمة الحرب في تركيز شديد، ومن خلفها ثابتاً كتمثال وقف النيبيل الحديدي، وقد صار درعه أكثر بريقاً وإن لم يكن بالضبط في كامل زهوه الذي تتذكره (هينادا) منذ طفولتها في (زراد) وبجانبها يقف (أروين) متفحصاً النيبيل الحديدي بعينه كل ثانيتين.

- وماذا لو احضرناها مع الإمدادات القادمة الخاصة بالأسبوع القادم؟

حين لم يرد (أروين) رفعت (هينادا) عينها لتجد أن (أروين) شاردٌ تماماً في تفاصيل النيبيل الحديدي.
بعصبية تقول:

- (أروين) بحق الخسوف.. هلاً أعطيتني انتباهك للحظات؟!

انتفض (أروين) شاعراً بالخرج أن ذات العينين المدهامتين توبخه كما لو كانت أمه.

- عذراً يا (هينادا).. آآآ.. ماذا كنا نقول؟

سأل وهو يميل بجسده متخذًا موقعًا بجانب الفيدا حتى لا يشغله وجود النبيل الحديدي.

أطلق (هينادا) زفيرًا وهي تكرر مُشيرة بإصبعها لأحد طرق الإمدادات القادمة للجيش: كنت أقول أننا يمكننا إخفاء الشحنة في إمدادات الغذاء القادمة الأسبوع بعد القادم.

ل استغراب سأل (آروين):

اعذريني يبدو أنني سهوت أكثر من اللازم، ولكن تلك الإمدادات ستأتي من خارج (ثيام)، كيف سنأتي بالذهب من هناك؟

لوهلة شعر (آروين) مع ذكر الذهب أن النبيل الحديدي قد تحرك من ورائه؛ فالتفت بسرعة ليجده ثابتًا كما كان.

يعود بنظره لتلقي عيناه بعيني (هينادا) التي تتجاهل توتره الواضح من النبيل الحديدي وتقول:

- ذلك هو الأمر، يمكنني أن أرسل طيرًا لـ (ثيام) لتحريك الشحنة لتلك المدينة، ولكن ستصل في غضون عشرة ليالٍ، وإذا تحركت أنت الآن ستكون في المدينة لاستقبالها في الوقت نفسه.

يهز رأسه في عدم اقتناع:

- مشكلتين فيما تقولين؛ أولاً حين تصل الإمدادات للمعسكر كيف سيمكنك أخذ الذهب دون أن يكتشفه (غتاقي) أثناء الجرد والتوزيع. هناك العديد من المآخذ على ذلك الرجل، ولكن إدارته لتلك الحرب ليست منها؛ فهو يدقق في كل شيء بنفسه.

رفعت (هينادا) إصبعها مقاطعة إياه وقالت:

- ذلك أمر سهل؛ فتلک الإمدادات ستمر بالمعسكر فقط؛ ولكنها موجهة في الأساس إلى مخيمات الاستطلاع التي تسبقنا، لذا نستطيع الحصول على الشحنة أثناء استراحة الجنود.

لا يعترض (أروين) ولكنه ينتقل إلى نقطته الثانية:

- حسنًا، وماذا عن انتقال شحنة ذهب خالص بهذا الحجم من (ثيام) إلى المدينة. شحنة مثل تلك في العادة نطلب من رجال (غتاق) تأمينها؛ فإذا خرجت من دون تأمين فهي إعلان لكل من تبقى من قطاع الطرق أنها متاحة للأخذ دون عواقب.

تصمت (هينادا) للحظات، ولا يقطع (أروين) الصمت حيث أنه لم يتوقعه؛ فحتى الآن (هينادا) دائمًا لديها الرد والخطوة والخطوة البديلة؛ فلم يبشر صمتها هذا بالخير أبدًا.

تنطق (هينادا) أخيرًا بإجهااد:

- لم أكن أتوقع أن نجد، لم أكن أتوقع أن نقابل نبيلاً حديدياً قبل أن ندخل (زراد) ونتحصل على صندوق عهد الملك (فارين).

لا يتمالك (أروين) نفسه وينظر للنبييل الحديدي مرة أخرى وهو يسأل:

- ألا يمكننا أن نخبر (غتاق) باحتياج النبييل الحديدي إلى الذهب كغذاء؟ هو لا يزال يصدق قصة الخاتم التي أخبرته إياها، ولا يعرف شيئاً عن صندوق العهد، وبالتأكيد رجل مثله لديه الكثير من الذهب.

تهز رأسها في قوة:

- لا.. قد أخبرته بالفعل أن غذاء النبلاء الحديديين موجود في (زراد)

فقط، لا يمكنني المخاطرة بإخباره غير ذلك الآن.

بأى صوت اقتراب رجال خارج الخيمة فينظر كلاهما تجاه مدخل الخيمة ليريا (غنتاق) يدخل متقدماً ومعه اثنان من حراسه.

كانت (الفيدا) متأكدة تماماً أن (غنتاق) يخشى النبيل الحديدي كثيراً، ولكن حين دخل (غنتاق) لم تش نظراته للنبيل سوى بعدم الاهتمام. فقط نظرة عابرة يلقيها كأنه يلقي نظرة على قطعة من الأثاث الموضوع في الخيمة، وليس أكثر أدوات الحرب فتكاً.

يكاد (أروين) أن يمد يده في سرعة ليخفي خرائط الإمداد، ولكن (هينادا) تتحرك أمامه وكأنها تتقدم لتحية (غنتاق) لتمنعه من ذلك أمله ألا يحاول سحب الخرائط من فوق المائدة قبل أن تتحرك من أمامه.

ما أن تحركت من أمامه حتى فهم (أروين) أن محاولة إخفاء الخرائط أمام (غنتاق) ستبدو مريبة أكثر من لو تركوها أمامه وأعطوه أي عذر وإياه لمراجعتهم الخرائط الإمداد.

- فيدا (هينادا) هل سيظل ذلك... الفارس أو النبيل الحديدي مرافقاً لك طوال الوقت؟

استوعبت عندها (هينادا) أن مع حركتها تجاه باب الخيمة أن النبيل الحديدي قد تحرك وراءها.

هزت رأسها مجيبة:

- نعم... سيتبعني في كل مكان كظلي.

واضحة ابتسامة مفتعلة على وجهها.

- يتبعك كظلك في كل مكان!.. ألا يتعدى بذلك على اختصاصات لورد (نيزاد)؟

قالها وبسمة ساخرة ترسم على وجهه.

لم تكن تلك المرة الأولى التي يوجه فيها مثل تلك التعليقات تجاه (آروين) ولكن (آروين) كان قد طلب منها أن تتجاهل تعليقاته فدفاعها عنه يزيد الأمر سوءاً.

كانت رأس (هينادا) مشغولة في أمر آخر؛ فقد كانت تتأمل الخواتم الذهبية في يد (غنتاق) شاعرة بتوتر لحظي غير متأكدة الآن إن كانت حركة النبيل الحديدي خلفها في وضعية حراسة من الثلاثة رجال المدججين بالسلاح الذين دخلوا الخيمة أم جوع لوجبة أخرى من الذهب بعد أن أطعمته كل مصوغاتها الذهبية. في كلتا الحالتين سيتوجب عليها أن تُنهي هذا الحديث سريعاً.

- ظننت أن مجلسنا سيكون بعد الغروب.

لم يُجب (غنتاق)، بل ألقى نظرة سريعة على النبيل الحديدي قبل أن يلتفت مشيراً لحارسه أن يترك الخيمة.

تلك النظرة السريعة على النبيل الحديدي أكدت لـ (هينادا) أنه بالفعل يخشاه. ومعه حق فوحده كم قتل من رجاله.

ما أن خرج الحارسان حتى سأل (غنتاق):

- أخبريني يا سمو الفيدا، لقد أخبرتني من قبل بشيء يحيرني لعدة أيام الآن، وبالتحديد منذ أن عُدت بحارسك الجديد...

أحست (هينادا) ببعض التوتر، ولكنها التزمت الصمت في انتظار ما سيأتي.

- أخبرتنى يوم التقينا في المكتبة أن النبلاء الحديديين لا يمكن التحكم بهم سوى بخاتم كان يملكه الملك (فارين).. أتذكر ذلك بشكل صحيح؟

- بالفعل هو كذلك.

- هل لك أن تفسري إذن...

أشاح بيده تجاه النبيل الحديدي.

مع إشاحته بيده كاد قلب الـ (هينادا) أن يتوقف فقد شعرت بحركة خفية من النبيل الحديدي خلفها... «تلك الخواتم اللعينة.. أيها الأحمق أنت تقف الآن كدجاجة عرجاء أمام سقري ضار».

- نعم.. أيا كانت أواخر أوامر الملك (فارين) للنبلاء الحديديين فهي لم تُغير من التزامهم تجاه أوامرهم القديمة بحماية أطفال النبلاء.

يرفع حاجبه متسائلاً:

- أي أطفال؟! أيعتبرك طفلة؟

- وقت خرجنا من (زراد) نعم.. كنت طفلة، وسيظل يراني على هذا الأمر حتى نأتي بالخاتم، وننقل للنبلاء الحديديين أوامر الحماية للجيل القادم من أبنائنا.

يحك (غتناق) ذقنه متأملاً النبيل الحديدي:

- همم.. ذلك حقاً مثيرٌ للاهتمام.. إذن حتى لو لم يلتق ذلك النبيل في حياته بك لا يزال يتعرف عليك وتصله الأوامر التي أصدرت لسواه؟

كانت (هينادا) قد وصلت لأقصى درجات التوتر، والشمس القادمة من خارج الخيمة تعكس بريق الخواتم التي يرتديها (غنتاق).
فأجابته في سرعة:

- هناك الكثير الذي يمكنني إخبارك به عن النبلاء الحديديين، الحقيقة أعتقد أن هناك كتاب احتفظت به من مكتبة (ثيام) في خيمتي. دعني أحضره لك، عند لقائنا في مجلس الليلة.

قالتها وتحركت لتخرج من الخيمة، ودعواتها منصبة في أن النبيل الحديدي سيتبعها ولن ينقض على (غنتاق).

من خلفها أتى صوت (غنتاق) الذي تجاوزه النبيل الحديدي خارجاً تابعاً إياها:

- لست من هواة القراءة حقاً...

لكنها لم تنتظر لتسمع باقي الجملة، وإن سمعت صوت (أروين) من الداخل يقول بصوت عالٍ:

- أترى؟.. أنا لا أتبعها في كل مكان.



وطلق الطيب وتابعه فور أن رسوا في ميناء (ثول) إلى خارج الميناء،
ورغم الحانات المتناثرة في الميناء إلا أن الكلمات التي تبادلها هيشا مع
الطيب وإن كانت مغلفة بالاحترام الزائد أوضحت موقف البحارة
من الطيب وتابعه بعد كل ما مر بهم في رحلتهم من (زراد).
ومر عان ما سيتناثر هذا الحديث بين البحارة الآخرين المتسكعين في
هالقات الميناء. لن يكون أحدهم سعيداً بسماع أن متذاك ما حاول
مهرب كريستالات الذهب لشواطئ الممالك القديمة؛ لذا فقد انطلقوا
من فورهم ناحية نُزل في آخر المدينة يطل على سلاسل الجبال التي
سيحتاجون أن يعبروها ليصلوا لبلاد ما خلف الوادي.

إن (عاندا) قد استعاد عافيته بشكل كبير، واختفت كل آثار تحولاته
في يده وهو يجلس أمام الطيب الآن يلتهم أول حساء ساخن يحصل
عليه منذ أكثر من شهر؛ حين بدأت رحلتها على متن الغليون. لم
يكن (سيفاد) صاحب شهية كبيرة كالعادة ولكن لا بد وأنه أنهى
على الأقل وعاءين من الحساء قبل أن يتجه متخفياً لينعم بحمام
والذي في حمامات النزل.

هل أن يأخذ حمامه لم ينس أن يطلب من الفتى أن يذهب لي جلب له
دليلاً ليتفق معه على رحلتها لخلف الوادي.

الماء الدافئ المخلوط بالزيوت العطرية يتحدى (سيفاد) أن تهدئ بجسده ذرة من التوتر، تتباطأ أنفاسه وهو يتأمل الموجات الصغرى التي يصنعها بكل زفير يخرج، ويعود إليه الهواء محملاً برائحة الزهور.

لا بد وأنه قد غط في النوم جالساً في حوض الاستحمام حين جاء الطرقات على الباب الخشبي تبعها صوت أنثوي: عشرة شلينات لمساعدتك في الاغتسال.

ساد الصمت للحظات يستفيق فيها الطيب محاولاً استيعاب ما قيل ليأتي الصوت مرة أخرى:

- تقبل كل العملات الأجنبية إن لم تملك الشلينات.

سعل مرتين محاولاً أن يمحوا آثار النوم من صوته وقال:

- لا حاجة لي بمساعدتك.. ارحلي.

لحظات أخرى من الصمت قبل أن يسمع خطوات تبتعد عن الباب.

يتكئ على جانب الحوض شاعراً الخدر يسري في قدميه، بحرص يخرج من الحوض متناولاً المنشفة المهرثة الموضوعة بجانب ملابسه، وما أن يبدأ في تجفيف جسده حتى يأتي الصوت مرة أخرى مغمماً بكلمات غير مفهومة.

يلف المنشفة سريعاً ويتجه ناحية الباب في عصبية لينهر الخادماً المزعجة فيمسك بالمقبض دافعاً للباب ولكن لا بتلال الأرضية ولأن قدميه ما تزالا خدرتين ينزلق مع انفتاح الباب عن آخره ساحباً إياه منزلقاً على ركبتيه ولا ينقذه من لقاء وجهه بالأرضية سوى

مقبض الباب الذي تشبث به بكلتا يديه.

فأهبطاً متألماً يرفع عينيه لتختلط صرخة الغضب بشهقة هلع حين التقى عيناه بوجه (جبارية) تقف أمامه على وجهها آيات السكينة، والقول:

- لم يحن أوان الرحيل؛ فالمجد هنا ينتظر.

يراجع (سيفاد) في سرعة ساحباً مقبض الباب ليغلقه، وهو يسمع صوت دقات كدقات عصاه حين التقى بالهول تعلو وتعلو وتعلو. سيدي الطيب...

يفتح (سيفاد) عينيه فيجد أنه ما يزال في حوض الاستحمام، وصوت (عاند) يأتي مرة أخرى من الخارج مصحوباً بطرقات: سيدي الطيب.

يطلق الطيب زفيراً عالياً لا عناً ذلك الكابوس، ثم ينادي الفتى قائلاً:

- ادخل يا فتى... لقد خدرت قدمي وأحتاج إلى مساعدتك.

يدخل الفتى في سرعة، ويبدأ في مساعدة الطيب للخروج من الحوض وهو يقول:

- لقد وجدت الدليل، وقال لي أنه سيقبل بالكريستالات الفارغة كأجر.. ينتظرنا في الخارج، ولكنه يقول أن أجره سيكون مضاعفاً لأننا على عجلة من أمرنا.. إذا انتظرنا أسبوعاً فإن هناك قافلة تجارية من الممكن أن ننضم إليها وسيقلل ذلك من أجره، وسيقلل من...

أشاح الطيب بيده مقاطعاً الفتى:

- لا.. أحتاج إلى أن أنهي ذلك الأمر سريعاً.

لم يكن (سيفاد) يعلم هل كان يحتاج إلى إنهاء الأمر ليجد علامة
للوباء؛ أم أنه اشتاق لخدمه وقصره في (زراد) حيث لا تجرؤ مثل
تلك الكوايبس أن تقلق منامه.

- سيدي الطيب معذرة، ولكنني أشعر أن جسدي يشتعل ناراً.

يتوقف الطيب عن ارتداد ملابسه للحظة، ليلاحظ أن جسده قد
بدأ في التعرق بالفعل وهو بالكاد قد أنهى استحمامه.

يجلس على المقعد الخشبي في ركن الحمام، ليأتي (عاند) ويضع كفه
على رأس الطيب ليشعر بها الطيب وكأنها قطعة ثلج.

يراجع في ذهنه ما الذي يمكن أن يكون قد أصابه، أي مرض يمكن
أن يبدأ بتلك السرعة ويصل به إلى الحمى قبل أي أعراض أخرى
أو ربما كان هناك عارض آخر بدأ منذ أيام،

تلك الأصوات والأحلام هلوسات؟

- يا فتى.. فلتقم بصرف ذلك الدليل وأخبره أنني اقتنعت برأيه وأنا
سوف نرحل مع القافلة التجارية، وابحث لي عن طبيب قريب.
أحضر بعض أعشاب (السقرات الزرقاء)، سأصعد للغرفة، وافني
هناك.

وقت طويل قد مر على الطيب في انتظار (عاند) حتى أنه غفل
واستيقظ ليجد رجلاً عجوزاً يساعده على تناول سائل ما.

لا إرادياً يصبق الطيب السائل ليجد (عاند) واقفاً في ركن الغرفة

يقول:

- ذلك السائل كي تستعيد صحتك يا سيدي.

يلهم الطيب بالعرق يغمر جسده بأكمله، فيسأل بصوت فوجئ
بندر الوهن فيه:

- ما الذي تسقني إياه؟.. من أنت؟

يب العجوز:

- ذلك مغلي (السقرات)، جاءني الفتى يطلب بعض مسحوق
(السقرات)، ثم عاد إلي بعدها يطلب مني أن آتي إليك
بمادته (عاند) قائلاً:

- حاولت إيقاظك يا سيدي لوقت طويل، وحين فشلت وشعرت
بالحمى تزداد هرعت لأحضر الطيب.

- لاحظ حينها (سيفاد) أن أضواء الفجر قد بدأت تتسلل من
النافذة، يبدو أن المرض قد تملك منه حقاً.
- لا تقلق.

يشولها العجوز متابعاً:

- كما استتجت أنت هي مجرد حمى، ينتشر ذلك النوع بعد رحلات
البحر الطويلة.. يومين على الأكثر وسوف تعود لكامل صحتك.

يقول (سيفاد)، وقد أراح رأسه على الوسادة بكلمات ثقيلة على
لسانه:

- هل تلك الحمى المنتشرة تصاحبها هلاوس؟

يكاد أن يجز على أسنانه وهو يسأله، فياله من يوم حين يستطير
طبيب وباء (زراد) ذلك الكهل العجوز.

يتأمل العجوز للحظات ويقول:

- هلاوس مثل ماذا؟

مرة. أخرى وبكلمات ثقيلة يرد (سيفاد):

- هلاوس سمعية أكثر من أي شيء، وربما بعض الكوايس.

- لا.. إن تلك الأصوات تأتي في حالات متقدمة.. ملائكة الصمت
ربما تشتاق للقاءك.

يتساءل (عاند):

- ما ملائكة الصمت؟

يلتفت له العجوز ويبسمة بشوشة يقول:

- إنهم ملائكة الخلاص، يأخذوننا حيث المكافأة عن حياة جيدة
يأخذوننا حيث الصمت الأبدي.

حينها ازداد حنق الطبيب من نفسه لأنه سأل ذلك الأحمق عن أي
شيء..

أولئك الحمقى يطلقون على شياطين الصمت ملائكة! ويعبدون
ويقدمون القرابين للآل؛ ظانين أنه بما أن الألم حتمي فعبادته
ستجلب لهم نعيمًا في رحلة الصمت.

يأتي صوت العجوز:

- يبدو أنك لا ترتاح لسماع تلك الكلمات أيها الغريب.. أتيت من

(إراد) أليس كذلك؟

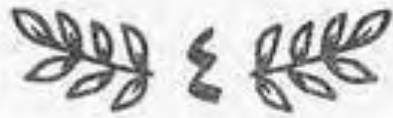
لا ينظر الإجابة ليكمل:

ذهب أن تعلم أننا نسكن تلك الأرض قبل أن تخطو روح واحدة
لها تطلقون عليه الآن «أرض الممالك العظمى».. في «أرض ما خلف
الوادي».. «الممالك القديمة» بدأت الحياة، ومشت الآلهة بيننا، ولم
يذهب الآلهة لأرض الممالك العظمى إلا لتحرق.. لذا حين اخترنا
أن نهدس الصمت فنحن نعرف جيدًا أن في النهاية، فقط الصمت
يسود.

بقي العجوز معطيًا الكوب الفارغ لـ (عاند) ويربت على كتفه قائلاً:

الحل له كوبين آخرين مع غروب الشمس، واسقهما إياه حتى لو
كان نائمًا.

ويخرج من الغرفة تاركًا إياهما والصمت.



تظهر عدم نظامية جيش (غتاق) بشدة في كل مرة تلحق بهم الإمدادات من غذاء ورسائل؛ فالكمل يتكتل على الرسل، منهم الباحث عن أجره من ليرات، والذي يستخدمونه في المقامرة ليالي الزحف الطويلة، ومنهم من يبحث عن رسالة أتته تطمئنه عمن تركهم خلفه.

يحشر (أروين) نفسه وسط المتكتلين محاولاً الوصول للمسؤول عن توزيع الإمدادات مخترقاً ذلك الجنون من الصيحات والآباط المتعركة.

وما أن يصل إلى المقدمة ويتعرف عليه مسؤول الإمدادات حتى يخبره أن الإمدادات الخاصة بالفيدا في طريقها لخيمتها بالفعل، يسقط قلب (أروين) في أقدامه؛ فذلك بالضبط ما كان يتسابق مع تلك التكتلات البشرية ليمنعه؛ فأحدهم بالتأكيد سيراجع الطرق قبل إدخاله للخيمة التابعة للفيدا.

يعود (آروين) محاولاً الخروج من الزحام ليلحق بحاملي الطرود.

مأخراً كما يبدو يصل أمام خيمة الفيدا التي تُرسل نظرة نارية لهاهه بينما هي واقفة تتحدث مع (غنتاق)، وحين يقترب يسمع حديثهما:

- ما حاجتنا لوجود ذلك الذهب كحمل ثقيل؟ يثقل حركة الجيش؟

نرد الفيدا في سخرية تحاول بها إخفاء قوتها:

- بضعة كيلو جرامات من الذهب ستعطل الجيش أيها القائد؟

- نعم بضعة كيلو جرامات من الذهب ستعطل الجيش، أنا لا أتحدث عن وزنها هنا بل أتحدث عن محاولة بضعة من أفراد الجيش - حين يعرفون بوجود كنز مثل هذا - الاستيلاء عليه، لتدركين أن قوام جيشنا من المجرمين.

- وكيف لهم أن يعرفوا ذلك؟ بغير ما تصنعه أنت الآن من هُؤلاء.

- ذلك مخيم حرب، وليس قصراً ملكياً، ذلك جيش يزحف والكل يعرف كل الأسرار.

- لن يجرؤ أحد على الاقتراب من خيامي في وجود النبيل الحديدي.

بصمت (غنتاق) للحظة وهو ينظر من حوله:

- وأين هو نبيلك الحديدي؟ أنا لا أرى سوى نبيلك المتعرق.

بمسح (آروين) جبينه في آلية دون أن يُعلق.

- النبيل الحديدي في حاجة إلى غذائه، فجعلته في حالة ثبات كمثّل

التي وجدناه فيها من قبل حتى أستطيع أن أوفر له غذاءه.
يطلق (غنتاق) زفيرًا عاليًا:

- نعم الغذاء السري الذي لا تريدين أن تشاركيني سره، ربما أملاكه
مكوناته.

تنفجر فيه الفيدا قائلة:

- أثق بك في مكوناته وأنت تفصح الآن أن للنيل غذاء سري أمام
اثنين من حراسك؟!!

يسقط في يد (غنتاق) للحظة، ولكنه يرد في ارتباك:

- يمكنني التخلص من أولئك الاثنين على الفور.

ينظر الحارسان إلى بعضيهما البعض في عدم فهم قبل أن تقول الفيدا:

- لا حاجة لذلك، أنا متأكدة أنك كررت تلك المعلومة ألف مرة
حتى الآن، فقط ارحل أنت وحراسك، ودعني أنقل الطرد الذي
تقلق بشأنه داخل الخيمة.

دون كلمة أخرى تتركه وتتجه ناحية الخدم مشيرة لهم بإدخال
الصناديق لخيمتها.

يطلق (غنتاق) زفرة غضب شديد ثم يولي ظهره للفيدا وخدمها
عائدًا لخيمته.

وما أن يتعد حتى تعلو صيحاته صارخًا ببعض قواده أن ينظموا
طوابير الإمدادات الهمجية وإلا فسوف يقطع رؤوسهم.

تدخل الفيدا خيمتها يتبعها (أروين) ويستمر الصمت حتى يخرج
الخدم بعد إدخال كل الطرود.

هم (أروين) بالاعتذار مفسرا ما حدث ولكن الفيدا توقفه بإشارة
من يدها وهي تقول لدينا أمور أهم.

بالمت (أروين) للنيل الحديدي الذي يجلس القرفصاء في ركن من
أركان الخيمة.

- هل هو في حالة من الثبات حقًا؟

لومن الفيدا برأسها قائلة:

- نعم، لكن لا يمكنني التحكم فيها. لقد توقف عن اتباعي فجأة
والتخذ ذلك الوضع الساكن مدخرًا طاقته على ما أظن.

لمحت أقرب الطرود إليها وأخرجت سبيكة ذهبية محاولة أن تقربها
من النيل الحديدي، ولكنه لا يحرك ساكنًا.

يسأل (أروين):

- ما الذي يعنيه ذلك؟

تنهد الفيدا قائلة:

- لا يعني شيئًا يا (أروين)، فذلك السيد الحديدي لم يكن من
ضمن خطتي في الأساس، سوف أبقى الذهب بجانبه وربما سيجد
ما يكفي من الطاقة في يوم ما لالتهامه، ولكن على الأقل اتباعه لي
أكد أننا إذا وصلنا إلى صندوق العهد؛ فإنني سوف أستطيع التحكم
في جيش النبلاء الحديديين.



شعرت (ميرا) بأعصابها تحترق وهي تقف بجانب (داليف) في انتظار أن ينتهي لقاء الملك مع كتيبه، ما لديها كان بالغ الأهمية وأي وقت يمر دون فعل شيء قد يؤدي إلى كارثة.

كانت رافضة لتصديق نصف ما قاله (خاشيد) عن الـ (أغوش)، ولكن رحلة سريعة إلى مكتبة الكهنة وجدت الكثير من المخطوطات التي تتحدث عن أمهات الغيلان، والـ (أغوش) بالتحديد كواحدة من أبشع فصائلها، ولحسن الحظ أقلها انتشارًا.

ذلك الكائن البشع يتغذى على أطفال الحيوانات ولكنه يستمتع خاصة بأطفال البشر. والسموم التي تخزنها وتهاجم بها ضحاياها لا يوجد لها ترياق معروف.

هب عليهم أن يتحركوا لصيدها على الفور ولكن قبل ذلك يجب أن تحصل على موافقة الملك. فبالنسبة لها هو الوحيد الذي يحق له اتخاذ القرار في هذا الشأن.

ليس الكهنة الكبار ولا حتى (الأركون). فقط ملك (زراد) وإن كان سجينًا.

التفت نحو (داليف) سائلة بنفاد صبر:

- هل سيطول حديثهم؟

نظر (داليف) يمينًا ويسارًا قبل أن يجيبها بصوت خفيض:

- يحمل الكتبة أخبارًا مقلقة.

تعقد (ميرا) حاجبيها وهي تتساءل:

- أهى أخبار عن الغيلان؟

قبل أن تكتمل حركة رأسه النافية

تسارعه بالسؤال:

- إذن هى أخبار عن الطيب؟

يجيبها تلك المرة سريعًا قبل أن تستمر في تلك التساؤلات:

- لا يا (ميرا)، تلك أحداث صغيرة جدًا مقارنة بما يتحدثون عنه في الداخل.

بتلاشى كل الترقب لانتهاى انتظار مجلس الملك ويحط مكانه الفضول الذي يظهر جليًا في عينيها. ليتلفت مرة أخرى داليف متأكدًا من عدم وجود أحد على مرمى السمع قبل أن يهمس بصوت أكثر

خفوتًا مما سبق:

- فرق استطلاع شُهِدَت على بُعد أيام من المملكة.

تحقق إلى وجهه قليلًا محاولة الاستيعاب، وفي الوقت نفسه تنتظر أن يخبرها المزيد، وحين يطول الانتظار تتساءل في لهفة:

- استطلاع ماذا؟ .. أعني .. تحت أي راية يتحركون؟

- ذلك أغرب ما في الأمر.. لا رايات، ولكن بعض من أفراد جيش الملاحين ممن رأوهم تعرفوا على بعض أفرادهم كمرتزقة اعتادوا أن يتبعوا (غنتاق السعدي) إن كنت تذكرينه.

تهز رأسها أنها تعرف عمن يتحدث فيكمل قائلاً:

- لكنهم لا يرتدون زي أي من الممالك المعروفة، وفي نفس الوقت ملابسهم ليست بملابس مرتزقة، بل زي موحد كأفراد جيش، لا شك أنها طليعة جيش واتجاههم هو (زراد).

- أياكون (غنتاق) قد جُن وصدق أنه ملك ويحكم مملكة؟

- بالتأكيد لا.. تلك ليست تحركات (غنتاق) تلك تحركات أشخاص استعانوا بخدمات أولئك المرتزقة مباشرة، أو استأجروهم عن طريق (غنتاق).

- ما الذي يجعلك متأكدًا من ذلك؟

يشيح بيديه قائلاً:

- أنا لا أملك أدنى فكرة، ذلك ما يقولونه بالداخل.

تمد رأسها قليلًا لتسرق النظرات وتؤكد أن مجلس الملك مع الكتبة ما يزال منعقدًا قبل أن تقول:

- حقًا؟.. ما الذي يقولونه أيضًا؟

- يقولون الكثير يا (ميرا)، تلك المحادثات مستمرة منذ أيام، ولكن هناك قلق كبير حيث أن توقيت ظهورهم قد جاء بعد أقل من شهرين من اقتحام ذلك المتسلل المجدوب للقصر الملكي القديم، ولو كان هناك جيش قادم لـ(زراد)؛ فكيف سيقوم الملك بقيادة جيش (زراد) من محبسه؟

صدمتها تلك الفكرة فجزء ما بداخلها لم يستوعب أبدًا كون الملك في سجن حقيقي. بل دائمًا شعرت أنه لو أراد سيتمكن من فتح بوابة الزنزانة والخروج ليجلس على عرشه. في النهاية الشعب يتبع الملك وليس كهنة النار. والجيش ذاته يتلقى الأوامر من كهنة النار بناءً على أوامر الملك السجين.

إن الوضع معقد جدًا ولن تتخيل أن يكون كبار الكهنة و(الآركون) مستعدين أن يخاطروا بالوقوف أمام الملاحين كلهم وذلك الجيش الغريب فقط من أجل الاحتفاظ بالملك داخل زنزانة. من يحاولون أن يخذعوا؟ هم يحاولون فقط أن يجدوا سبيًا للبقاء داخل (زراد) بالقرب من مناجم كريستالات الذهب.

وجهت سؤالها إلى داليف قائلة:

- هل تعتقد أن (الآركون) يعلم بذلك؟

يقول داليف بثقة:

- ليس لدي أدنى شك أن (الآركون) قد علم بذلك قبل أن يعلم الملك نفسه.

- بالتأكيد لو حدثت حرب فـ(الآركون) لن يقف في طريق الملك.

بدهشة يتأملها داليف للحظة قبل أن يلتفت لها بكامل جسده متحدثاً بنبرة من يخبر طفلاً للمرة الأولى عن الصمت:

- آاه (ميرا).. حتى أنا أدرك أن ذلك غير صحيح، الأمور ليست بذلك الواضوح ها هنا. نحن لا نعرف من القادم ولماذا، ومع من تحالف، ولو افترضنا أن الآتي غازي لا تتوافق رغباته مع (الآركون) ولا مع الملاحين ولا مع رهبان الكاتدرائية لا يجب عليك أن تنسبهم أيضاً فهم طرف من المعادلة، هل سيقبل جيش الملاحين أن يحارب تحت إمرة من وسمهم ملاعيناً؟ كل قادة الجيش الكبار كانوا نبلاء والقادة الحاليين من الملاحين لا تتعدى خبرتهم أكثر مما يتذكرون مما تعلموه من قيادة الجيش النبلاء لهم، لو لم يتفق جميع الأطراف على كيفية إدارة خطة الدفاع عن المملكة ستسقط المملكة بالتأكيد. قبل أن يُتاح لـ (ميرا) التعقيب على حديثه كان الكتبة يخرجون من زنزانة الملك في طريقهم للابتعاد عن السجن.

تركت (ميرا) (داليف) خلفها، واتجهت إلى زنزانة الملك مُحيية الكتبة في طريقها بهزة رأس. وما أن وقفت بين يديّ الملك حتى تلت عليه تقريراً تفصيلياً عن الستة أسابيع الماضية هي مدة تحقيقاتهم بشأن الغيلان، وحتى لقائهم بالـ (أغوش) بجوار عش الغيلان، ثم تحقيقها مع صائد الغيلان في مستشفى السجن.

جاء صوت الملك لأول مرة منذ دخولها ليسأل:

- عش الغيلان ذلك الذي أحرقتموه.. هل أنتم متأكدين أنه العش الوحيد؟

- في الأغلب، فإن الـ (أغوش) قد صنعت عشاً جديداً لمن تبعها من غيلان.

إذن عليكم بالتخلص من تلك الـ(أغوش) على الفور.
ذلك بالضبط ما أحتاج موافقتك عليه يا جلالة الملك.
قالت هناك دائمًا تلك النظرة التهكمية التي تظهر للحظة على وجه
الملك كلما أنزل عليه أحدهم ألقاب التفخيم.
- ما الذي تحتاجينه؟

- صائد الغيلان أخبرني أن هناك من أرسله لاصطياد تلك
الـ(أغوش). وكان يعرف مكانها تقريبًا، أعتقد أننا لو تحدثنا مع
من أوكل له ذلك العقد يمكنه مساعدتنا.
سألها في دهشة:

- أحتاجين موافقة مني لفعل ذلك؟
- الحقيقة أن الأمر بشأن صاحب العقد... إنه (ساليك).
يحك الملك أسفل ذقنه وهو يسأل: (ساليك)؟ اللص الذي سرق
من مكتبة (الآركون).
- هو بذاته.

ضحك الملك قائلاً:

- وتريديني أن أفعل ماذا بالضبط؟ أن أعفو عنه؟ مقابل مساعدته؟
بالتأكيد... عفوت عنه. اذهبي، لتري إن كان عفوي هذا سيحمل أي
وزن مع (الآركون).

تفهم (ميرا) تمامًا ذلك فتحاول أن توضح للملك مقصدها:

- بالتأكيد يا جلالة الملك أنا لا أطلب أي عفو ملكي لذلك اللص.

فليس (الآركون) وحده من يملك ضغينة ضد (ساليك). ولكن كل ما أرجوه أن تكون على علم بأنني سوف أقابل ذلك اللص دون أن أحاول قطع رأسه أو إبلاغ أي من الكهنة بمكانه. أريدك أن تعرف ذلك حتى لا أكون خائنة لـ(زراد).

- (ميرا) يا بنيتي، أيا كان قولي لك هنا الآن. لن يحمل أي قيمة مع (الآركون)، ولكنني أؤكد لك بالنسبة لي أنت أكثر من رأيت في حياتي ولاء لـ(زراد).

كانت تلك الكلمات تكفي (ميرا). رغم أنها لم تقلها صراحة، ولكنها أبلغت الملك أنها ستقوم بهذا اللقاء دون إبلاغ (الآركون). انحنى (ميرا) تحية للملك كي تنصرف، ليسألها:

- ما اسم صائد الغيلان ذلك الذي سيصحبك لـ(ساليك)؟

قالت وهي لا تزال منحنية:

- (خاشيد) يا مولاي.

في انحناءاتها تلك لم يكن من الممكن أن ترى تعبيرات الملك، ولكن شيئاً ما تغير لحظتها. ربما كان في أنفاسه المنتظمة التي توقفت لعدة نبضات قبل أن تعود كزفير مطوّل.

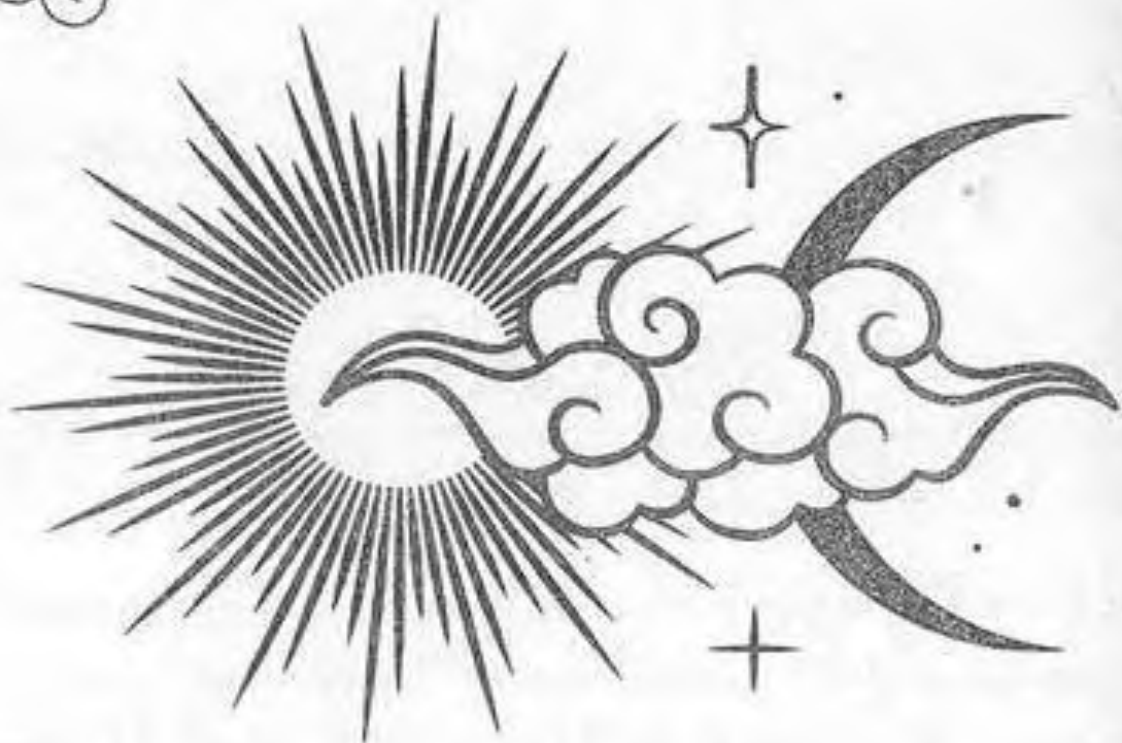
شيء ما تغير حين ذُكر اسم (خاشيد).

بعد أن انتصبت من انحناءاتها رأت ذلك في عينيه ولكن صوته لم يتغير حين جاء قائلاً:

- أحضري لي ذلك الـ(خاشيد). بعد أن تنمي مهمتك، ومهمتك الآن هي التخلص من تلك الـ(أغوش)، وأي أخطار أخرى تأتي من

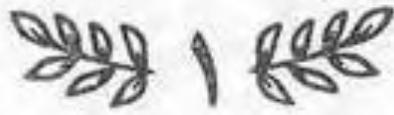
الجهة الشرقية من (زراد).

انحناءة أخرى قبل أن تخرج بظهرها من الزنانة احترامًا للملك وهي تُفكر «إن الملك قلق بالفعل من أنباء طلائع الجيش الغريب القادم من الغرب، ويريد التأكد أنه لا توجد أي أخطار قادمة من الشرق في الوقت نفسه».



الفصل السادس





بالرغم من جروح (خاشيد) التي لم تلتئم تمامًا، إلا أنه لم يضع أي وقت حين أعطته (ميرا) قسمها أنها لن تُبلغ أي شخص بمكان (ساليك) أو تُحاول إيذائه، كما أن ذلك القسم أتى بمباركة من الملك نفسه.

تبعته (ميرا)، مخترقين أسواق (زراد)، متجهين إلى لقاء (ساليك). كانت خطوات (خاشيد) بطيئة بسبب جروحه؛ مما اضطر (ميرا) للإبطاء أيضًا في خطواتها، وإطالة دربهما. استدار (خاشيد) ليقول لـ (ميرا):

- أكان من الضروري أن تحضري سيفك للقاء؟

- (خاشيد)، أرجو أن تفهم أني لا أحتاج سيفًا لقتل عشرة من الملاحين. صدقني لن يُشكل ذلك فارقًا؛ إلا إذا كان (ساليك) ينتظرنا بجيش صغير.

توقف (خاشيد) للحظة.

- أولاً كنت لأقول أنك تبالغين في تقدير مهارتك؛ لكنني رأيته
تقاتلين الغيلان.. فنعم أنا أصدق ذلك، ثانيًا لم يكن ذلك قصدي،
لكن أظن أن ذلك السيف الضخم يثير انتباه السوق كله.

- حقًا يا (خاشيد)؟ ذلك ما يثير انتباههم؟ وليس الرجل الذي
يدمي على الطريق، وتتبعه امرأة حمراء الشعر، ويعادل طولها طوله
ونصف؟

يتملي فيها قليلًا قبل أن يقول:

- لديك وجهة نظر. إذن كان من السخف أن ترتدي ذلك الرداء،
وغطاء الرأس منذ البداية.

تنزع (ميرا) غطاء الرأس والعباءة في عصبية والناس يتهايمون من
حولها وتقول:

- أتعلم ما السخيف أيضًا؟ أنك بالكاد تستطيع المشي، وإذا
استمرينا على ذلك المنوال فلن نصل قبل يومين.

وقبل أن ينطق (خاشيد) ليسألها عما تقترح؛ كانت قد رفعتة من
على الأرض، وألقت به فوق كتفها، وهو في صدمة لم تسمح له أن
يعترض؛ بينما تعلو الضحكات حوله في السوق.

متابعة لإرشادات عجيزة (خاشيد) تهدي (ميرا) أخيرًا الساحة
المدبغة، في سوق الجلود، بقلب (زراد).

تسدل (ميرا) (خاشيد) من فوق كتفها أخيرًا، ماسحة كل من
العرق والدماء التي نزلها فوقها من أحد جروحه التي لم تشف
بعد.

في الساحة انطلق عدد من الأطفال يلعبون لعبة ماء، يطاردون بعضهم البعض، يلقون بقرب جلدية تعرف حين تصيب هدفها أو تسقط أرضاً أنها مليئة بالألوان التي تنفجر صانعة لوحات مبهجة تصاحبها ضحكات أطفال مرحة، ولولا الرائحة الخائقة التي يبدو أن أنوف الأطفال قد اعتادتها لصارت تلك الساحة واحدة من معابد الجمال التي لم تتوقع (ميرا) أن تجدها في قلب أسواق الملاعين، يناور الأطفال الجلود المدبوغة المعلقة على الأحبال فتستوقف أحدهم ممسكة بكتفه تلاحظ أن وشما من ثلاثة خطوط متمايلة يقطعه رمز يشبه حروف أهل ما خلف الوادي؛ لتفكر للحظة بطبيب الوباء الهارب، وعمله الليلي كنخاس أطفال قبل أن تزيح تلك الأفكار جانباً لتسأل الطفل:

- هل (ساليك) هنا؟

يتأملها بفضول للحظة وهو يلهث ثم يشير إلى باب في أحد أركان الساحة قائلاً:

- العم (ساليك) بالداخل.

ويفلت ذراعه الموشوم من يد (ميرا) منضماً للعبة مرة أخرى مع أقرانه.

تلقت لـ (خاشيد) الذي يصارع جاهداً ليخفي آثار الألم من على وجهه ليومئ برأسه ويتقدمها ناحية الباب.

كان المكان بالداخل مظلماً قليلاً، يحتوي على عدد من الأحواض الحجرية المملوءة بالألوان مختلفة، كل حوض نُقع فيه عدد من الجلود، بينما جلس شاب في أحد الجوانب ممسكاً بفراء ذئب يزيح

عنه شحمه.

توقف نصله عن العمل ما أن رأى (خاشيد)، انتقل بعينه بين
(خاشيد) وبين (ميرا):

- قائد؟

يرفع (خاشيد) كفيه في إشارة استسلام قائلاً:

- ليس الأمر ما تظنه يا (ساليك).

يقف (ساليك) من مجلسه والنصل ما زال بيده ليشير به ناحية
(ميرا).

- جيد، لأنني ظننتها واحدة من كهنة النار؟

يحك (خاشيد) رأسه ويده الأخرى ما تزال أمامه قائلاً:

- نعم... لا... حسنًا هي من تظنها، أحد كهان النار، لكن الأمر
ليس كما يبدو.

- أنك أحضرتها هنا للقبض عليّ؟

في سرعة يقول (خاشيد):

- بالضبط...

يتراجع (ساليك) عدة خطوات فيقول (خاشيد) مصححاً:

- مهلاً مهلاً.. أعني أن ذلك بالضبط ما تظنه أنت، لكن كما قلت
في البداية ليس ذلك هو الأمر.

- تحتاج لتوضيح الأمر سريعاً يا قائد قبل أن تأتي عواقب الوشاة
طارقة للأبواب.

يشير (خاشيد) لـ (ميرا) بيده دون أن يحرك نظره عن (ساليك)، وهو يحاول رسم ابتسامة طمأنينة على وجهه قائلاً:

- هي ليست هنا للقبض عليك يا (ساليك).. لا أحد يريد القبض عليك.. أترى؟

ينظر (ساليك) لـ (ميرا) في شك سائلاً إياها:

- أنا لست مطلوباً من قبل كهنة النار؟

يأتي صوت (ميرا) للمرة الأولى باستغراب:

- لقد سرقت مكتبة (الأركون)! بالتأكيد يرغب كل الكهنة برأسك.

يتراجع (ساليك) أكثر بينما يضع (خاشيد) كفيه على وجهه في إرهاب ثم يصرخ قائلاً لـ (ساليك):

- لقد فقدت الكثير من الدماء، وذلك التعارف يتجه لنهاية كارثية فلتضع مؤخرتك على المقعد فـ (ميرا) هنا لم تأت للقبض عليك، نريد فقط بعض المعلومات لمساعدتنا لإتمام عقدك.

ثم يلتفت لـ (ميرا) مكماًلاً:

- (ميرا) رجاء أكدي له أنك لست هنا من أجل رأسه.

تهز (ميرا) كتفها قائلة:

- لو كنت أريد رأسه لحصلت عليها دون...

نظرة نارية من (خاشيد) تجعلها تعتدل في وقفاتها وتقول لـ (ساليك):

- لا يا (ساليك)، لست هنا لقتلك أو القبض عليك، أنا هنا في مهمة شخصية لمساعدة (خاشيد) في عقده، ولكن ذلك لا يعني أن الكهنة

سيتوانون عن قتلك حال تعرفوا عليك في أي مكان داخل (زراد)،
وأقدم لك قسمي أن كل حديثنا اليوم وموقع مخبأك لن يصل أبدًا
عن طريقني للكهنة.

تأتي لحظات طويلة من الصمت بعد انتهاء (ميرا) من حديثها،
يراقب فيها (خاشيد) و(ميرا) كل سكنات (ساليك) وهو يفكر فيما
سمعه.

قبل أن يقرر أخيرًا أن يتخلى عن نصله، ويجلس مشيرًا لهما أن
بشاركاه المجلس قائلاً:

- لست قلقًا حيال معرفة مكان مخبأني، فقد آن أوان الرحيل عنه
على أي حال.

ينظر لـ(خاشيد) بعد أن اتخذ مقعدًا بجواره:

- أود أن أقول أنك لا تبدو بخير، ولكن في ذات الوقت حصلت
على كاهنة نار كمساعدة ذلك مبهر حقًا يا قائد.

- وددت لو تتوقف عن مناداتي بذلك، ولا تكرر وصفك لها
كمساعدة كي نحتفظ برأسينا.

لاحظ (ساليك) نظرة (ميرا) له، وأنها ظلت واقفة فهز رأسه
موافقًا وقال مغيرًا للموضوع في سرعة:

- ما الذي تحتاج لمعرفته لننتهي تلك الزيارة السعيدة سريعًا؟

قالت (ميرا):

- نحتاج أن نعرف مكان الـ(أغوش).

يقول (ساليك):

- لا يمكنني أن أعرف ذلك بالتأكيد، كنت أعرف أنها في الغالب بالقرب من الأسوار فجهزت لـ (خاشيد) الطعام.
يقول (خاشيد):

- إذن جهز لي طعامًا آخر يجذبها مرة أخرى حيث نكون جاهزين لاصطيادها.

يفكر (ساليك) قليلاً قبل أن يقول:

- حسنًا، أحتاج لعدة أيام لتحضير الطعام، وبعدها سأصحبكم للتخلص منها.

يقول له (خاشيد):

- وأين كانت تلك الشجاعة حين أرسلتني وحدي لاصطيادها؟

- أعتذر عن ذلك بالطبع، فقد كان لدي توقعات خيالية لقدراتك.
تأتي النبوة التهكمية واضحة في صوت (ساليك).

يتجاهله (خاشيد) قائلاً:

- حسنًا.. بما أنك بارع في استخدام يديك؛ أحتاج إلى مقبض للسلك الفضي الطويل، المرة الماضية كدت أن أقطع أصابعي وأنا أحاول اصطياد الـ (أغوش) بها.

- يمكنني أن أصنع لك شيئًا أقرب إلى السوط، ثم أطليه بالفضة.

- طلاء سوط جلدي بالفضة فقط لن يكون كافيًا، هل يمكنك صناعة سوط معدني قادر على فصل رأس من على جسد؟
يهرش (ساليك) في رأسه:

- كل شيء ممكن، من منكما سيحاسب على سلاح مثل هذا؟
يعد (خاشيد) يده داخل بنطاله ليخرج شيئاً من ملبسه الداخلية
لنوقفه (ميرا) في سرعة:
- دعني أقوم بذلك.
ملقبة بكرستالتي هب لـ (ساليك).
ينظر لها (خاشيد) مستغلاً فرصة تواجد يده داخل بنطاله ليهرش
وهو يقول لها:
- ذلك لطيف منك حقاً.



عشرة أيام احتاجها (سيفاد) ليتحرك من فراشه.

الأيام الأولى كانت الأصعب على جسده وعقله، غارقاً في كل من هلوساته وعرقه، لوهلة ظن أنه قد ابتلي بالوباء.

في الماضي كانت نهاية طيب الوباء مصاباً بالوباء ذاته أمرٌ متكرر الحدوث؛ فهي معركة يقف فيها الطبيب عادةً وحيداً أمام ما يولي عنه الأدبار أشد المحاربين بأساً.

«جئت تطارد الوباء، من العدل أن يلاقيك بتحية مناسبة»... لكنه يدرك الآن وقد مر الأسوأ أن ذلك الابتلاء سيمر، وإن تحطم غروره قليلاً جراء فشله في معرفة ما ألم به حقاً.

عشرة أيام يداويه الفتى، لا يبرح جنبه إلا ليأتي بالشربة اللعينة التي يعدها الطبيب المحلي، أو ليأتي له بطعام يدفسه في فمه دفساً.. لولا الفتى وصحبته لكان (سيفاد) مرمياً وحيداً كسقري جريح نبذه القطيع.

ولكن وإن صح الجسد، وإن اختفت الهلوسات الكبرى التي يواجه فيها أباه بخذلانه الأكيد لـ (زدرد)، وفشله المتوقع في رحلته بحثًا عن مصدر الوباء؛ فإن ما يسمعه من هلاوس بصوت الريح لم تخفت للحظة، هامسة باعثة بالقشعريرة، ومُخرجة لذكرى الهول وهو يتلو عليه وعود مجدي بحث عمن يحمله، وباقتراب لقاء يهديه لما يبحث عنه، وما يبحث عنه دائمًا هو أن يعرف أكثر.

رغم أنه لم يكن يشعر أن جسده قد استعاد كامل عافيته؛ إلا أن الطبيب طلب من (عاند) أن يقوده إلى الدليل الذي كان قد وافق سابقًا على مرافقتها إلى ما خلف الوادي مقابل الكريستالات الفارغة.

بطيء الخطوات، متكئًا على عصاه بشكل كبير؛ اتبع الطبيب (عاند) إلى مخيم خارج أطراف المدينة. استوقف الطبيب (عاند) على بعد خطوات من المخيم وقد شعر بعدم الراحة من مظهر الرجال في المخيم.

- كيف وصلت لهذا الدليل؟

سأل الطبيب ممسكًا إياه من كتفه ليجيبه:

- بعد أن رفض الجميع التعامل بعمليات (زراد) دلني مالك حانوت على هذا المخيم قائلاً لي أنهم يقبلون أي نوع من المدفوعات.

لم يكن ذلك مبشرًا بالخير بالنسبة للطبيب، ولكنه وضع قناعه على وجهه وأشار لـ (عاند) أن يتقدمه ليدخل المخيم.

اجتذب دخولهما الأنظار، ولكن لم يتوقف أي من الرجال عما يفعله لتوجيه حديثهما. فقط رجل هزيل الجسد بمجرد رؤيتهم تحرك

ماذا الخطى أمامهما، متجهًا إلى خيمة منصوبة في أحد الأركان ويبدو أن (عاند) كان يتجه لتلك الخيمة نفسها.

يدخل الرجل الهزيل الخيمة قبل أن يصل إلى بابها، بينما وقف (عاند) ووراءه الطبيب في انتظار أن يخرج أحدهم.

ينتظر لبرهة قبل أن يأتي صوتٌ من خلفه:

- آه.. قد عُدت يا فتى. ظننتك قد غيرت رأيك أنت وسيدك ورحلتما عن (ثول).

يلتفت الطبيب ليجد المتحدث رجلًا شحيمًا، يلوك شيئًا في فمه، ويجواره سقري كامل البلوغ

تراجع (عاند) خطوتين للوراء ملتصقًا بالطبيب الذي وضع يده مرة أخرى فوق كتفه ليبقيه ثابتًا في مكانه.

كان من المخيف رؤية سقري عن قرب؛ فيبدو أن (عاند) لم ير من قبل ذلك الحيوان الشبيه بالذئب، ولكن جلده مغطى بالحراشيف كجلد السحالي، ولسانه المشقوق الذي لا ينفك أن يخرج ليلعق به أنفه المفلطح.

كانت كل خطوة يأخذها السقري بجوار الرجل الشحيم تترك أثرًا غائرًا في الرمال من فعل مخالبه الثلاثية الحادة في كل طرف من أطرافه الأربعة.

- لا تخف يا فتى، فسقري هذا لا يهاجم إلا بأمري. فهو يملك من ضبط النفس ما لا يملكه أغلب من حولك من رجال.

- لم أر شخصًا من قبل رؤّض سقري كحيوان أليف يا سيد...؟

- (أحاذ).. اسمي (أحاذ)، تفضل بالجلوس سيدي الطبيب.

مشيرًا بيده لجذع نخلة مقطوع اتخذ الرجل مجلسه على جذع عمائل أمامه.

تردد الطبيب للحظة، شاعرًا بالتوتر من كون جلوسه سيجعل السقري الواقف يفوقه طولًا.

لكنه جلس جاذبًا (عاند) ليقعد إلى جواره، حريصًا على ألا يبدي أي من توتره.

- السقرات لا تروض.

قال (أحاذ):

- أعلم أن كل ما يعرفه أهل الممالك الجديدة هو حكايات البحارة القادمين من هنا عنها لكنكم لا تعرفون مدى ارتباطها بتاريخ الممالك القديمة، فذلك الكائن الضاري هو من أحفاد التنانين.

قال الطبيب بضحكة خفيفة:

- التنانين مجرد أسطورة يا سيد (أحاذ).



هز أحاذ رأسه موافقاً وهو يربت على حراشيف السقري:

- نعم، فلم نر تنيناً يوماً رؤي العين؛ ولكن ألا ينطبق ذلك على الالهة؟! في ممالككم تعبدون القمر والنار، وفي أرضنا هنا - في الأرض الأم - عبدنا اثنين وستين إلهًا بعدد أقمار كانت يوماً في السماء، حتى ابتلعهم الصمت، وعندها صرنا نعبد الصمت.

لم يستطع (سيفاد) أن يحدد إذا كان وهم عقله جراء المرض ما يمتنع من متابعة حديث هذا الرجل، أم أن الرجل يهذي بخرافات.
بفضول تساءل:

- أي آلهة دون القمر والنار؟ عن ماذا تتحدث؟

- أتحدث عن أساطير يا سيدي الطيب، كما قلت لك كل ذلك مجرد أساطير، لا تلق لها بالاً، ولكن التنين هو أسطورة مفضلة بالنسبة لي. هل تعلم أن سبب تحريم كريستالات النار في الممالك القديمة كان بسبب أسطورة السقريات والتنانين؟.. فالأسطورة تقول أنه لو دخل قلب كريستالة لهب أحشاء سقري؛ فإنه يتحول تنيناً!

ضحك الطيب في سخرية قائلاً:

- يا للأسى، كدت أنجح بالعبور بحقيبة كاملة من كريستالات اللهب من (زراد) إلى هنا. كنت سأحب أن أرى ذلك السقري يتحول إلى تنين نافثٍ للهب.

- سمعت بشأن مغامرتك تلك، ولكن ماذا نقول عن سوء الحظ! سوء حظي أنك لم تنجح بالعبور ببعض من تلك الكريستالات، أنت لم تحبى بعضهن بالمصادفة؟

هو الطبيب رأسه:

- للأسف لا، تخلّيت عنهن حتى آخر واحدة إرضاءً للبحارة.

والحد (أحاذ) نفساً عميقاً ثم يخرج قائلًا في خيبة أمل:

- وذلك من سوء حظك أيضًا، كريستالتي لهب منك كانتا لتكفي
لي أرسل حاملي المجد كسيرى الرجاء، يجر جرون أذيال الخيبة،
ولكن الآن فإن عرضهم أفضل من بعض كريستالات مهشمة.. ألا
وافقني الرأي؟

يشعر الطبيب بعدم الفهم مرة أخرى وهو يتساءل:

- ما الذي تحدث عنه؟.. ساحني فإن عقلي مشوش...

لمل أن ينهي جملة ملح بطرف عينيه اثنين من الرجال يجذبا (عاند)
من جانبه مقيدتين إياه، وشعر بظلي يأتي من خلفه.

ياقي الطبيب بسرعة جسده على الأرض متناولاً عصاه، ضارباً بها
الهواء على أمل أن يبعد أي من يحاول الاشتباك معه.

بأني فحيح من جانبه؛ ليجد أن (أحاذ) لم يحرك ساكنًا، ولكن سقره
في وضعية تأهب، ورجل ضخمة الجثة يقف خلف الجذع، وبجانبه
اثنين من الرجال الأشداء، أحدهما يمسك بـ (عاند) مغطيًا صرخات
محاول أن تفلت من فمه، والآخر يمسك سيفًا في يد وجبلاً في اليد
الأخرى. لا يجيد الطبيب كلمات فالصدمة قد ألجمت لسانه.

بأني صوت (أحاذ) الذي لا يظهر فيه أي تغيير في نبرته:

- أنت في وسط مخيم به خمسين رجلاً وقطيع من السقرات تتوق
للوجابة التالية. لنختصر ذلك الأمر بلا أي حاجة للإقلال من

قدرك، ومن مقامك.

أخيرا استطاع الطبيب إخراج كلمة واحدة من فمه:

- لماذا؟

فجاءت خائبة خانعة تخبر (أحاذ) ورجاله باستسلام الطبيب لهم، ليغمد ذو السيف سيفه، ويقرب ليساعد الطبيب على الوقوف، ويبدأ في تقييد يديه، ليقول (أحاذ):

- لا داعي لذلك، سينتظر الطبيب مكرها في الخيمة حتى يأتي حفنة المجانين لاصطحابه.. سيدي الطبيب أريدك أن تطمئن أنه بمجرد أن يصطحبك أولئك المجانين سنترك تابعك على الفور، حيث يمكنك العودة إلى (زراد)، وإخبار ملككم بوضعك الحالي، وبالتأكيد سوف يرسل رجالا لإنقاذك، ذلك بادرة حسن نية من جانبي لتفهم أنني رجل أعمال، ولا أضمر لك أي شر.



بعد اختلاف طال بين (ميرا) و(ساليك) حول رغبتها في إحضار بعض من كهنة النار في رحلتهم لاصطياد الـ(أغوش) ظنًا منها أنه يرفض المبدأ خوفًا من أن يشي به أحدهم أو يقتلوه بعد أن يصلوا إلى الـ(أغوش)، بينما كان (ساليك) يؤكد أن كثرة العدد ستجعل الـ(أغوش) والغيلان يتعدون عن موقعهم وإن استخدموا مئة طعم. في النهاية اتفقا على أن يصحبهم (داليف) لتصبح الحملة مكونة من (خاشيد) و(ساليك) و(ميرا) و(داليف)؛ متعمقين في الغابة لمسيرة يوم، قبل أن يقيموا، وينطلق كل منهم ليزرع الفخاخ في دائرة حول موقع التخييم، ثم يضعون الطعم بعدها في وسط المخيم جاذبين به انتباه الـ(أغوش).

كان (خاشيد) أول من انتهى من زراعة فخاخه، وعاد إلى المطعم
ليشعل النيران، ويجلس في انتظار بقيتهم. تبعته (ميرا) ومن بعدها
(ساليك) ليجلسا قبالتها، ويطول الصمت جراء تعب اليوم.

يسأل (خاشيد) فجأة:

- كم عمرك يا (ميرا)؟

- ولدت بعد ثورة النار بعشرة أعوام.

قال (خاشيد):

- ماذا تطلقون عليها الآن؟ ثورة النار؟

تسأل (ميرا) مستغربة:

- هل كان لها اسمًا آخر؟

يومئ (خاشيد) برأسه قائلاً:

- لأقل من يوم على ما أعتقد حين أسماها أحدهم ثورة النور،
لكن من يحكم يكتب التاريخ، فلعلها نارًا إذن.

- عن ماذا حكوا أيضًا؟ من الأفضل لي أن أعرف تاريخ (زراد) من
فم من يسطروه؛

فرب حكاية لا تريدون أن تُحكى تنساب من فمي في يوم سُكر أو
في حالة سُكر وأفقد رأسي. ولا أخفيك سرًا أنا شديد الارتباط بهذه
الرأس.

- لا يخبرونني الكثير عن ثورة النار أو النور إن شئت.

- وماذا عن «أخا السلاح» الذي يرافقك؟ يبدو أنه في عمر وعي

له على الثورة. ألم يشاركك أي تفاصيل؟

عجبت (ميرا) من المصطلح «أخا السلاح»، ولكنها أرجأت السؤال عن ذلك المصطلح وهي تقول:

«لا، ألتزم بتوصيات (الآركون) ألا نسأل، وبالتأكيد لن يتطوع أحد لشارك.

هز (خاشيد) رأسه في تفهم، وما تزال عيناه مرتكزة على النيران. ثم يسأل بعد برهة دون أن يشيح وجهه عنها:

«وهل تسألين الآن؟»

ناد قلب (ميرا) أن يقفز ولسانها ينطق أن نعم بالطبع تسأل!.. لو هناك أي سؤال ترغب في إجابته فقد كان هو ذلك السؤال. لماذا؟ فقط.. لماذا؟ كل ما تعرفه أن الملك أزاح النبلاء وطردهم من (زراد).

لا تعلم كيف؟ ولا تعلم لماذا؟ ولا تعلم لم صار الملاعين ملاعينًا؟ كل ما درّس لها هو تاريخ كهنة النار. «كنا في يوم خارج (زراد)، وبفضل الملك السجين صرنا داخلها». وكمكافأة للملك صار لدينا سجينًا.. لماذا؟ وكيف؟.. من استطاع إزاحة الملك والنبلاء لا يستطيع أن يسمح بسجنه!

نعم تريد أن تسأل، ولكن إن أسميناها توصيات فهي في الحقيقة أوامر لا يمكن مخالفتها.

تمر الثواني و(خاشيد) صامتًا وإن ارتسمت على وجهه بسمه استمتاع وكأنه يعرف أنها لا يسعها الجواب، وفي النهاية يلتقط غصنًا ويبدأ في الحديث.

«كل الحكايات قد حُكِيت من قبل، حتى ما سأحكيه لك. قبل

أن يصيروا ملاعينًا كان أهل الـ(داز) أهل (زراد).. ربما كان النبلاء في (زراد) من قبل أبناء الـ(داز) كمستكشفين للممالك الجديدة، ولكن أبناء الـ(داز) هم من كانوا يزرعون الأرض، ويبثون (زراد)، من قبلهم كانت مستنقعات وملاجئ للحيوانات حول نهر جاري موضوع عليه أعلام النبلاء. كل يغرس علمًا في مقاطعة، وكان الملك يحمي ملكه بنبلائه الحديديين.

تمر نظرة كُره في عين (ساليك) مع ذكر النبلاء الحديديين. تراها (ميرا) ولكنها لا تجرؤ على مقاطعة (خاشيد) الآن.

يلاحظ (خاشيد) أيضًا نظرات (ساليك) فيسكت للحظة، ثم يجلو حلقه باصقًا تجاه النار ويكمل:

- كما كنت أقول؛ النبلاء.. النبلاء الحديديون وعبيدهم...

لا تتمالك (ميرا) نفسها وتسال:

- تعني أهل الـ(داز)؟ أولئك كانوا عبيدًا عند النبلاء؟

يهز رأسه أن «لا»...

- لا.. ما أحدثك عنه قبل أهل الـ(داز).. (الأبناس).. كانوا جنسًا

استوطن أرضهم النبلاء من مئات السنين. برغم قوتهم إلا أنهم كانوا مسالمين جدًا. حتى أنهم رفضوا التهام الحيوانات. لم يقاوموا حين أخذت أرضهم، ولا حين أصبحوا عبيدًا. كانوا سود البشرة، ضخام الجثة، وخارج أرضهم صارت أعدادهم تتناقص بسرعة.

مرة أخرى لا تتمالك نفسها وتسال:

- هل تعني أن الملك...؟

يقاطعها قائلاً: نعم.. الملك هو آخر (الأبناس)، ولكن دعيني أكمل لك. وصل أهل الـ(داز) لـ(زراد) بحرًا في مجاميع صغيرة في البداية بعد رحيل الوباء. عمروا المملكة وازدادت أعدادهم تدريجيًا. ثم قرر النبلاء أنه لا خطر من عودة الوباء مرة أخرى؛ فبدأوا في استقدام عائلاتهم. بدأت علاقة النبلاء بأبناء الـ(داز) بأنهم مستأجرون يسمحون لهم بالعمل في الأرض ولكن بمرور الأعوام استيقظ أهل الـ(داز) ليجدوا أنفسهم ملكًا للنبلاء. كل ما يصنعونه، وكل ما يزرعونه.. كل ما جُني أو سيُجنى فهو ملك للنبلاء. هم بالكاد يملكون ما يكفيهم ليومهم. جيل بعد جيل ازداد فحش النبلاء، ومع قدوم الوباء الثاني ترك النبلاء (زراد) مرة أخرى، تاركين خلفهم النبلاء الحديديين لتأمين مقاطعاتهم حتى ينجلي الوباء. بالطبع لم يملك أهل (زراد) رفاهية الرحيل عن بيوتهم ومات الآلاف منهم مع الوباء الثاني. وحين انجلي وعاد النبلاء بدأوا في مطالبة أهل (زراد) بنصيبتهم مما زرعه في أعوام الوباء مرة واحدة. لم يكن النبلاء حقًا يتوقعون أن يستطيع أهل (زراد) الوفاء بما يطلبون، هم فقط كانوا يريدون أن يحرصوا على أن يظل أهل (زراد) في دين كبير، لا يستطيعون الوفاء به أبدًا، ومعه تستمر دورة الاستعباد، ويبدأ النبلاء في تجديد مقاطعاتهم داخل (زراد)، وكان لهم ما أرادوا لأعوام قصيرة، حتى أتى مجموعة من الحمقى وقرروا أن يدعوا أهل (زراد) للشورة على النبلاء.

مرة أخرى تلمح (ميرا) تعبيرات وجه (ساليك) وهو يتسم في سخرية مريرة، ويطلق ضحكة مسموعة يتجاهلها (خاشيد) مكملًا:
- كانوا خمسة حمقى ألهبوا قلوب أهل (زراد)، وكانوا جنودًا في جيش (زراد). استطاعوا فتح مخازن السلاح للشوار، ولكن أسوأ ما

اقترفوه كان ما حدث مع «الأبناس»؛ فكي تنجح ثورة على النبلاء
كان يجب توحيد النبلاء الحديديين.

قالها ملقيًا نظرة خاطفة على (ساليك). الذي لم يُبد أي مشاعر تلك
المرة.

- أخبريني أيتها الكاهنة، ما الذي تعرفينه عن النبلاء الحديديين؟

ثوانٍ استغرقتها (ميرا) مفكرة إن كانت إجابتها على ذلك السؤال
ستخرق آيا من وصايا (الأركون)، ولكن حين لم تجد ما يتعارض
مع وصاياها أجابت:

- ليس الكثير.. يرتدون دروعًا حديدية، لا يستطيع بشري سواهم
تحمل وزنها، مُطعمة بالذهب - عرفت ذلك من الرسومات في
القصر الملكي - ولديهم مناعة ضد الوباء.

- دعيني أصحح لك معلومة يا عزيزتي؛ يرتدون دروعًا حديدية لم
يتحملها بشري قط.. فالنبلاء الحديديون ليسوا ببشر. تلك الدروع
لا يرتدونها، بل هي جزء من أجسادهم. لا يأكلون ولا ينامون، ولا
يمكن قتلهم. لا نعرف كيف وجدوا، ولماذا يعدهم النبلاء نبلاء
مثلهم وهم مجرد محاربين، ولكن نعرف شيئًا واحدًا؛ أنهم يطيعون
الملك طاعة عمياء؛ بسبب صندوق ذهبي يحتفظ به في القصر، كلما
أراد أن يعطيهم أمرًا أتوا له بذلك الصندوق. يجب أن يحمل هذا
الصندوق وهو يعطي أمرًا لأحدهم. ولأن هذا الصندوق يزن أطنانًا؛
فقد كان يحتاج إلى اثنين من (العبيد الأبناس) لحمله. وكنا نحتاج -
حين تقوم الثورة - ألا يأتي له هذا الصندوق. فاجتمع قادة الثورة
الخمسة بـ (الأبناس)، وأغرقوهم وعودًا. لم يكن (الأبناس) حمقى أو
مغبيين، ولكن بديل أبدًا لم يُطرح عليهم عما يحبونه. لم يهتم العبدان

كثيراً بوعود غنى أو ثروات، كان كل ما يشغلها أن جنسها صار مدده أقل من الألفين، متمرزين كلهم في (زراد) وما حولها. كل ما أراداه أن يختلط أبناؤهما بأبناء الـ (داز)، ويصيرا من أهل (زراد). فكتبت وثيقة عهد، وضمنت القادة أن الصندوق لن يصل إلى يد الملك، وأن النبلاء الحديديين لن يكونوا طرفاً في القتال.

كانت الآن (ميرا) غارقة في التفاصيل التي تسمعها لأول مرة حتى كانت تريده أن ينهي الحكاية قبل أن ينتهي (داليف) من زرع الطعام والفخاخ ويعود، كانت تستكثر عليه الأنفاس، ولكنه أخذ وقته وأنفاسه على مهلٍ قبل أن يقص ما بدا أصعب جزء في الحكاية.

- ثم جاء يوم النور.. وصحى الملك راغباً في الصيد؛ فأول ما طلبه كان أن يحضر العييد الصندوق، ليبلغ اثنين من النبلاء الحديديين أن يرافقه في رحلة الصيد هو وأبنائه. كان يفصلهم عن موعد انطلاق الثورة ساعتان. لم يكن للعبيد أن يخاطروا بأن يظل الصندوق معه وقت أن يبدأ أهل (زراد) ثورتهم. فأخذوا الصندوق وحصنوا أنفسهم داخل غرفة نوم القصر الملكي. وصل النبأ للقواد الخمسة فقد كان بعضهم قد بدأ في التحرك بالفعل، كان كل حراس القصر في تلك اللحظة يهدمون أبواب الغرفة الملكية على العبيد. لم يكن هناك مجال لمعرفة إذا كان سيتمكن الثوار من الوصول إلى القصر قبل أن يصل الملك إلى الصندوق ويطلق العنان لنبلائه الحديديين أم لا. فاتخذ أربعة من الخمسة قادة قرارهم بألا يتحركوا.

في سرعة سألت (ميرا): وماذا عن الخامس؟

أجاب (خاشيد):

- لا يهم الخامس، فالأربعة الآخرون مزقوا وثيقة العهد، وقرروا أن

يسرعوا للقصر للوقوف وسط حاشية الملك درءاً لأي شبهة، وحين اقتحم الحراس الغرفة ألقى العبدان بنفسيهما فوق الصندوق ظانين أن الثورة قد بدأت وقادمة لإنقاذهما. لا أبالغ حين أقول لك أن آلاف الطعنات اخترقت جسديهما دون أن يتزحزح أحدهما. احتاجوا أن يقطعوا جسديهما من أجل الوصول إلى الصندوق. مضحين بنفسيهما من أجل ثورة لم تقم ومستقبل يأملانه لأبنائهما.

هيئ لـ (ميرا) أنها ترى دموعاً في عين (خاشيد). بينما قام (سالك) متجهًا ناحية الأشجار دون كلمة. ثوانٍ أخرى مرت قبل أن يكمل (خاشيد):

- وقتها ظن الجميع أن لا نهاية أسوأ من ذلك، ولكن ما حدث كان أسوأ. وشاية وصلت للملك وبعض النبلاء عن أن ما حدث كان جزءاً من خطة لثورة عليه؛ فبدأ حملة رهيبة من الاعتقالات لأهل (زراد) أبناء الـ (داز). اكتظت سجون الملك وتفنن رجاله في تعذيب المسجونين محاولين استخراج المعلومات التي - ويا للسخرية - يعلمونها بالفعل؛ لأن أغلب الجلادين وقتها كانوا من أهل الـ (داز)، وكانوا مشاركين في خطة الثورة. وكل من كان ينطق في سجن الملك كان الجلاد يحرص أن يقتل كي لا تصل المعلومة للملك؛ فأطبق بقية المساجين على فهمهم أملين أن يكون لهذا العذاب نهاية. وحين لم يأت من التعذيب أي معلومة تُرضي الملك قرر أن يتقم من كل (الأبناس)؛ فقد كان كل ما يقوله أبناء (زراد) أن تلك الثورة المزعومة هي ثورة عبيد لا شأن لهم بها، حينها أصدر الملك الأمر للنبلاء الحديدين بقتل كل (الأبناس).

في يومين فقط محي جنس كامل من على وجه البسيطة، ولكن في

اليوم الثالث وللمعجب صبحونا لنجد عبدًا واحدًا، آخر من تبقى من (الأبناس) قد قتل الملك، ويتبعه جيش النبلاء الحديديين. غطينا وهو يلتهم قلوب أبناء الملك ووصم كل أبناء الـ(داز) ملاعينًا، طاردًا لكل النبلاء من أرض (زراد)، وفي اليوم نفسه دخل كهنة النار (زراد) يعلنون بدورهم أن الملك صار سجينهم، وإن كان لا يزال ملكًا على (زراد) وما يزال ملاعينًا. وقبل أن ينزل الملك لزنزانتة أصدر أمرًا أخيرًا للنبلاء الحديديين خرجوا به من (زراد)، ولم يرههم أحد حتى يومنا.

صمتت (ميرا) بعد أن أنهى (خاشيد) حكايته التي لم تجب حقًا عن كل أسئلتها، ولكنها أوضحت الكثير. ثم سألت:

- وماذا حدث لقادة الثورة الخمسة؟

- فصل الملك رؤوس أربعة منهم عن أجسادهم بيده العارية.

- والخامس؟

جاء صوت (ساليك) الذي يبدو من خلفها ليقول:

- جالسٌ بجوارك يحكي لك الأساطير، صانعًا من نفسه شهيدًا.

في صدمة تنقل نظرها ما بين (ساليك) و(خاشيد) وهي تقول:

- أكنت أنت واحد من القادة الخمسة؟

لا يجيب بل يأتي صوت (ساليك) مرة أخرى:

- نعم.. ولأستخدم كلماته، كان واحدًا من الحمقى الخمسة.. كان أكبر أحمق فيهم. فقد كان هو من لم يلتزم بقرار التراجع الذي قرره الأربعة الآخرون، وبسببه وبسبب واحد من مجموعته أتت

الوشاية. لا يعني ذلك أن الأربعة الآخرين لم يكونوا على قدر نفسه من الحماقة، لقد لعنونا جميعاً.

بغضب أتى صوت (خاشيد):

- لم يكن ذلك ما أردناه.

بغضب أكبر يتقدم منه (ساليك):

- وما الذي أردتموه بالضبط؟ قلتم اتبعونا اليوم تتحرروا. لم نكن نعرف ما الذي سيحدث وكيف ستحرر، ومن سيحكمنا لو رحل كل النبلاء. كنا راضين وكذلك (الأبناس). أنتم من دخلتم جيوش النبلاء واقتربتهم منهم.. كنتم تظلمعون.

ينفجر (خاشيد) في حده:

- كنت طفلاً لا تعي وقتها يا (ساليك)، توقف عن الرجم بكلماتك...

يقاطعه (ساليك):

- دعني أخبرك بما وعيته.. وعيت على جسد أبي المشقوق، ورؤوس إخوتي المهشمة بفعل النبلاء الحديدین بعد أن تبعوك في ثورتك المشؤومة.

يسقط بيد (خاشيد) فلا يرد ليكمل (ساليك):

- وعيت أيضاً على جوع وضمك من بعدهم. صرت شريداً، وبحثت عمن كان يدعوهم أبي القائد، هل تعرف أين وجدته؟ وجوم لا تحرقه سوى قرعات النيران، ينظر (ساليك) لـ (ميرا) مشيراً لـ (خاشيد) ليقول:

- لا لم يكن القائد حبيسًا أو مقعدًا، بل كان ضيقًا على الحانات،
يرأسونه بالدخن وهو من نجا.

عاد (خاشيد) لمجلسه منكس الرأس، لا يحمل ردًا على كلمات
(ساليك). نظرة احتقار أخيرة يوجهها (ساليك) ناحيته قبل أن
ينكص عنه لسانه ويعود حيث كان عند الأشجار.

نظل (ميرا) في مجلسها قبالة (خاشيد) كابحة لفضولها أن تسأل عن
المزيد ليأتي صوت (خاشيد) الذي ظنت أنه عزف عن الحديث:
- كما ترين.. كلنا أشرار.. هي حقًا أرض للملاعين.

تفكر أنه ربما إذن، سؤال آخر لن يكون خارج حدود الأدب.

تهم سائلة ولكن قبل أن تنطق تلمح عمودًا من سائل ما يتلوى في
الهواء، شاقًا طريقه حيث يجلس (خاشيد)، تقفز جاذبة لـ (خاشيد)
بيد، ويدها الأخرى ساحبة لسيفها من غمده، لا يقاوم (خاشيد)
وقد انبطح أرضًا، ويأتي السائل الأخضر اللزج متناثرًا على جذع
الشجرة، لتبدأ الشجرة في التآكل على أثره، ومن قلب الظلام
تراها.. الـ (أغوش) يبشاعتها وهيبتها المقبضة تتقدم ناحيتهم، ومن
حولها غيلان تتواثب وتشق طريقها ناحية (ميرا) و (خاشيد).

لا تتردد (ميرا) وهي تقفز من فوق جذع الشجرة في طريقها لمجابهة
الغيلان والـ (أغوش). يصرخ (خاشيد) وهو يشعر أنه قد رأى
ما حدث من قبل، فها هي (ميرا) تتقدم ضاربة رؤوس الغيلان
بضراوة وها هو ملقى على ظهره أرضًا معدوم الفائدة كما حدث
من قبل.

- تذكرى، لا توجهي أي طعنات للـ (أغوش) قبل أن تفصل غدتها

السامة.

كان واثقًا أن (ميرا) قد سمعته، وإن لم تتوقف لحظة للرد؛ متقلبة (ميرا) ما بين كبر وفير من غول لآخر، في رقصة قتالية لا مثيل لها، يتنزع (خاشيد) نفسه من فوق الأرض، ويرفع نظره من على رقصة الموت التي ترقصها (ميرا) متناولاً حقييته ليُخرج السوط المعدن المطلي بالفضة الذي صنعه (ساليك) له.

بطرف عينيه يلمح (ساليك) عائداً من الغابة وهو يصرخ:

- لا تدمي الـ(أغوش)، لا تستخدمى السيف.

يفكر (خاشيد):

- لا ضرر من تأكيد المعلومة.

لكن إن لم يكف (ساليك) عن الصراخ فإن (خاشيد) متأكد أن (ميرا) ستستدير لتفصل رأسه.

رفع (خاشيد) عقيرته قائلاً:

- هي تعرف ذلك بالفعل.. نحتاج أن نجذب الـ(أغوش) ناحية أقرب فخ نصبته.

يلتفت (ساليك) حوله في هلع محاولاً أن يتذكر الاتجاهات قبل أن يشير إلى ناحية اليمين داخل الغابة ليصرخ به (خاشيد) مرة أخرى:

- وأين الطعم؟

يهرع (ساليك) متقدماً ثم يتوقف فجأة صارخاً:

- لا أستطيع الوصول إليه لتكتل كل أولئك الغيلان.

ينقل (خاشيد) السوط المعدني ليساره متناولاً سيفه بيمينه منطلقاً
تجاه الموقع الذي أشار إليه (ساليك).

كانت الـ(أغوش) قد حددت (ميرا) كأكثر الأهداف خطورة،
فبدأت تتحرك بتؤدة ناحيتها متوقفة بين الحين والآخر لتطلق
بزقاتها الخضراء اللزجة السامة ناحية (ميرا).

لم تجد (ميرا) أي صعوبة في تفادي تلك البزقات، بينما تستمر في
توزيع طعنات وضربات عاجلة للغيلان من حولها.

طعن (خاشيد) غولاً وسحب يديه في سرعة بينما ينقض آخر على
يده، ليفرد سوطه الفضي ضارباً الغول الآخر، شاقاً جسده، مطلقاً
رائحة بشعة كادت تجبر (خاشيد) على إغلاق عينيه، ولكنه قاوم
متقدماً، وضارباً بسوطه مرة أخرى ليفصل مخلب غول عن جسده
كان يحاول الهجوم عليه.

يلف (ساليك) حول دائرة القتال محاولاً ألا يقترب كثيراً وقد
تجاهلته الغيلان تماماً؛ فخمن أن الغيلان ربما تركز على ما يظنونه
مشكلاً خطورة أكبر عليهم.

يصل (خاشيد) أخيراً للحقائب (ساليك)، ويخرج لفة قماشية كبيرة
سيئة الرائحة يرفعها عالياً سائلاً (ساليك):

- أتلك هي؟

لا يحتاج انتظار إجابة (ساليك)؛ فصوت يشبه الصراخ مختلطاً
بحشرجة يأتي من ناحية الـ(أغوش) التي تقرر أن تغير اتجاهها
بخطوات متسارعة إلى حيث يقف (خاشيد) مستمرة في بزقاتها
السامة.

يتقافز (ساليك) كالمجذوب مشيرًا إلى (خاشيد) موجهًا إياه إلى موقع أقرب فسخ قد نصبوه للـ (أغوش):

- من هنا.

يزرع (خاشيد) سيفه في عين أحد الغيلان، تاركًا إياه ليحمل لفافة الطعام في يده، وسوطه المعدني في اليد الأخرى، راحلاً إلى حيث وجهه (ساليك)، متفادياً الغيلان يميناً ويساراً، عازماً على ألا تلحق به الـ (أغوش) حتى يصل إلى مكان الفسخ.

كانت (ميرا) قد انتهت من كل الغيلان التي أحاطت بها، وبدأ ما تبقى في ملاحقة (خاشيد) تابعين الـ (أغوش).

تصرخ (ميرا):

- الـ (أغوش) خلفك.

يأتي صوت (خاشيد) بأنفاس لاهثة دون أن يلتفت:

- أعرف ذلك، حاولي تعطيلها.

ثم يتذكر شيئاً ليأتي صوته صارخاً ليشاركه (ساليك) في الصرخة ذاتها:

- لا توجهي لها أي طعنات.

تعيد (ميرا) سيفها لغمده وهي تقول في نفاذ صبر، بينما تركض في اتجاه الـ (أغوش):

- أعرف ذلك.

استخدمت (ميرا) رأس اثنين من الغيلان كي تتسلقهما رامية نفسها تلتحم بالـ (أغوش) من الخلف محيطة برقبة الـ (أغوش) وقدمها قد

انغلقت على وسط الـ(أغوش).

كان ملمس الـ(أغوش) لزجًا، وقد شعرت أن جسدها كجسد ثعبان زلق، ويخلو من كل العظام. لم تهتم (ميرا) كثيرًا للرائحة البشعة، ولا للشعر المتساقط من فوق جمجمة الـ(أغوش)، تمنّت لو أُتيح لها أن تُحطم تلك الجمجمة البشعة، ولكن كل ما تستطيع فعله هو أن تشل حركتها موجهة رأسها وبزقاتها السامة بعيدًا عن (خاشيد).

توقفت الـ(أغوش) بالفعل، واستطاعت (ميرا) أن توجه رأسها للأعلى فلا ترى إلى أين يتجه (خاشيد).

فما كان من الـ(أغوش) إلا أن توقفت ثم في حركة مفاجأة ارتمت على ظهرها لتشعر (ميرا) أن عظام جسدها تتحطم وقد سقطا فوق غول كان يتبع الـ(أغوش)، شعرت بحركته تحت جسدها يحاول أن يخرج من تحت ذلك الوزن المفاجئ الذي يهرس جسده.

لم تتوقع (ميرا) هي الأخرى ذلك الثقل من جسد الـ(أغوش)، برغم كتلتها الكبيرة. تكاد تكون متأكدة أنها حطمت ضلعين.

توجه بكوعها ضربة لرأس الغول المسجون تحتها لتنهى آلامه وحركته. تستمر في الضغط بأقصى طاقتها على وسط الـ(أغوش)، وإن كانت قدماها بفعل السقوط قد ارتفعت لأعلى قليلًا لتقرب من ثديي الـ(أغوش) المتهدلين.

تحاول بيدها الأخرى أن تمسك بقبضتها رأس الـ(أغوش)، ولكن أي شيء تقبض عليه يسقط من جسد تلك المخلوقة اللعينة.

تمسك الـ(أغوش) بكاحلي (ميرا) بقوة لم تتوقعها محاولة تحرير نفسها من تحكمها.

تُفلت (ميرا) رقبة الـ(أغوش) على الفور محاولة الإمساك بيديها، ولكن تستوعب (ميرا) مدى خطأ ما فعلته، فبمجرد أن تركت رقبتها حتى وجهت الـ(أغوش) بزقة عالية اضطرت معها (ميرا) أن تفلت ساقها دافعه الـ(أغوش) بعيداً عنها، متدحرجة بعيداً عن مكان سقوط السم.

يسقط السم فوق ثديي الـ(أغوش)، ولا يبدو أن له أي تأثير عليها، تكاد أن تقسم أنها رأت بسمه جذلة على وجه الـ(أغوش) وقد تحررت لتقف في ليونة غير متناسبة مع كتلتها أبداً، وتقرب من (ميرا) قبل أن تستطيع التحرك من مكانها، وتنزل بقدمها على صدر (ميرا) حيث ظنت من قبل أن ضلعيها قد كسرا، والآن هي تعلم أن ذلك حقيقة لا مفر منها.

يأتي صوت (خاشيد) جاذباً انتباه الـ(أغوش):

- تعالي أيتها اللعينة لدي ما تريدينه.

كان قد عاد من أجلها والتفت حوله مجموعة من الغيلان لا تهاجمه بل تنظر للـ(أغوش) وكأنهم في انتظار أمرٍ منها.

على الفور تتجاهل الـ(أغوش) (ميرا)، وتحرك مادة يدها تجاه الطعم الملفوف.

- نعم أيتها اللعينة تعالي إلى هنا.

يتحرك (خاشيد) للخلف وهو محاصر تماماً بالغيلان، وتقرب الـ(أغوش) أكثر فأكثر.

- اللعنة.. (ساليك).. أليس أي حلول؟

يقول (ساليك) بسرعة:

- يجب عليك إحضار الطعم إلى الفخ.

بمز (خاشيد) فوق أسنانه وهو يقول من بينها:

- أعرف ذلك أيها الأحق.

ومع اقتراب الـ (أغوش)، يتخذ (خاشيد) قرارًا لا مفر منه.

- إذن سأضحى بنفسي وبكاهنة نار، وبـ (ساليك) .. هو أحق يستحقها على أي حال .. لن تكون ميتة بهذا السوء .. إنه الحل الوحيد.

بفرد (خاشيد) سوطه، ويستعد لضرب الـ (أغوش) والسموم التي سوف تنطلق منها قاتلة للجميع، ولكن مع رفعه لسوطه تأتي (ميرا) من خلف الـ (أغوش) متجاهلة إياها ومنطلقة مباشرة لتصطاد ما في يد (خاشيد)، وتستمر في الركض ناحية الفخ.

يأتي صوت (ساليك):

- نعم .. نعم .. هناك .. انطلقني سوف يتبعونك.

وكما قال (ساليك)، تتبع الـ (أغوش) (ميرا) وخلفها ما تبقى من الغيلان، وبحسبة سريعة يجد (خاشيد) أنها ستة غيلان فقط. ضربة سوط .. خمسة غيلان.

يتبع (خاشيد) الـ (أغوش) وغيلانها في اتجاه الفخ.

تصل (ميرا) إلى الدائرة التي صنعها (ساليك) من الأغصان، لا يمكنها أن ترى آثار تقليب التربة الحديث حيث زرع فخه.

تمسك باللفة القماشية التي يبدو أنها قد تمزقت أثناء ركضها، وتضعها أمام الفخ.

شيء بارز يظهر من اللقافة تلمحه (ميرا) لعدة نبضات؛ كانت قطعة لحم، ولكن هناك وشم من ثلاثة خطوط متمايلة يقطعه رمز متموج يشبه حروف أهل ما خلف الوادي.. أين رأت ذلك الوشم من قبل؟ لكن لا يوجد وقت لتذكر؛ فالـ (أغوش) قد اقتربت.

تخرج سيفها مرة أخرى وتنطلق محاولة أن تسبق الغيلان قبل أن تدخل الدائرة سابقة للـ (أغوش) وينغلق عليها الفخ بدلاً منها. تلمح ثلاثة غيلان ويبدو أن هناك اثنان آخران خلف الـ (أغوش).

ما أن تبدأ في التلويح بسيفها حتى تشعر بالآلام المبرحة في صدرها. تتجاهل الألم محاولة جعل ضربات سيفها أقصر.

تحتاج الثلاثة غيلان إلى ست ضربات كي تسقط، في الوقت نفسه الذي يتولى فيه (خاشيد) الاثنين المتبقين.

حينها تبدأ الـ (أغوش) في الشعور بالخطر، فهي ليست حيواناً غيباً برغم كل شيء.

تلقي الـ (أغوش) بنظرة جائعة رغبة فيما تنائر من محتويات اللقافة بجانب أقدام (ميرا)، وعلى (خاشيد) و (ميرا) اللذين يشكلان خطراً أكثر مما قدرت.

هي لم تر (ساليك) الذي كان هناك مختبئاً خلف شجرة.

ينادي (خاشيد) على (ميرا) قائلاً:

- (ميرا) يجب أن تكوني بجواري الآن.

تفهم (ميرا) نية (خاشيد) لتوجيه جبهة ضغط تدفع الـ (أغوش) ناحية الفخ، لكن المشكلة أنه لا مجال للالتفاف حول الـ (أغوش).

في تلك المساحة الضيقة. تقترب (ميرا) بحرص بينما لا تتوانى الـ(أغوش) عن إطلاق البزقات التي لا تنتهي.

حين تقترب أكثر تنقض عليها الـ(أغوش) محاولة أن تمسكها، تنفادها (ميرا) في سرعة وتوجه لها ركلة بقدمها دافعة إياها وسط الدائرة، ولكن بدلاً من أن تسقط الـ(أغوش) في الفخ كما خططت؛ تسقط برأسها ليلتف الحبل حوله، وتنطلق تروس الفخ جاذبة إياها بقوة للأعلى. هنا فقط يأتي صوت (ساليك) وهو يركض ناحية الـ(أغوش):

- لا لا لن تتحمل رأسها الضغط سوف تنفصل رأسها.

يقف (خاشيد) و(ميرا) عاجزين عن فعل أي شيء حتى يصرخ (ساليك):

- ثبتا قدميهما.

يهرع كلاهما لتنفيذ ما طلبه (ساليك)؛ لم يكن الأمر سهلاً لوزن الـ(أغوش) الهائل والسائل السام الذي يسيل من فمهما ليصل إلى قدمهما.

رفع كل منهما قدما الـ(أغوش) محاولان دعم وزنها بينما شرع (ساليك) في تسلق جسدها، وربط تلك الغدة البارزة من بطنها، حيث مصدر تكوين سمومها.

كانت الغدة منفصلة كقربة جلدية عن بطن الـ(أغوش) المترهلة، بينما جانبيها كانا متصلين بالجسد كخرطومين.

في سرعة ربط (ساليك) كلا الجانبين، ثم أخرج خنجرًا ليفصل القربة عنهما لتزداد حركات الـ(أغوش) وصرخاتها المتحشجة التي

ازدادت حشجة جراء الحبل الملتف حول رقبتها ليسيل نهر من
الدماء السوداء يفشل (خاشيد) و(ميرا) من تفاديه.

- هل هذه الدماء سامة؟

يسأل (خاشيد) بقلب يكاد أن يتوقف، فيرد (ساليك) وقد تسلق
جسد الـ(أغوش) لأسفل متوجهًا ناحية الخيمة:

- لا، لا تقلق يمكنك أن تقتلها الآن.

يترك قدمي الـ(أغوش) ليبتعدا في انتظار انفصال رأسها عن جسدها.

تلتفت (ميرا) لـ(خاشيد) لتقول:

- حسنًا ذلك ليس ممتعًا، يبدو أن رأسها متصل جيدًا بجسدها.

يغمغم (خاشيد) وهو ينحني أرضًا متناولاً سوطه المعدني:

- لم يكن هناك حاجة إذن لدعم وزنها على ظهر عجوز مثلي، ولا أن
أغرق بتلك الدماء النجسة.

يقول كلماته الأخيرة وهو يفرد سوطه ويطلق له العنان ليلتف حول
رقبة الـ(أغوش) ويجذبه جذبة قوية لينفصل في الحال رأس الـ(أغوش)
عن جسدها الذي يسقط سقوطًا مدويًا برغم عدم ارتفاع المسافة،
وتتناثر المزيد من الدماء.

تبتعد (ميرا) في سرعة، ولكن بعد أن تلطخت تمامًا بالدماء.

- كان يمكنك أن تنبهني.

يسكت (خاشيد) للحظة قبل أن يقول:

- ربما كان ذلك منطقيًا، نعم أفهم ذلك الآن.

ينحني (خاشيد) متناولاً رأس الـ(أغوش) فجذب انتباهه شيء ملقى فوق الأرض فيقول:

- ألم نر ذلك الوشم في مكان ما من قبل؟

كان يتحدث عن الوشم نفسه المرسوم فوق أجزاء من اللحم الموجود في لفافة الطعام.

تقول (ميرا):

- كنت أفكر في الشيء ذاته و... بحق شياطين الصمت ذلك اللعين!

ينظر لها (خاشيد) ويقول:

- ماذا؟

- أين ذهب ذلك المأفون؟

تقول (ميرا)، فيفهم (خاشيد) أنها تعني (ساليك).

يجذب رأس الـ(أغوش) ويشير لها:

- ذهب في اتجاه المخيم.

تنطلق (ميرا) لاتباعها وهي تقول:

- سوف أقتله.. اللعنة على كل وعودي، سأقتله.

يسرع (خاشيد) الخطى لاحقاً بها، ما أن يصل إلى المخيم حتى يجد

(داليف) واقفاً شاهراً سيفه ليقول لهما:

- نشكر الضياء على سلامتكما، يبدو أنني عدت متأخراً.

تسأله (ميرا) متجاهلة لما قال:

- هل رأيت ذلك اللعين؟ (ساليك)؟

يهز (داليف) كتفيه وهو يعيد سيفه لغمده:

- لا، لا يوجد أحد هنا سوانا.

ترك كل (ميرا) جثة أحد الغيلان الملقاة أمامها وهي تقول:

- ذلك اللعين.. ذلك الوغد.. ذلك الحقير.. لقد قتل أحد الأطفال الذين يتبعونه في المذبغة ليستخدمه كطعم للـ (أغوش).



مع توسط الشمس للسماء اصطف جيش (غنتاق) غربي (زراد)،
لا يفصلهم عن أسوارها سوى غابة تقسم الطريق، الذي يقود
لـ(زراد)، وجبل (الأعصم) شمالي غرب المملكة.

الفيلق الأيمن كان يتكون من الفرسان في المقدمة، ومعهم مجموعة
من جنود الحراب، ومن خلفهم الرماحين، والفيلق الأيسر كان
أكثرية الرماحين، ومن أمامهم الفرسان والمشاة، بينما الفيلق
الأوسط والأخير كان مكوناً بأكمله من الفرسان بقيادة (غنتاق)
نفسه، ومن خلفهم كان هناك سرية تخفى عن العيون تقوم بتجهيز
العوارد في حال الوصول للأسوار.

جاءت الصفوف الأمامية من جيش الملاحين بأكملها مكونة من
جنود الحراب، ومن خلفهم الرماحين، ثم الفرسان. وفرقة صغيرة
جاء بخبرها جنود استطلاع (غنتاق) تمركزت فوق (الأعصم)
للتأمين ضد أي محاولات تسلل من رماحي (غنتاق).

جاءت شمس اليوم باردة تمائل برود (غنتاق) ورجاله، فقد اصطف الجيشان لساعات دون أن يبدي أيًا منهم نية للاشتباك. لم يكن لجيش الملاعين أن يتحرك خطوة للاشتباك وإن ظلوا ساكنين لسنوات. فقد كان موقعهم هو ما جاءوا اليوم للحفاظ عليه. يجب ألا يصل جيش (غنتاق) لأسوار (زراد).

حتى أتى الليل، ومع بزوغ ضوء القمرين تقدم (غنتاق) الصفوف رافعًا عقيرته بغناء مطلع نشيد قطاع الرحي الذي يعرفه كل مجرم عاش في الجبال هاربا «حلال لنا قد جاءت غنيمة، بدمائنا تكن رزقنا، لا يمنعنا عنه إلا من اشتاقت أعناقهم لنصال سيوفنا».

ارتفعت هامات قواد الجيش ممن تبعوا (غنتاق) منذ سنوات الضياع في (الرحى)،

فكم مر منذ أن أنشدوا ذلك النشيد.. لم يكمل (غنتاق) النشيد؛ بل توقف بفرسه أمام الجموع صائحًا بصوت جهوري:

- هنا والآن تكتب الأيام، لن تجرؤ روح في الممالك القديمة أن تنعت فردًا كمرتزق بعد اليوم. نحن نخوض حربًا نعيد بها لمن سلبت ديارهم الديار، حربًا مقدسة مباركة كجيش محرر وليس بغازي.

تكرر كلماته من بعيد على لسان الصائحين كصدى الصوت لتصل كلماته لكل أفراد الجيش

ومع وصول الكلمات لمؤخرة الجيش تأتي الصيحات كموجة من الخلف للأمام هاتفة باسم (غنتاق)، حينها يتوسط (غنتاق) كتيبته ويصرخ بكل جوارحه «هجوم».

ينطلق الفيلق الأوسط الذي يقوده (غنتاق) حينها وقد نفذ وعده

للفيدا بأن تُراق أول دماء لجيش العدو تحت ضوء القمر لتبارك
الكاتدرائية قدومهم كحرب تحرير مُقدسة، وقد صدقت الفيدا في
وعدها بأن كهنة النار لن يكونوا من ضمن المحاربين.

وجاءت الدماء كما الوعد مسفوكة تحت ضوء القمرين.. أول الدماء
يومها كانت دماء (سُكيت)، ولد بعد ثورة النور، ولم يتم عامه
الخامس عشر بعد، ولد وحيدا لإسكافي رَحَّال عجوز بـ(زراد).

سال الوباء من أبيه أول ما حل بميناء (زراد) منذ عام، وتبعته أم
(سُكيت) جراء محاولتها لتمريرض زوجها. لم يجد (سُكيت) وقتاً
للحزن؛ فكان عليه يوم خلاصهم بالنار أن يعمل لتسديد ثمن
كريستالات اللهب التي خُلصا بها.

لم يُسمع لرجائه أن يُنقلا لأبراج الصمت، أو حتى أن يُدفنا كمُدَنَسَيْن؛
فأبوه طوال حياته لم يدخل لبيتهم ما يكمل ثمن كريستالة لهب
واحدة، لكن ولأنهم ماتوا بالوباء؛ فلا خلاص إلا باللهب.

عمل حمالاً، وعمل صبيّاً لحداد، واكتشف «حيف» صاحب الحانة
بالصدفة أن الفتى عذب الصوت؛ فكان يتركه في بعض الليالي يسلي
السكرارى بالغناء، ولم يعرف (سُكيت) سوى التهويدات والأغاني
الحزينة التي سمعها من أمه؛ فكانت تأتي تلك الأغاني بصوته
لتلامس قلوب السكرارى ذارفين دموع حنين ومواجع، فيلقون
له بكريستالات فارغة؛ يدخرها كلها لدفع دين خلاص أبويه،
ويقتات من بواقي طعامهم في نهاية المساء، وربما سمح له (حيف)
في بعض الأحيان بالنوم في الحانة حتى الظهيرة.

لم يكن لـ(سُكيت) أحلام سوى الخلاص من دينه، وحين جاء خبر
الحرب مع وعد للمتطوعين بأربع كريستالات لهب مكافأة لم يفكر

كثيرًا.

كان في صف المتطوعين يفكر بأنه سيدفع دين والديه، ويحتفظ بكريستالة لخلاصه حين تأتيه شياطين الصمت، وساعتها داعب قلبه حلمًا واحدًا؛ أن يذهب بعد الحرب لحانة (حيف) ويطلب منه وجبة كاملة دسمة له وحده، وربما بعض الدخن، لأنه سيصير رجلًا بعد خوضه حربًا.

ألبسوه درعًا ورموا له برمح، وقالوا اليوم نقف من أجل الشرف، ولن نكون ملاعينًا بعد اليوم؛ لتعالى صيحته مع الصيحات، غير عالم لم وصم ملعونًا من الأساس، ولا يعرف الآن من يحارب ولماذا سيتزع عنه الوصم بعدها.

ولأنه بلا خبرة في الحرب والقتال فقد ضُم مع أقرانه من المستجدين الأقل خبرة بالصفوف الأمامية صانعين دروعًا بشرية للرماة من خلفهم.

ولأن (سُكيت) الصغير لم تحمل ذراعه النحيلتان من سوء التغذية رفع الدرع طوال اليوم حين جاءت أول الرماح كان هدفًا سائبًا، ونالت شياطين الصمت أولى حصادها.

قتل (سكيت) وهو ما يزال ملعونًا، وحلمه وجبة ساخنة وتسديد دين الخلاص.

لن تتلى الأناشيد بذكرى (سُكيت)، وآخر ذكراه ستكون سكيرًا في الحانة يسأل (حيف) ألم يكن هناك طفل عذب الصوت يشدو في السهرات؟.. أين ذهب؟

وسياتي الرد من (حيف) بهزة كتف والتواء شفاه أنه «لا يعرف»؛

ليكمل السائل دُخْنه وتذوب الذكرى لاحقة بصاحبها في الصمت الأبدى.

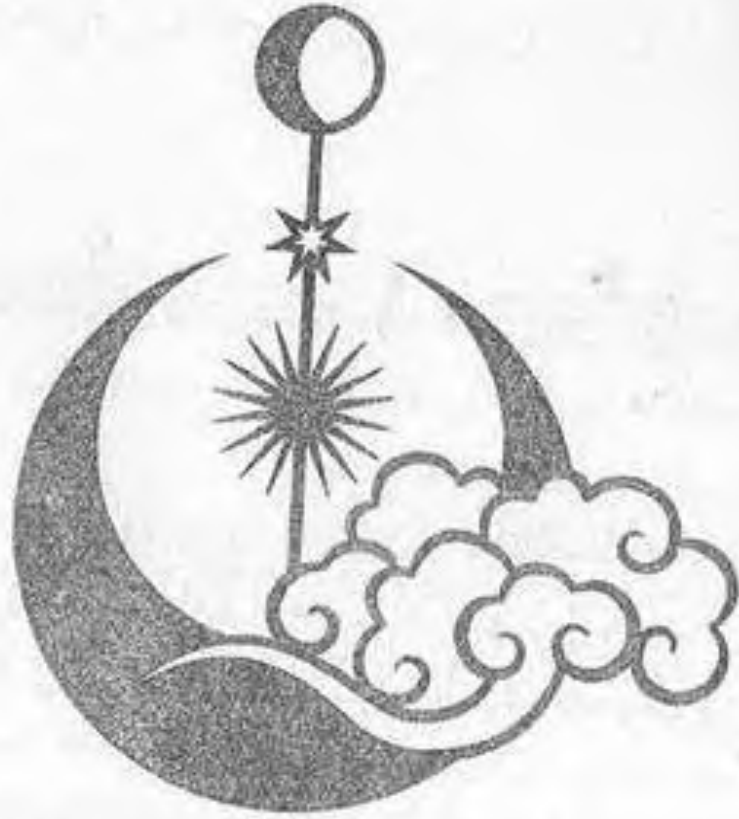
جاء هجوم (غنتاق) في قلب جيش الملاحين ضاريًا، سريعًا. كان فرسانه متمرسين، لم تغلف مهاراتهم الصدا، حتى وإن كان قتالهم يفتقر إلى تميز ومرونة الجيش النظامي المعتاد؛ ولكنهم عوضوا ذلك بالقسوة، التي اعتادوا التعامل بها في (صحراء الرحي)، منذ بداية المعركة؛ كان جليًا اقتتار جيش الملاحين للقيادة السليمة، وإن حافظ الفيلق الأيمن والأيسر على مواقعهما دون أن ينجذبوا للدفاع عن قلب الجيش ويفقدوا مواقعهم.

استمر التخيبط حتى لحظات الفجر الأولى؛ حيث قرر (غنتاق) أنه اكتفى بافتتاحية المعركة، وقد حقق خسائر عظيمة في صفوف جيش الملاحين، بينما احتفظ بأغلب الفيلق الذي يقوده دون خسائر تذكر. كان آخر دم يراق في اليوم الأول للحرب ينحس كهلاً في أوائل العقد الخامس من جيش (غنتاق) يدعى (دقيم)، مُصارع ساحات من (المطباء) كان يرجو أن توفر له غنائم الحرب ما يغنيه عن مصارعته في الساحات.

تقدم في السن، ولم يعد يجذب المشاهدين ولا حتى الخصوم، لم يتزوج أبدًا؛ فمنذ الصغر انشغل بتتبع مصادر الرزق.

لم يؤنسه إلا كلب أجرب يتبعه في كل الساحات، رآه يومًا يراقب مصارعته من فرجة بين المشاهدين، وبعد خسارته ألقى للكلب برغيف كان يقدره عشاءه، لكنه فقد شهيته مع الخسارات المتكررة.

تبعه الكلب، وفي مصارعته التالية حين اشتبك مع خصمه انطلق الكلب ملسوعًا ليدافع عن (دقيم) وعقر الخصم في مؤخرته وسط



الفصل السابع



مع اقتراب (ميرا) و(جيرد) من زنزانة الملك طلبت من (جيرد) أن يتوقف عن تسنيدها، لم ترغب أن يظهر إنهاكها في حضرة الملك و(الآركون)، كما أن حال (خاشيد) الذي يتبعهم في صمت كانت أكثر سوءًا.

وصل صوت (الآركون) إليهم حتى قبل أن يروه واقفاً أمام الملك معلناً :

- هذا لن يحدث أبداً.

جاء صوت الملك الرخيم قائلاً:

- أنت تحكم على (زراد) بالهلاك.

- أنا لا أحكم بأي شيء، أنت الملك حاكم (زراد)، أنت من أرسلت أكثر من نصف قواتك خارج الأسوار لملاقاة النبلاء، بينما توقن أني لن أرسل بكاهن واحد خارج أسوار (زراد)؛ فمهما عظم جيشهم لن يخترقوا أسوارنا.

- خرجت تلك القوات لتحمي المزارعين وأهل (زراد) ممن يقطنون خارج الأسوار، احتاجوا وقتًا ليعدوا العدة، ويحملوا ما أمكنهم من العزال والغلال لداخل الأسوار.

- كان بإمكانهم ترك كل ذلك ودخول (زراد) من فورهم، لن يخرج...

فاطعه الملك غاضبًا:

- الغلال التي دخلت (زراد) ستحمينا من مجاعة لو طال الحصار، نصف موانينا مغلقة جراء الوباء، والقرار جاء مشورة بيني وبين الكتبة وليس قرارًا فرديًا نكايه في خصم.

يرد (الأركون) سريعًا وقد فهم ما أبطنه الملك من اتهام بصوت أقرب للصراخ، محاولاً أن يماثل صوت الملك الجمهوري:

- من تظن نفسك ليترأى لك أني في خصومة معك؟! .. كنت عبدًا وصرت سجينًا، والجيش الذي ترغب في إنقاذهم؛ هم ذات من وصمتهم ملاعينًا، وتحكمهم كرهائن، كهنة النار يقفون بعيدًا، ويرفعون عن كل ذلك. لسنا حراسًا لـ(زراد)، ولا مرتزقتك لتتحرك بإمرتك.

جاء صوت الملك مزلزلاً لكيان كل الحاضرين:

- أنا ملك (زراد)، ولم أكن يومًا عبدًا لأحد. كان بيننا وبينكم ميثاق. ولم تكونوا لنا أسيادًا.. وتلك الأغلال...

يقولها وهو يلف واحدة من السلسلتين الحديديتين اللتين يمتدان من أغلاله لحائط الزنزانة:

- ليست لي قيود، بل أتركها حفاظًا على شرف (الأبناس) إيفاء

بميثاق الظلم...

يجذب الملك السلسلة بقوة مع كلماته لينهدم جزء الحائط الذي رُبِطَتْ فيه السلسلتين.

- وأولئك الملاعين خرجوا دفاعًا عن (زراد)، يستحقون أن يهبوا الكهنة دفاعًا عنهم، بعدما صارت وطنًا لكم، ولكريستالانكم المقدسة، تحصدونها من أرضهم. لقد رُفِع عنهم الوصم وقد هُتِبوا أخيرًا في وجه النبلاء.. لعنة كل الأقيمار تحل على من يتركهم لمذبحها جديدة.

للحظة ووسط الغبار المتناثر في أرجاء المحبس من الهدم شعرت (ميرا) وكأن عيني الملك وكلماته كانت لها وليست للـ(أركون). كان (الأركون) قد تراجع خطوتين من الصدمة؛ لكنه سريعًا ما استعاد وقفته المتكبرة موجهًا أمرًا لكاهني النار اللذين يصحبانه - أعيدًا ربطه بالأصفاد على الفور.

ظهرت راحة لم تسمعها (ميرا) يومًا في صوت (الأركون)، أنكرتها أذناها.

تردد الكاهنان للحظة لتلتقي عيونهما ويتبدد الشك في القلوب؛ عليهما تنفيذ الأوامر.

مع أول خطواتهما كان الملك يلف السلسلة الأخرى حول ذراعه الذي لم يتحرر، مُشيرًا بإصبعه الضخم ناحية الكاهنين محذرًا:

- هل أخبركما (الأركون) يوما كم من حراس النبلاء التهمت أكبادهم أحياء قبل أن أنزل بنفسي لتلك الزنزانة واضعًا أغلال ليأتي بعدها (الأركون) مصطحبًا آبائكم معلنا أني سجنه؟

موقف الكاهنان ناقلين بصريهما صوب (الأركون)، وعيونهما تتساءل إن كان حقاً يرغب في أن يلقي بهم لتلك الهاوية.

تلقت (الأركون) من حوله لتلتقي عيناه بعيني (ميرا) ليسقط ليلها من شبح البسمة التي رأتها على وجهه حين رآها:
- (ميرا) أعيدي الأغلال ليد السجين.

بلي ذلك الصمت؛ وكأن الأنفاس صارت محرمة في انتظار ردها، (ميرا) لم ترد، حررت ذراعها من يد (جيرد) الذي كان يسندها خفية، وتحركت في اتجاه الملك، يتبعها (خاشيد) في صمت، مع اقتراب (ميرا) من الملك ينخفض الملك يديه ويوجه كامل انتباهه لها.

لم تكن خطوات (ميرا) متزنة تكاد، تتعثر فيمسك (خاشيد) بذراعها محافظاً على توازنها.

تقرب (ميرا) أكثر من الملك؛ لتمسك يديه، وتنحني لتلمسها، ثم تركع أمامه:

- (ميرا) كاهنة النار تُلبّي نداء ملك (زراد).

من خلفها يحاول (خاشيد) الركوع لكن الحقيبة الجلدية تعوقه فيلقي بها ليد أقرب الواقفين،

وحدث أن أقرب الواقفين كان أحد الكاهنين المصاحبين للـ (أركون)، الذي يتلقف الحقيبة بذهول دون ردة فعل.

ثم يركع (خاشيد) خلف (ميرا):

- (خاشيد) قائد جيش الـ (داز) الخامس يُلبّي نداء ملك (زراد).

من خلفها يأتي (داليف) من أحد جوانب الزنزانة ليركع بجانب (خاشيد) ملبئاً، ومن خلفهم يأتي (جيرد).

في تلك اللحظة كان الفضول قد تملك الكاهن حامل الحقيبة ليلقي نظرة على فحوى تلك الحقيبة الثقيلة نظرة سريعة تجعله يتفلسف ملقياً بها أرضاً لتخرج منها رأس الـ (أغوش) متدحرجة حتى تصل لقدم (الآركون) الذي ينظر لها ثم للملك ثم لـ (ميرا).

بإصبعه وبصوت يرتعش من الغضب تلك المرة يقول:

- خُلع عنكم رداء الكهنوت، وصارت النار لجلودكم حارقة ككل المنكرين.

ويخرج من فوره ليتبعه واحد من الكاهنين، بينما يلتفت الآخر للملك ويركع أمامه.



استمر رفض الطبيب للطعام الذي يقدمه له سَجَانُوهُ لِيَوْمَيْن، قبل أن يرضخ أخيراً لاحتياجات جسده؛ فإن جسده في النهاية ما يزال يُشفي من آثار الحمى، ويبدو أنه مع انجلاء الحمى اختفت هلاوسه والأصوات التي صاحبته، وهو شاكر لذلك برغم وضعه الحالي.

كان موضوعاً في خيمة مهترئة، كان سجين خيمة مهترئة، أرضيتها الرمال، لا يمكنه حتى أن يقف منتصباً بها.

يخرجونه منها مرة كل يوم ليقضي حاجته ثم يعيدونه لمحبسه، وفي رحلته اليومية الوحيدة تلك كان يملي عينيه جيداً من مختطفيه الذين لم يحاولوا إخفاء هويتهم بأي طريقة.. هم من أهل خلف الوادي، ولكن من الأقمشة المتماثلة التي تلتف حول أجسادهم والصلوات التي لا ينفكوا عن تلاوتها قدّر أنهم طائفة دينية مجذوبة.

في اليوم السادس أخرجوه للقاء من يبدو أنه كبيرهم. اثنان منهم عقدوا يديه خلف ظهره وقاداه إليه.

طال وقوفه بين يدي كبيرهم دون أن يتحدث، ظلوا كلهم في حالة ثبات يحدجونه بالنظرات حتى كسر الطيب الصمت قائلاً:

- ماذا الآن؟ أنتم لا تدركون حتى من أنا، وتواجهدي هنا خطأ كبير.

جاء رد كبيرهم:

- نحن ندرك جيداً من أنت. خادمٌ للشيطان، أتيت مُحمد المجد، ولكنه تأجج، وسيقتصر على من طغى.

ضرب مرافقوه على صدورهم وصاحوا:

- من أجل المجد.

حائراً قال الطيب:

- لست خادماً لأي شيطان، أنا طيب أتيت من الممالك الجديدة محاولاً درء وباء يقتل أبناءكم.

يدفع كبيرهم بيده في صدر الطيب بقوة، ولا ينقذه من السقوط إلا واحد ممن أحضراه وقد تلقفه مثبّثاً إياه.

يتحرك كبيرهم بينما يدفعه من تلقفه ليتبعه حتى يصلوا الساحة لم يمر بها من قبل في المخيم.

امتلات الساحة عن آخرها برجال ونساء عراة الصدر جالسين القرفصاء، وخلف كل واحد منهم جلس واحد من طائفة المخابيل بتلك الأقمشة الملتفة حول أجسادهم.

كان الجالسون ينقشون وشماً على الظهر والأعناق وهم يتمتمون بكلمات لا تصل لأبعد من أذن الجالسين المستسلمين لو خزات الإبر المتتالية بين يديهم.

ينحني كبيرهم ليتناول إناء الحبر الذي يستخدمه الواشمون، ويقربه من وجه الطبيب قائلاً:

- إليك ما تبحث عنه.

ما يزال الطبيب غارقاً في عدم الفهم. يحل من يقف خلفه قيوده، ويدفع بذراع الطبيب في إشارة أن يتناول الإناء من كبيرهم.

بيد غير ثابتة جراء آلام القيد يتناول الطبيب الإناء الذي تنبعث منه رائحة حريفة لا تشبه رائحة أي أحبار أو ألوان شمها من قبل.

يقول كبيرهم بصوت أقرب للفحيح منه للحديث:

- من أنت لتقف أمام مشيئة الصمت؟ من تدعوهم شياطين هم ملائكة الخلاص، ما تلعنونه من ألم هو تطهير لأرواحنا من كل صخب دنسها، وما تقول عليه وباء هو رسالة مقدسة يحملها رسلنا لأرضكم الملعونة...

يعلو صوته جاذباً انتباه كل من حولهم:

- كلنا أنبياء هنا، نحمل مجد الصمت، ونذهب به حيث عرفت الآلهة القديمة الصمت. ندعوكم إليه ونذيقكم من مجده.

تعالى الصيحات من خلفه: «من أجل المجد... من أجل المجد».

ومع تعالي الصيحات يُبصر الطبيب الوشم عن قرب فوق ظهر واحد ممن انتهى وشمه، ذات الوشم الذي ظنه جزءاً من تقاليد

أهل ما خلف الوادي لم يكن مجرد وشم؛ بل كان علامة الوباء، يصيبونهم بالوباء عامدين، وما يحمله في يده الآن هو مصدر الوباء، يقترب من وجهه كبيرهم حتى تصل لأنف (سيفاد) رائحة أنفاسه العطنة وهو يقول:

- فشلنا في الوصول إلى شيطانكم الأسود، وقد حصن نفسه خوفًا من مجد الصمت في سجن (زراد)، ولكننا اليوم - وكما العهد والوعد - جاء لنا خادمه ومنكر رسالتنا؛ لنصنع منه نبيًا للصمت. وقبل أن يدرك (سيفاد) الذي يحدث شعر بالوخزات في جسده، والصيحات تتعالى مرة أخرى: «من أجل المجد».



طفق جيش (غتاق) يدك صفوف الملاعين الأمامية بلا هوادة، كان الجناح الأيسر من جيش الملاعين قد تحرك ليحيط بقلب جيش (غتاق) الذي يهاجمهم بضراوة، والذي انضم إليه جناحه الأيسر في مهاجمة صفوف الملاعين معتمدًا على تقدم الجناح الأيسر من جيش الملاعين في الوقت نفسه؛ صانعين حصارًا ينغلق على قوات (غتاق).

لكن مع ضراوة الضربات وهزال قوات الوسط في جيش الملاعين؛ حرك قائد الجناح الأيمن قواته لتحل محل الوسط درءًا لثغرة من الممكن أن توصل (غتاق) مباشرة لأبواب (زراد) معتمدًا على القوات المرتكزة فوق الأعصم أن تحل محل الجناح الأيمن، ولكن ذلك ترك جناح جيش الملاعين الأيسر في الحصار ذاته الذي كان يحاول تنفيذه مع جيش (غتاق)؛ فقد تقدم جناح جيش المرتكزة الأيمن من فوره ليحاصر الملاعين، ومن خلفهم كانت الإمدادات الثقيلة تستعد.. فبشارات النصر قد لاحت، واليوم يصير على أسوار (زراد).

كان قائد القوات المتمركزة فوق الأعصم يمر بأحلك لحظاته؛ فمن موقعه حيث كان يراقب المعركة أمكنه رؤية الهزيمة الآتية على عجالة، ورأى أيضاً المرسال الذي بعثه قائد الجناح الأيمن - الذي صار قائداً بديلاً بعد سقوط قائد الوسط - طالباً للدعم من (زراد).

لن يأتي الدعم.. لن يتركوا (زراد) من دون جيش لإنقاذ ما تبقى من القوات. الدعم الوحيد الذي يمكنه الحصول عليه ستكون قواته لو نزل بها من فوق الجبل، وهو ما سيُشكل خطأ فادحاً بترك ذلك الموقع قبل عودة من يمكنهم العودة لداخل الأسوار. خفض منظاره وراقب الوغى بعين ثابتة إن رأت فهي لا تعي، وهو يفكر أنه حتى لو قسّم قواته وانضم للقتال بتشكيلة ما، فسيضعف المتمركزين هنا بشكل يجعلهم بلا فائدة.

بقلب يدمي يتلو صلوات لرفاق سقطوا، ويسقطون دون أن يحرك ساكنة للدفاع عنهم، ربما تسمعه آلهة القمر أو النار، ويأتون لرفاقه بطوق نجاة من برائن الصمت.

- سيدي القائد، انظر إلى الجبهة.

يرفع منظاره سريعاً استجابة لصوت مقدمه الملتاع، لا يجد أي اختلاف؛ ما زالت مؤخرة جيش (غتناق) تتقدم بأسلحتها الثقيلة، و(غتناق) ورجاله يضربون الأعناق شاقين طريقهم إلى (زراد). يشعر القائد بيد تجذبه.

- لا يا سيدي مؤخرة الجيش.

عندها يرى ما الذي يتحدث عنه المُقدّم. لواء يشق طريقه من

خلف صفوف الملاعين.

- إذن فقد أرسلوا الدعم!

ولكن ذلك العدد لن يصنع فارقاً؛ خصوصاً وهم ما يزالون في المتصف، حيث يكسب (غتناق) أرضاً كل لحظة؛ إنهم فقط سوف يؤخرون المحتوم.

يتبته قليلاً إلى أن اللواء المتقدم يحمل علمين، لكنهما ليسا علماً (زراد).

أول الأعلام يحتاج بعض الوقت ليتذكر أين رآه، فهو بالتأكيد قد رآه من قبل... لم يره فقط بل حمله، ووضعته على صدره منذ سنوات، كان وقتها جندياً وليس قائداً، لم يكن ساعتها ملعوناً... علم أهل الـ(داز) يرفرف عاليًا في يد فارس يقود اللواء.

لم يفهم ما الذي يعنيه ذلك، ولكنه شعر بقلبه يخفق بقوة وإن كان لم يستوعب اللواء المرفوع الثاني، فقد كان عموداً معدنيًا، «ما الذي يلتف حوله بالضبط؟ أتلك أغلال؟».



انطلق (خاشيد) بفرسه حاملاً لواء الداز، لا يتوقف للحظة شاعراً
بكل جروحه قد التأمّت وفي يده علم قومه.

اليوم ينطلق ليس فقط مقاتلاً ومحارباً، بل ومحرباً لأهله من وصمة
الملاعين.

رأى الاندهاش في عيون بعض الجنود الصغار. ورأى الدموع
والصيححات من حناجر من وعوا على علم الداز، من عرفوا أنهم
ليسوا حقاً ملاعين.

جرحى على الأرض يتصبون عند رؤية العلم، ليكملوا القتال
صارخين «نحن أبناء الداز».

وصول لوائه مع من يقودهم لمقدمة الصفوف صنع هدنة وقتية
ينتظر فيها المرتزقة أوامر قوادهم.

هدنة وإن استمرت للحظات قليلة كانت هي كل ما يحتاجه ليطلق
بأوامره.

- تنتهي معركتنا اليوم يا رجال. ابدأوا تشكيلات الانسحاب.

لم يتناقل قواد الفرق الأوامر من فورهم لعلمهم أن في ذلك مذبحه
أكيدة لو أعطوا ظهورهم للعدو.

صرخ صوت أنثوي قوي بجانبه: سنريض هنا موفرين لكم الحماية.

قالتها (ميرا) وهي ترفع العلم الثاني المعدني عاليًا. كان عمودًا
معدنيًا حوله تلتف أغلال الملك السجين.

تخرج كريستالة لهب وتحطمها فوق الأغلال لتبدأ الأغلال والعمود
في الضي بجنون.

تصرخ (ميرا): باسم الملك.. باسم النار.. باسم (زراد).. هجوم.

ومعها ينشطر من اللواء خمسون ممن تبعوا (خاشيد)، يسدلون عن
أكتافهم الأردية القماشية ليظهر تحتها رداء كهنة النار الحربي.

لا يمكن وصف ما حدث بعد ذلك بهجوم؛ بل كان انفجارًا.

خمسون من كهنة النار تقودهم (ميرا) انطلقوا ضاربين في قلب
العدو مباشرة، لا تخيب ضرباتهم أبدًا.

وبعد أن صنعوا مسافة كافية بينهم وبين صفوف جيش الداز
فاضين اشتباك الصفوف الأمامية ساحين لـ (خاشيد) بقيادة القوات
والعودة بهم إلى (زراد) ترجل الكهنة من على خيلهم ليقفوا صفًا

واحداً جاهزين لصنع تشكيلاتهم القتالية التي لا تماثل أي شيء رأه المرتزقة من قبل فكان كل ثلاثة كهنة يشكلون وحدة قتالية قائمة بذاتها.

باشراً المرتزقة في إلقاء الأسلحة من فورهم والركض ليتلقفهم الجناح الأيسر من جيش الداز الذي ما يزال يحاول شق طريقه للانسحاب صانعاً مجداً صغيراً للجنود الذين كادوا يبادون عن آخرهم.

جاء صوت (ميرا) هادئاً واثقاً دون أن يبدو فيه أي أثر للإجهاد للكهنة: لا نحتاج لأسرى اليوم.
ثم جاء الانفجار الثاني.

في تشكيلاتهم الثلاثية انطلق الكهنة يضربون بسيوفهم في نقاط محددة في مقتل.

متقدم التشكيلة يستهدف دائماً بتر القدم، ليأتي الثاني شاطراً الجسد لنصفين عرضياً، ومن خلفهم الثالث إن خابت أي ضربات.
ولم يحتاج ثالث أبداً في التشكيلة لأن يراقب الأطراف المتطايرة فكل الضربات تأتي في مقتل.

تتقدم (ميرا) بتؤدة من خلفهم لتزرع لواءها الذي لا يزال مشتعلًا في منتصف الأرض وتُخرج سيفها وكريستالة هب وتصرخ عاليًا: آتوني بـ(غنتاق)....



- شيء واحد عاهدتني عليه؛ لن يتدخل كهنة النار.. ذلك الشيء الوحيد الذي سألتك عنه مرارًا وتكرارًا.

كان (غتاق) متمركزًا مع حرسه في منطقة وسطى خلف الصفوف الأمامية بجانب الأسلحة الثقيلة بعد أن تحركت استعدادًا للنصر الذي يبدو أنه خُطِف من أيديهم.

قالت الفيدا بغضب: لا، لا يمكن أن ينضم كهنة النار لتلك الحرب، أنا متأكدة لن ينضموا.

- هل فقدت عقلك الآن أم ماذا؟

يقولها وهو يدفع بمنظاره ليدها: ما الذي تريئه الآن؟.. لا يفصل بيننا وبينهم إلا صفوف الجنود الذين سوف يُقضى عليهم قريبًا.

يأتي صوت (أروين) مترددًا: يمكنك أن ترى بوضوح تشكيلات الانسحاب.

- لورد نيزاد، هل صرت خبيرًا في فنون الحرب الآن!

تدخل الفيدا قائلة: (أروين) معه حق، يمكنك أن ترى أنهم ينسحبون.

- بالطبع ينسحبون؛ فلا حاجة لهم بالتواجد وكهنة النار يبيدوننا، ربما ينتظرون تراجعهم تمامًا ليحرقوا الأرض من تحتنا بكريستالاتهم اللعينة.

- تمالك أعصابك يا قائد (غتناق)، أولئك أقل من مئة كاهن، ربما تشتت الصفوف هو ما يكسبهم أرضًا الآن وليس عددهم.

- وهل تتوقعين من الرجال أن يقفوا أمام كهنة النار دون أن يبللوا سراويلهم؟ أنا لم أهيئ رجالي لقتال مثل هذا، أنا أحتاج وقتًا لإعادة ترتيب الصفوف.

تُنزل الفيدا المنظار وتقول له: تحتاج وقتًا؟.. سأعطيك وقتًا.

ودون كلمة أخرى تنطلق الفيدا مخترقة الصفوف الأمامية.



تقف (ميرا) ومن حولها دائرة قد شكلها الكهنة في صلاة للنار، انفضت الصفوف وأمن الكهنة مسارًا للجناح الأيسر ليتسنى له العودة إلى (زراد). ما أن يتأكدوا من إجلاء كل رجال جيش الداز وجرحاهم حتى يتبعونهم، فلن تستمر صدمة جيش المرتزقة سريعًا من هجوم كهنة النار، وخمسون كاهن للنار لن يكونوا بقوة لواء واحد منظم من الجيش.

ما تزال رابطة بجانب لواء الملك في انتظار (غنتاق) أن يأتي مبارزًا أو أن تؤمّن عودة كل الجنود.

بعد ساعات من الانتظار تنشق صفوف المرتزقة؛ لكن القادم لم يكن (غنتاق).

تنشق الصفوف عن عربة حربية تقودها الفيدا (هينادا).

لم تعرف (ميرا) من تلك المرأة، ولكن من لون عينيها وردائها الحربي عرفت أنها واحدة من النبلاء.

لم تكن عربتها الحربية تحمل أي أسلحة سوى صندوق خشبي كبير يشبه تابوتا.

تترجل الفيدا من عربتها متقدمة حاملة علم النبلاء في يد لتقترب من (ميرا) وحين تصير على بعد خطوتين تغرس علمها أرضاً أمام لواء الملك.

- جئت ألبى دعوتك.

- دعوت (غتناق)، وأنا شبه متأكدة أنك لست بـ(غتناق).

تحاول الفيدا رسم بسمه صفراء على وجهها وهي تقول مصطنعة الثقة: لا، ولكنني أنا من حركت (غتناق)، أنا قائدة ذلك الجيش، جئت أسترد حق مولدي محررة أهل (زراد) من الشيطان الأسود.

- لا يوجد شياطين في (زراد)، يوجد ملك عادل، وأقف الآن باسمه، أريد (غتناق) أو رأسه، أو نبيد جيشكم عن آخره.

تنظر الفيدا من حولها مصطنعة عدم الاهتزاز وآملة ألا تتبه (ميرا) إلى رعدة يديها: أشك كثيراً أن مئة أو أقل من كهنة النار سيتمكنون من إبادة جيشي، وأستغرب أنك أنت من هنا تتحدثين معي وليس (الآركون)، فنحن لسنا في عدااء مع كهنة النار. عداؤنا مع شيطان أنتم سجانوه.

- أخبرتك من قبل لا شياطين في (زراد)، ولا عودة للطغاة.

- حسناً تريدین من ذلك الجيش أن يرحل؟ اقتلي قائد الجيش وسيرحل.

- سأسعد بذلك، أين (غتناق) إذن لننهي ذلك الأمر.

- يا فتاة يبدو أنك بطيئة الفهم، أنا وحدي أقود وأمول ذلك الجيش. (غنتاق) تابع لي، ألا تصدقيني؟

تنظر (ميرا) من حولها وترى أن جنود الداز يتلكؤون في الحركة متأملين حديثها مع النبيلة و صفوف المرتزقة قد بدأت في الالتئام مرة أخرى، وتكمل الصفوف.

تشير للكهنة بطرف خفي بالإسراع وترد على الفيدا قائلة: بالعكس كنت متأكدة من ذلك، ف (غنتاق) ليس بأحمق ليقوم بذلك، فقط الجشع والكثير منه يحركه لمثل هذا.

- والآن ما قرارك؟ بارزيني واقتليني وينسحب الجيش.

تنظر لها (ميرا) محاولة أن تفهم إن كانت مخبولة أم هناك شيء ما تخفيه.

- حسناً، إن اشتقت للصمت أتيتك به. أين سلاحك؟

تفرد فيدا كلتا يديها قائلة: لا سلاح، ضربة في القلب ستفي بالغرض، أم لديك ميثاق شرف ألا تقتلي العزل؟

ترفع (ميرا) سيفها في وضعية قتالية لا تستخف بخصمها فيها وهي تقول: أعزل بحماقته وأمواله تسبب في قتل الآلاف؟ .. لا.. أعتقد أنني بخير، لن أمانع في قتل أعزل مثل هذا.

نظرة غضب مشتعلة في عيني (ميرا) أرسلت بالرجفة في أوصال الفيدا.

كان جسد الفيدا كله يرتجف الآن، فلم تكن واثقة أن ذات اللعبة الخطرة سوف تنجح مرتين.

انقضت (ميرا) بسيفها، منطلقة في اتجاه قلب الفيدا.

ذلك الصوت... جاء يشق الهواء غير مدركٍ ليدها بشبر أو أقل، انخلع السيف من يد (ميرا)، لتلتفت حولها في سرعة مستعدة لمواجهة غريمها.. حينها رآته.

خارجًا من الصندوق الخشبي، في درع معدني وعرفته ما أن رآته، فلا يمكن أن يكون أي شيء آخر إلا نبيلًا حديدًا.

انطلقت (ميرا) ملقية بجسدها بعيدًا تحسبًا لأي مقذوفات أخرى تلقى باتجاهها، وقبل أن تتمالك توازنها كان النبيل الحديدي قادم من أجلها، ساحبًا من فوق الأرض سيفه الذي انغرس حين ألقاه عليها دون أن يبطئه ذلك للحظة.

من فورها انطلقت (ميرا) قاصدة الاشتباك معه من غير سلاح، وقف (جيرد) وسط الكهنة صارخًا فيهم: ذلك نبيل حديدي، أمنوا خروج الجنود، لا تشتبكوا.

ثم أخرج سيفه ولم يحتاج أن يتأكد أن (داليف) قد انضم إليه مهرعين باتجاه النبيل.

جاءت ضربة النبيل الحديدي قاطعة للهواء من فوق رأس (ميرا) التي غطست أرضًا لتفاداه ومُطلقة بقبضتها في أحشائه.

لم تتوقع (ميرا) أن يكون درع النبيل بتلك القوة التي كادت تهشم عظام يدها، وأعادت أيضًا آلام ضلوعها التي أكد الطبيب أنها مشروخة فقط وليست مكسورة من معركتها مع الـ(أغوش)، ولكن ضربتها جاءت من القوة أن أخلت بتوازنه قليلًا.

يستعيد توازنه في سرعة ويتقدم رافعًا سيفه ناويًا شج رأس (ميرا)

لولا سيف (جيرد) الذي أتى ضارباً سيفه و(داليف) موجهًا ضربته لقدم النبيل متوقعًا بترها.

يعلو طنينٌ يصم الأذان مع التقاء سيوف الكهنة بدرع النبيل الحديدي بينما تنطلق (ميرا) في سرعة في اتجاه سيفها الملقى على الأرض وبطرف عينيها ترى الفيدا تهرول ناحية عربتها بينما النبيل يلتفت لمواجهة خصميه.

في سرعة ينقل (داليف) سيفه ليده اليسرى مخرجًا بيمنه كريستالة لهب لت هشيمها على نصل سيفه، ولكن قبل أن يتمكن من ذلك يجد أن يد النبيل الحديدي قد انغلقت على يده مهشمة الكريستالة في قبضته ويزداد الضغط بقوة غير بشرية محطمة عظام يد (داليف).

تأتي ضربات (جيرد) سريعة وقد تمكن من تهشيم كريستالة لهب على نصل سيفه، في رقبة النبيل راجيًا أن تكون نقطة ضعف لدرعه، ولكن وحتى مع قوة ضربته فإن كل ما استطاع فعله هو أن انغرس سيفه في كتف النبيل، لتجيء لكمة بظهر يد النبيل المسكة بالسيف لتلقي به بعيدًا.

تنقض (ميرا) بسيفها الملتهب لتسد ضربته لذات الكتف المغروس فيه سيف (جيرد) لينفصل جزء من درع النبيل ويقع معه سيف (جيرد).

حينها فقط يترك قبضة (داليف) التي صارت كتلة عجينة دامية.

تصرخ (ميرا): (جيرد)، أما تزال هنا؟

يأتي صوت (جيرد) متحرجًا: نعم...

-أخرج (داليف) حاليًا، سأتولى أمر ذلك اللعين.

لم تكن (ميرا) تعرف من أين تأتي بتلك الثقة في كلماتها، فذلك الشيء لا يقاتل مثل أي شيء نازلته من قبل.

تتفادى (ميرا) ضربة كادت تطيح برأسها وتزرع كاحلها بقوة خلف ركبة النيل ليركع مجبرا، ثم توجه ضربة أخرى تلك المرة برأسها ناطحة لخصمها.

ألم شديد يهاجمها وهي تدرك حماقة فعلها وقد دمعت عينها من الألم، تدور من حولها الموجودات وتشعر بأن الوجود يغيب لتأتي طعنة من النيل في ذراعها الأيسر تعيدها واقعتها، وإن جاء حاملا ألم لا يطاق، كان النصل انغرز حتى القبض في كتفها الأيسر.

ترفع سيفها يمينها لتوجيه ضربة واهنة للنيل فيمسك بمعصمها جاذبا لذراعها مانعا إياها من الحركة، يشع في نزع سيفه من ذراعها بيده الأخرى ليفرق (ميرا) في بحرا من الآلام ينسل سيفها من يمينها، تحارب كيلا يتلعها بكل تبقى لديها من قوة تخرج بيسراها كريستالة هب مهشمة إياها على السيف الذي لا يزال نصفه مغروزا في كتفها، سيفه، وتتمسك بنصل السيف بآخر عزمها، لينكسر النصل بفعل جذب النيل.

يتخلى في لحظة النيل عن نصله ليمسك برقبة (ميرا) رافعا إياها من فوق الأرض ويبدأ في جذب أطرافها محاولا فصل يمينها ورقبتها عن جسدها.

تبحث (ميرا) عن أي شيء... أي شيء تستطيع استخدامه فتجد آخر كريستالة هب في حافظتها فتجذبها بيدها الدامية وتهشمها حيث انخلع الدرع عن كتفه من ضربة (جيرد).

يتوقف النيل عن الجذب لينظر لكتفه

بأن هناك لحم يشوى تحت ذلك الدرع ولكنه لا يهتم، ويعود لمزج أطرافها مرة أخرى ليزداد الألم وتخفت الأصوات من حولها وتأنس (ميرا) لسكون ابتلع كل الألم وكأنها علقت بين خفقتي فؤاد.

شياطين الصمت في طريقهم إليها، تدرك ذلك بعد أن اختفت كل آثار الوغى من حولها، فذلك المكان وتلك اللحظة لا يوجد أثر لأي شيء سواها ويد ذلك اللعين ساحبا إياها نحو الصمت.

انتهى الوجود، هي والنبيل الحديدي وفارس الصمت القادم من أجلها. بعين غائمة رأت شيطان الصمت متقدما بالضبط كما وصفوه، قادما من اللامكان من أجلها هي.

يلقي بشيء في اتجاهها، بالتأكيد شباك حصاده، لم يكن ذلك مهما، فقد ماتت تحت علم رجل تقدره، ومن أجل هدف تفهمه، فأهلا بالصمت.

تشعر بألم مفاجئ فوق وجنتها اليسرى وترى سلكا فضيا يلتف حول كتف النبيل الحديدي، ثم ترى الفارس وفي يده نهاية ذلك السوط جاذبا إياه بقوة وهو يطلق العنان لخياله في الاتجاه الآخر. وفجأة تأتي كل الأصوات ضاربة وعيها، ويأتي الهواء مخترقا لرئتيها، وذراع النبيل قد انفصلت عن جسده.

في لحظات تستوعب والفارس يستدير قادما مرة أخرى في اتجاهها وقد أتى صوت (خاشيد) من تحت خوذته صارخا:

- اصعدي بسرعة.

تحاول الوقوف دون فائدة أقصى ما استطاعته أن ترفع يمناها تجاه (خاشيد) وفرسه القادم

يقترّب (خاشيد) بالفرس مسرعا وقد ربط جسده بالخيل بسرج
الخيل ليتلقفها بكلمات يديه محتضنا إياها دون أن يقف ليميل الحصان
بخطورة مع زيادة الوزن المفاجئ، ولكن (خاشيد) يعتدل سريعا
ممسكا باللجام ويزيد من سرعتهم بعد أن تأكد أنه استعاد توازنه
منطلقين نحو الوطن.. إلى (زراد).



تمركزت قوات (غنتاق) أمام أسوار (زراد) الغربية، وقد أغلقت أبواب (زراد)، ووقف الرماة من جيشها أعلى أسوارها في انتظار محاولة الاقتحام الأولى.

وفي داخل خيمة الحرب كان (آروين) جالسًا بجانب النبيل الحديدي الواقف كعهده أبدًا، لم يتغير شيء سوى يمناه التي فقدتها مغطاة الآن بثوب قماشي لفت حول جسده كيفما اتفق.

في منتصف الخيمة وكالعادة كان (غنتاق) و(هينادا) يتناوشان.

قالت (هينادا) في عصبية: أنت نفسك حذرتني أن أي محاولة للاقتحام لن تكون في صالحنا...

قاطعها قائلاً: ولم يتغير شيء، الاقتحام قبل وصول الإمدادات والدعم الجديد القادمين من ثيام سيكون فيه هلاك أكيد. ما أعترض عليه هو موقعنا الحالي، إذا تحركنا للخلف، وتمرکزنا على بُعد بضعة أميال فسنأمن مرمى مقذوفاتهم.

- ثق بي نحتاج أن نكون هنا بالضبط.

- أريد سبباً أو أحرك القوات من فوري.

جاء صوت أحد حراس الخيمة مستأذناً الدخول، وحين سمح له
دخل قائلاً: زائر من أجلك أيتها الفيدا.

تشير الفيدا أن يُسمح له بالدخول وهي تقول: ويبدو أن السبب
قد جاء.

يتأمل (غنتاق) الزائر الذي دخل الخيمة ليجده شاباً حليق الوجه
يرتدي بنطالاً فضفاضاً وقميصاً قماشياً لبني.

يتطلع الشاب إلى الموجودين داخل الخيمة وحين تلتقي عيناه بالنيل
الحديدي تعلو نظرة من الاشمزاز والكراهة وجهه قبل أن تذوب
تماماً وهو ينحني أمام الفيدا قائلاً: فيدا (هينادا)، أتممت عقدي.

- انهض يا (ساليك)، (غنتاق) أعرفك بـ(ساليك).. رجلي في
(زراد)...

كانت نبضات قلب الصبي الصغير تعلو في كل مرة يمر بجوار
واحد من حراس (زراد). كان يمسك بلفته القماشية الثقيلة محاولاً
تحقيق توازن ما بين التشبث باللفة القماشية بقوة وبين عدم الضغط
عليها بقوة.

لقد أكد عليه (ساليك) أن يبدو طبيعيًا أثناء ذهابه في مهمته. لا يجب أن يوقفه واحد من الحراس أو أسوأ.. كاهن من كهنة النار. يقترب من الجسر الحجري العريض الذي يمر فوق القناة المائية، وينزل بدرجاته السلم المجاور له على حافة القناة متجهًا إلى كوخ عتيق، يخرج مفتاحه ويدخل الكوخ.

يجيء الجزء الأصعب بعدها وقد اتجه إلى مؤخرة الكوخ. أزاح برميلا خشبياً لتظهر تحته فتحة ضيقة تساعه بالكاد وهو ما يزال محاولاً ألا يفلت اللفة القماشية أو يضغطها.

رويدًا رويدًا تختفي الأنوار وهو يزحف داخل المسار الحجري ليخرج من جيبيه كريستالة لهب يتردد للحظات قبل أن يهشمها فليس بالسهولة أن يتخلى عن كنز مثل ذلك، ولكن قد وعده (ساليك) بمئة كريستالة مثلها حين ينهي مهمته.

يقسم الكريستالة داخل كرة زجاجية ويغلقها سريعًا ليشتعل اللهب داخلها مضيئًا له بقية الطريق وأخيرًا بعد أن وصل لنهاية المسار كان هناك مشاعل على الحائط داخل قلب نظام الصرف الخاص بـ(زراد)، وأمامه وكما وصف له (ساليك) بالضبط كان هناك ما يشبه برميلا عملاقا تخرج منه عشرات المواسير المتجهة لكل أنحاء (زراد).

أخذ الصبي نفسًا عميقًا فاضًا لفافته القماشية مخرجًا القربة الجلدية المقيمة المعقود طرفيها، كانت تشبه في حجمها ووزنها كثيرًا القرب الجلدية التي كان يعطيها لهم (ساليك) ليلعبوا بها في المدبغة، وقد اختاره (ساليك) لتلك المهمة لأنه كان دائمًا الفائز في تلك الألعاب.

وكما اعتاد أثناء لعبه مع أقرانه فقد رفع القربة الجلدية في يده ليلقيها بأقصى قوته لتسقط في وسط اسطوانة توزيع المياه، مخرجًا نبلته الصغيرة، وبدقة شديدة ومن المرة الأولى أصاب القربة الجلدية الطافية فوق الماء، لتتصاعد منها الغازات الخضراء مغيرة لون المياه. يقفز الصبي في فرحة، ويعيد نبلته لجيبه، مستعدًا للعودة إلى (ساليك)، ولكن يصل الغاز إلى أنفه فيشعر ببعض الضيق في التنفس، وقبل أن يشعر بشيء آخر يسقط على وجهه راحلاً نحو الصمت، وتستمر الغازات في تغيير لون المياه لتتحول إلى نهر أخضر اللون مسموم يزحف في أوردة (زراد).

بسخرية يقول (غنتاق) مشيراً لـ (ساليك):

- أهو رجلك من أكد لك أن كهنة النار لن ينضموا للقتال؟

تواجه الفيدا سخرية (غنتاق) مربطة على كتفه وهي تقول:

- بل هو من ضمن لنا النصر طالما تركزنا هنا.

بالنبرة الساخرة ذاتها يتساءل (غنتاق):

- وكيف ذلك بالضبط؟

- في (زراد) يظنون (ساليك) لصاً حقيراً، ولكنه في الحقيقة من أقدر

الخيميائيين الذين قابلتهم، الآن ونحن نتحدث فإن كل المياه داخل

(زراد) تتحول إلى سم.

متفاجئًا يتساءل (غنتاق): وكيف يحدث ذلك؟

تجيب الإجابة تلك المرة من (ساليك):

- تركيبة من سم نادر يأتي من أحشاء الـ(أغوش)، مع عناصر كيميائية أخرى تزيد من فتكه، وتساعد على ارتباطه بالسوائل. تكمل الفيدا قائلة:

- وفي موقعنا الحالي نتحكم في كل آبار المياه خارج (زراد) غير المتصلة بالنهر، فخياراتهم قريبًا ستكون إما الاستمرار في التحصن والموت سبًا أو عطشًا أو الخروج من أبواب (زراد) لتلقفهم. جاء صوت (آروين) خفيضًا:

- ولكن.. ماذا عن الأطفال؟ والنساء؟ و.. وكل من ليس فردًا في جيوشهم؟

جاء رد الفيدا غير مكرثة: يمكنهم دائمًا أن يتناكحون صانعين المزيد من الأطفال.

جاءت تلك الكلمات القاسية صادمة لـ(آروين)، في تلك اللحظة لم يعد ينظر لها كنبيلته الجميلة ذات العينين المدهامتين، بل كوحش يماثل الشيء غير البشري الواقف إلى جواره، وقاتل جيش المرتزقة، والخائن الذي سلمهم مملكته، بل لعلها أسوأ منهم مجتمعين.. هي من جمعهم، وكم من أحق كان هو ليجد نفسه في صحبة هؤلاء.



معلقًا على صليب الموت يشعر (سيفاد) بالوباء يجري في عروقه،
يعيثُ فسادًا؛ وكأنه يزدد نهمًا لجسده، عارفًا أنه في يوم حَمَلْ لِقَب
طبيب الوباء. يرى النهاية آتية، ويرى جسده بعين الخيال وقد
بُلي، ولحقَ بمن سبقوه في الصمت على أراضي الممالك القديمة، التي
هجرتها الآلهة، ولا خلاص له حتى باللهب... في لحظات كتلك
يشتاق حتى إلى صحبة الملاحين.

يتمنى لو يملك آثار لعابٍ يمكن أن يبصقه في وجه أولئك المخابيل
كصيحة تمرد أخيرة، أو حتى لو يملك كلماتٍ ينقلها أحدهم كآخر
سلالته، وآخر طبيب وباء.

لقد أضاع حياته دون أن ينقل ما توارثه لمن بعده.. ومن كان ليصير
بعده وهو بلا سلالة! لمحة خاطفة في ذهنه لـ (عاند).. الفتى الذي
وعده؛ فأضاعه.

أيموت أيضًا حائنًا بالوعد؟ وليس وعدًا واحدًا؛ كم من الوعود سيحدث بهلاكه!

أكان عهده للملك (زراد) بالقضاء على الوباء؟ أم كان وعده بأن يصل إلى مصدر الوباء؟ لأنه نال الوعد الأخير، لقد وصل إلى المصدر... هم حوله الآن، يدقون الوشوم؛ صانعين رسل صمت جدد راحلين لـ (زراد)، ويتصايحون كل حين «من أجل المجد».

- يوم سعد.

جاء الصوت مثلها يجيء دائمًا؛ تحمله الريح كصوت (الحبارم)، يُخرج (سيفاد) من رثائه لذاته.

يُكمل الصوت: يوم سعد.. وقد جاءك المجد...

يلعن (سيفاد): لقد عادت الهلاوس.

- آخر سلاله أنثتون.. يصيرُ نبيًا، حاملًا للمجد.

لقد ظن الطبيب طوال عمره أن الهلاوس تأتي كأصوات صادرة من داخل عقله، ولكنه يشعر بتلك الكلمات، يشعر بنعومتها وتموجاتها، يشعر بالريح التي تحملها إليه.

- مجد من؟ مجد أولئك المخابيل الذين يتصايحون من أجله؟

أكان حقًا يرد على هلاوسه؟!

يأتي الصوت من جديد: لا يملك أولئك المخابيل مجدًا، كل ما يملكونه هو جهل مقدس، ولكني أموت وأحيا بالجهل المتقد في عيونهم. هم يعبدون المجهول، الذي لا يجيء بعد الوجود. لقد وضعوا كل ما هو محتوم من ألم وفناء في صورة إله؛ لعلهم يجدون

أنفسهم بعد الصمت في صورة أعلى، يرتقوا فيها مُخلّدين.

- إذا كان لا يوجد إله للصمت فمن أنت؟

- جئت من أحشاء الصمت، أتيت من حيث أيقظتني في أبراجه،
أتيت بدماء إلهين ونبي.

يتذكر (سيفاد) وهو ما يزال مشوشًا كريستالات اللهب التي
ألقاها، والكريستالة الزرقاء التي سرقها له (ساليك).

إذن قتلك الكريستالات حقًا دماء الآلهة، ولكن أي نبي أتيت
بدمائه؟!

يحاول نزع تلك الأفكار: تلك هلاوس، تلك أساطير قديمة أعيد
سردها على نفسي في لحظاتي الأخيرة. لا دماء، لا أنبياء، لا آلهة..
تلك مجرد هلاوس في عقلي.

ولكن الصوت يستمر: أنا الخوف ذاته، أنا الدافع، أنا الصانع
لكل الكوايبس، أنا رب كل مُخيف، رب الظلمات، رب الأعماق،
رب كل ما اختبأ عند طرف البصر.. أنا خالق الحضارة. فهربًا من
خلقي بُنيت الأكواخ والمنازل.. هربًا من خلقي شُيدت السقوف،
 واجتمعت الأمم.. هربًا من خلقي دارت الأسوار حول الممالك،
ولكني أسكن القلوب لا أبارحها لا تحده أسوار ولا جيوش، مجدي
وإن خبا فإنه هنا بين يديك الآن، أتبعث حاملاً لمجدي؟

«هل المفترض عليه أن يرد على هذا السؤال؟».

فجأة ينطلق الطبيب ضاحكًا: نعم سأرد على هلاوسي، فأنا هالك
لا محالة.. غريبًا وسط مخابيل.. هلاوسي تعرفني وأنا أعرفها.

«نعم».. قالها بصوت عالٍ.. «نعم».. حاول أن يصرخ بها بحماسة

المتصحرة.

«نعم».. جاذبًا انتباه اثنين من المخاييل يتأملانه في دهشة..

«نعم» مرة أخيرة ليأتي الصوت: «هو لك إذن».

ثم جاء الصراخ...

بدأت الصرخات من على مرمى بصره، وثلثة من النساء والرجال
قد تركوا مجلسهم، وبدأ أنهم يفرون راكضين في اتجاهه.

شيء ما يطاردهم.. ينقض عليهم ناهشًا لحمهم، ملطخًا أرضهم
بالدماء.

كان الظلام مخيمًا، والشعلات الهادئة مع أضواء القمرين لا تُنير
الموجودات بما يكفي.

يتساقطون بالعشرات، ولا يفكرون حتى في محاولة الهجوم على
قاتلهم.. يتدافعون ناحية صليب (سيفاد)، ويتساقطون قبل الوصول
إليه.

يضحك (سيفاد) مرة أخرى ظانًا أن كل هذا ليس سوى المزيد
من الهلاوس. يضحك وهو يرى المخاييل يتصارعون ويفشلون
في الهرب، قادمون ناحيته؛ وكأنهم يسعون إلى مخلصهم.. مخلصهم
المصلوب الموبوء الهالك الذي تُجلجل ضحكته كل الأرجاء.

وفي النهاية يقترب القاتل، ويتساءل (سيفاد): أهذا سقري؟..
سقري (أحاذ) ربما؟ هل جاء أحدهم بعرض أفضل فأراد (أحاذ)
أن يسترد غنيمته؟

ولكن لا.. ذلك الشيء أكبر، ومغطى بفراء كثيف. أهو ذئب؟..



لعمره لم يرَ ذئبًا في حجم مثل هذا..
يقف منتصبًا على قدمين ومخلبين
عظيمين يقطع بهما الأجساد، أهو
وحشٌ أسطوري؟

لا يتبقى سوى دماء وأحشاء،
ووحش ملطخ يقف أمامه.
هرب من هرب، وتحت أقدامه يأتي
الذئب المهول متشممًا قدميه.

يهيئ الطبيب نفسه لآلام تلك
الأسنان حين تبدأ في نهش
قدميه، ولكن الألم لا يجيء..

يرفع الذئب رأسه ويطلق
عواءً طويلًا.. طويلًا..

ومستمرًا.. ومع العواء يبدأ
الفراء في الانكماش، والجسد

يَصْغُرُ، وملاحظته تتشكل للامح
فتى داعم العين، لا يتوقف

عن العواء المختلط بالبكاء.

(عاند) جالس على أربع أمامه، وحينها يدرك الطبيب أن رهبان
القمر لم يكونوا يحاولون أن يصنعوا منه شيئًا، بل كانوا قد وجدوا
نبيهم. إن تابعه كان نبي القمر، وهو أخرجه من (زراد)، ويعث
بدمائه إله جديد.

لا يتوقف (عاند) عن البكاء وهو يفتش في جثمان واحد من نهشهم

حتى يخرج خنجرًا ويبدأ في قطع الحبال التي تربط قدميه.
«كنا اثنين وستون إلهًا».

يجيء صوت «رب الخوف»...

- فالأقمار تحبوا، ومع كل خبوء قمر يفنى إله ولا يُبعث، وكى يبقى
الإله ويجيا يحتاج نبيًا، ويُبعث الأنبياء مرة كل زمان، حين تسيل
دماء نبي آخر.

كان (عاند) قد انتهى من فك أقدامه، وتسلق برشاقة العمود المعلق
به (سيفاد) ليفك يديه.

- الدماء.. وكأن فيها شيء مقدس، كان دائمًا على من أراد أن يصير
نبيًا أن يسفكها. وحدي أنا أنبيائي كانوا بشرًا، وإله النار نبيه كانا
عنقاء وتنين. يقتل أحدهما عادة لبعث أنبياء آخرين دون ضغينة
من إله النار، فكلما قتلوا تنينًا فهناك العنقاء تحمل مجد النار
وتبعث ساعتها من الرماد لو قتلت، ولكن الآن لا يوجد سوى
إلهين وقمرين ولا عنقاء ولا تنين في الجوار.

كان (عاند) قد فك الأربطة، وحاول أن يسند الطبيب، ولكنه كان
أضعف من أن يقف فسقط على وجهه وسط الدماء لينزل (عاند)
من فوق الصليب مسرعًا كي يتأكد من سلامة سيده.

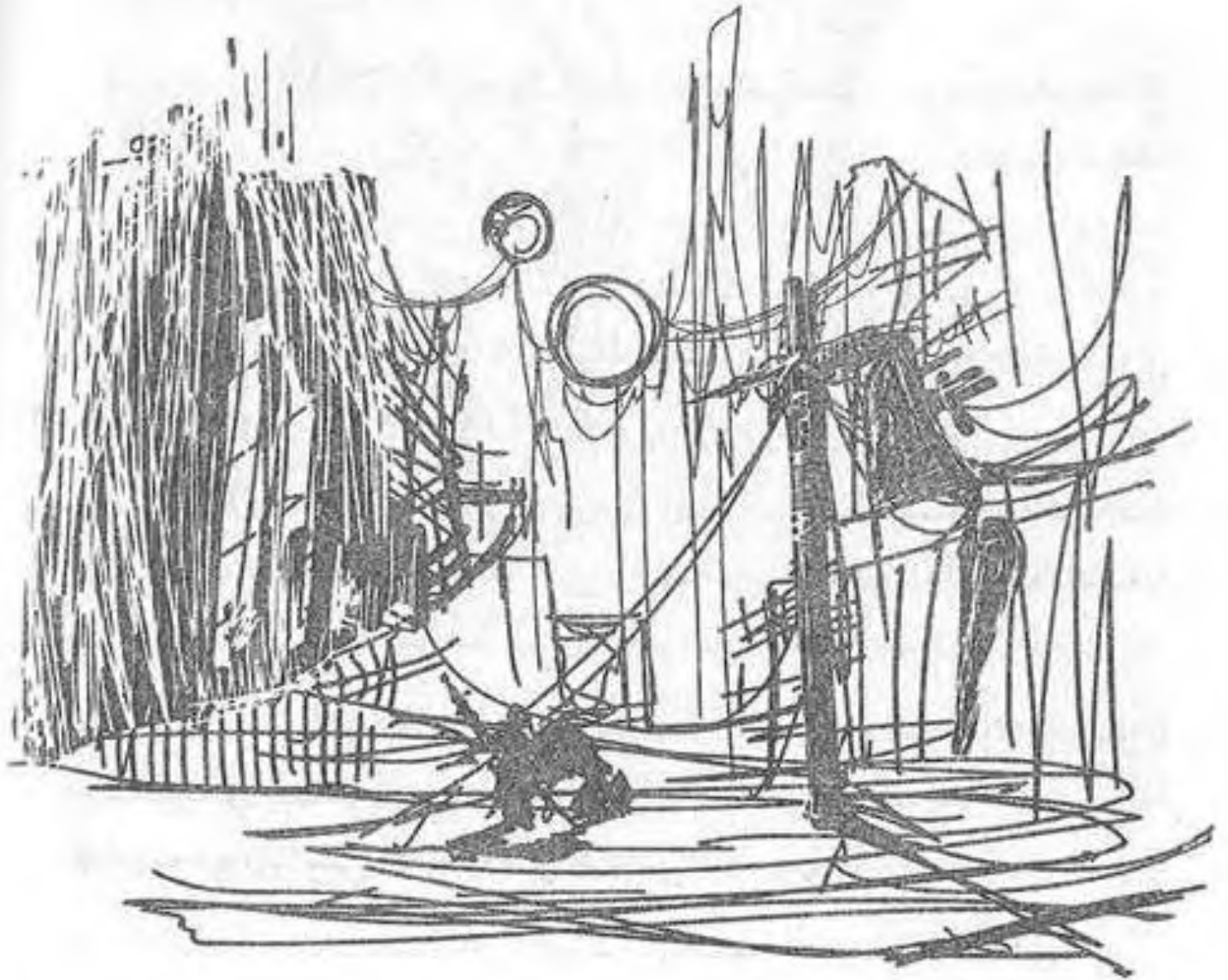
- رهبان القمر لا يعلمون حتى ما الذي يعبدونه، فقد مرت السنون
دون أن يأتي إليهم نبي، لا يوجد إله القمر، ذلك إله الصيد ما
يعبدونه، وذاك نبي الصيد من ستقتل...

بخارقة ما قد وجدها (عاند) يبدأ في مسح الطبيب منظرًا إياه من
الدماء وهو يسأل بصوته الباكي:

- أنت بخير سيدي الطبيب؟

ينظر له الطبيب نظرة أخيرة رافعًا الخنجر ذاته الذي فك به
(عاند) أربطته ليغرسه في قلبه، وهو يقول: لا.

وساعتها انشق القمر.



الخاتمة

في ركن سيئ الإضاءة بإحدى حانات ميناء (ثول) كان من المستحيل أن تخطى (أحاذ) حتى من ظهره، فلو لم تميز رجله الواقفين خلفه عاقدا الذراعين؛ فمن سواه سيجلس تحت قدميه (سقري) مسلسل. قبالة جلس بحار يتحدث بسرعة خاطفا أنفاسا متلاحقة تكتّم كلما مرت عيناه على (السقري) الرابع.

- ... ومع انشغال الجميع تسللت لقمرته وتحصلت على أربعة.

يتفحص البحار الهزيل الحانة من حوله، ويخرج بيد مرتعشة من فرض الحماسة أربع كريستالات هب، يضعهم أمام (أحاذ) على المائدة وهو يكمل؛

- لم يلحظ حتى اختفائهم، وفي اليوم التالي القوبى بما تبقى في جوف أحد أبراج الصمت.

محاولاً إخفاء الإشارة التي اعترته؛ يرنو (أحاذ) من كريستالات اللهب المضيئة أمامه، ولكن يفضحه اتساع حدقتا عينيه، ورعشة يده وهو يربت على سقريه الذي يمد رأسه بتكاسل متشمماً الكريستالات.

زاد

في أرض الملاعين من صار وليمة للذيلان فقد نجا

جلالة الملك

أخط تلك الكلمات أملا أن تتفهم أسباب ما أنوي فعله.. أقصيت هلالة (أنشتون) منذ الوباء الأول على ألا يدخل الوباء مملكتنا مرة أخرى. لم يحدث أي من أسلافي بذلك القسم... وكوني آخر الناجين من هلاتي لن يجعلني أول الحاشين.

السفن المحملة بالوباء ترسو على شواطئنا. ومن تبقى من النبلاء في (ثيام) يتهمسون بأن تلك لعنة القصر الغائب. وأن وجودك هو ف يكون سبب دخول الوباء مرة ثانية لـ (زراد).

تلك المرة مخلصا (زراد) من الملاعين. ومن كهنة النار. ومؤذنا بعودة من تبقى من النبلاء المؤمنين. ليرفضوا ذكر القصر الغائب مرة أخرى.

جلالة الملك إذا دخل الوباء ديارنا سيكون هذا عاري وحدي. ولن يتحملة غيري ولا يوجد ما أستطيع صنعه لإيقاف ذلك... ليس وأنا هنا في (زراد). الوباء قادم مع قاطني ما خلف الوادي. في أرض الممالك القديمة. والمؤكد أن مصدر الوباء إما في الوادي أو في (بحر السجاء). فلن يطيق مريض رحلة الوادي أو ركوب البحر ذلك مؤكدا.

اليوم وبعد أن أسلم رسالتي سأنتقل مرتحلا إلى أراضي الممالك القديمة باحثا عن مصدر الوباء. ذلك الأمل الوحيد.

أما تحييد المصدر وإما تخليق علاج منه. هذا أو أن تنتهي هلالة (أنشتون) قبل أن يدخل الوباء (زراد).

طبيب الوباء
(سيفاد أنشتون).

